احياء علوم الدين ،للغزالى ،محمد بن محمد
- ٥٠٥ هـ . كتب فى القرن الثالث عشر
الهجرى تقديرا .

ج١ (١٠٦ق)   ٢٩س   ٢٨×٢٠ سم
نسخة جيدة ، ناقصة الاول قليلا ،خطها
مغربى مقروء ، طبع .
الاعلام ٧ : ٢٤٧ معجم المطبوعات ٢ : ١٤٠٩
١ - أصول الدين أ - المؤلف
ب - تاريخ النسخ ج - ربح العادات .

عند تهاوش الطغام او جدل يتدرع به طالب المباهات الى الغلبة والافحام او سجع مزخرف يتوسل
به الواعظ الى استدراج العوام اذ لم يروا ما سوى هذه الثلاثة مصيدة للحرام وشبكة
للحطام واما علم طريق الاخرة وما درج عليه السلف الصالح مما سماه الله سبحانه
فقها وحكمة وعلما وضياء ونورا وهداية ورشدا فقد اصبح من بين الخلق مطويا وصار نسيا منسيا
ولما كان هذا ثلما في الدين ملما وخطبا مدلهما رايت الاشتغال بتحرير هذا الكتاب مهما احياء
لعلوم الدين وكشفا عن مناهج الائمة المتقدمين وايضاحا لمباهي العلوم النافعة عند النبيين و
السلف الصالحين ولقد اسسته على اربعة ارباع وهي ربع العبادات وربع العادات
وربع المهلكات وربع المنجيات وصدرت الجملة بكتاب العلم لانه غاية المهم لاكشف
عن العلم الذي تعبد رسول الله صلى الله عليه وسلم الاعيان بطلبه اذ قال طلب العلم فريضة على كل مسلم
وأميز فيه العلم النافع عن الضار اذ قال صلى الله عليه وسلم نعوذ بالله من علم لا ينفع واحقق
ميل اهل العصر عن شاكلة الصواب وانخداعهم بلامع السراب واقتناعهم من العلوم بالقشر
عن اللباب ويشتمل ربع العبادات على عشرة كتب كتاب العلم كتاب قواعد
العقائد كتاب اسرار الطهارة كتاب اسرار الصلاة كتاب اسرار الزكاة كتاب
اسرار الصيام كتاب اسرار الحج كتاب تلاوة القرآن كتاب الاذكار والدعوات
كتاب ترتيب الاوراد في الاوقات واما ربع العادات فيشتمل على عشرة كتب
كتاب آداب الاكل كتاب آداب النكاح كتاب احكام الكسب كتاب
الحلال والحرام كتاب آداب الصحبة والمعاشرة مع اصناف الخلق كتاب آداب العزلة
كتاب آداب السفر كتاب السماع والوجد كتاب الامر بالمعروف والنهي عن
المنكر كتاب آداب المعيشة واخلاق النبوة واما ربع المهلكات فيشتمل
على عشرة كتب كتاب شرح عجائب القلب كتاب رياضة النفس كتاب آفات
الشهوتين شهوة البطن والفرج كتاب آفات اللسان كتاب آفة الغضب
والحقد والحسد كتاب ذم الدنيا كتاب ذم المال والبخل كتاب ذم الجاه والرياء
كتاب ذم الكبر والعجب كتاب الغرور واما ربع المنجيات فيشتمل على
عشرة كتب كتاب التوبة كتاب الصبر والشكر كتاب الخوف والرجاء
كتاب الفقر والزهد كتاب التوحيد والتوكل كتاب المحبة والشوق والرضى
كتاب والصدق والاخلاص كتاب المراقبة والمحاسبة كتاب التفكر كتاب
ذكر الموت فاما ربع العبادات فاذكر فيه من خفايا آدابها ودقائق سننها واسرار معانيها
ما يضطر العالم العامل اليه بل لا يكون من علماء الآخرة من لا يطلع عليه واكثر ذلك مما اهمل في فن
الفقهيات واما ربع العادات فاذكر فيه اسرار المعاملات الجارية بين الخلق واغوارها

النية

ودقائق سننها وخفايا الورع في مجاريها وهي مما لا يستغني متدين عنها وأما ربع المهلكات فأذكر
فيه كل خلق مذموم ورد القرآن بإماطته وتزكية النفس وتطهير القلب منه وأذكر من كل واحد من تلك
الأخلاق حده وحقيقته ثم سببه الذي يتولد منه ثم الآفات التي عليها تترتب ثم العلامات
التي بها يتعرف ثم طرق المعالجة التي بها منها يتخلص كل ذلك مقرونا بشواهد الآيات والأخبار
والآثار وأما ربع المنجيات فأذكر فيه كل خلق محمود وخصلة مرغوب فيها من خصال
المقربين والصديقين التي بها يتقرب العبد من رب العالمين وأذكر في كل خصلة حدها وحقيقتها
وسببها الذي به تجتلب وثمرتها التي منها تستفاد وعلامتها التي بها تتعرف وفضيلتها التي لأجلها
فيها يرغب مع ما ورد فيها من شواهد الشرع والعقل ولقد صنف الناس في بعض هذه المعاني
كتبا ولكن يتميز هذا الكتاب عنها بخمسة أمور **الأول** حل ما عقدوه وكشف ما أجملوه **الثاني**
ترتيب ما بددوه ونظم ما فرقوه **الثالث** إيجاز ما طولوه وضبط ما قرروه **الرابع** حذف
ما كرروه **الخامس** تحقيق أمور غامضة اعتاصت على الأفهام لم يتعرض لها في كتاب أصلا إذ الكل
وإن تواردوا على منهج واحد فلا مستنكر أن يتفرد كل واحد من السالكين بالتنبيه لأمر يخصه ويغفل عنه
رفقاؤه أو لا يغفل عن التنبيه ولكن يسهو عن إيراده في الكتب أو لا يسهو ولكن يصرفه عن كشف الغطاء
عنه صارف فهذه خواص هذا الكتاب مع كونه حاويا لمجامع هذه العلوم وإنما حملني
على تأسيس هذا الكتاب على أربعة أرباع أمران **أحدهما** وهو الباعث الأصلي أن هذا الترتيب
في التحقيق والتفهيم كالضروري لأن العلم الذي يتوجه به إلى الآخرة ينقسم إلى علم المعاملة وإلى علم
المكاشفة وأعني بالمكاشفة ما يطلب منه كشف المعلوم فقط وأعني بعلم المعاملة ما
يطلب منه مع الكشف العمل به والمقصود من هذا الكتاب علم المعاملة فقط دون علم
المكاشفة التي لا رخصة في إيداعها الكتب وإن كانت هي غاية مقصد الطالبين ومطمح نظر
الصديقين وعلم المعاملة طريق إليه ولكن لم يتكلم الأنبياء صلوات الله عليهم مع الخلق إلا في علم الطريق
والإرشاد إليه وأما علم المكاشفة فلم يتكلموا فيه إلا بالرمز والإيماء على سبيل التمثيل والإ
جمال علما منهم بقصور أفهام الخلق عن الاحتمال والعلماء ورثة الأنبياء فما لهم سبيل إلى العدول
عن نهج التأسي والاقتداء ثم إن علم المعاملة ينقسم إلى علم ظاهر أعني العلم بأعمال الجوارح
وإلى علم باطن أعني العلم بأعمال القلوب والجاري على الجوارح إما عبادة وإما عادة والوارد
على القلوب التي هي بحكم الاحتجاب عن الحواس من عالم الملكوت إما محمود وإما مذموم فـ
بالواجب انقسم هذا العلم إلى شطرين ظاهر وباطن والشطر الظاهر المتعلق بالجوارح
انقسم إلى عبادة وعادة والشطر الباطن المتعلق بأحوال القلب وأخلاق النفس انقسم
إلى محمود ومذموم فكان المجموع أربعة أقسام ولا يشذ نظر في علم المعاملة عن هذه الأقسام
الباعث الثاني أني رأيت الرغبة من طلبة العلم صادقة في الفقه الذي صلح عند من لا يخاف الله

سبحانه للتدرج به إلى المباهاة والاستظهار بالجاه والمنزلة في المنافسات وهو مرتب على أربعة أرباع
والتزيي بزي المحبوب محبوب فلم أستبعد أن يكون تصوير الكتاب بصورة الفقه تلطفا في استدراج
القلوب ولهذا تلطف بعض من رام استمالة قلوب الرؤساء إلى الطب فوضعه على هيئة
تقويم النجوم موضوعا في الجداول والرقوم وسماه تقويم الصحة ليكون أنسهم بذلك الجنس جاذبا
لهم إلى المطالعة والتلطف في اجتذاب القلوب إلى العلم الذي يفيد حياة الأبد أهم من التلطف
في اجتذابها إلى الطب الذي لا يفيد إلا صحة الجسد فثمرة هذا العلم طب القلوب والأرواح المتوصل به
إلى حياة تدوم أبد الآباد فأين منه الطب الذي يعالج به الأجساد وهي معرضة بالضرورة للفساد في أقرب
الآماد فنسأل الله سبحانه التوفيق للرشاد والسداد إنه الكريم الجواد

كتاب العلم

وفيه سبعة أبواب **الباب** الأول في فضل العلم والتعلم والتعليم **الباب** الثاني
في فرض العين وفرض الكفاية من العلوم وبيان حد الفقه والكلام في علم الدين وبيان علم الآخرة وعلم الدنيا
الباب الثالث فيما تعده العامة من علوم الدين وليس منه وفيه بيان جنس العلم المذموم
وقدره **الباب** الرابع في آفات المناظرة وسبب اشتغال الناس بالخلاف والجدل
الباب الخامس في آداب المعلم والمتعلم **الباب** السادس في آفات العلم
والعلماء والعلامات الفارقة بين علماء الدنيا والآخرة **الباب** السابع في العقل وفضيلته
وأقسامه وما جاء فيه من الأخبار

الباب الأول في فضل العلم والتعلم والتعليم وشواهده من النقل والعقل

في فضيلة العلم

أما شواهده من القرآن الكريم فقوله عز وجل شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا
العلم قائما بالقسط فانظر كيف بدأ بنفسه عز وجل وثنى بالملائكة وثلث بأهل العلم وناهيك
بهذا شرفا وفضلا وجلالا ونبلا وقال عز وجل يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم
درجات قال ابن عباس رضي الله عنه للعلماء درجات فوق المؤمنين بسبعمائة درجة
ما بين الدرجتين مسيرة خمسمائة عام وقال عز وجل قل هل يستوي الذين يعلمون والذين
لا يعلمون وقال عز وجل إنما يخشى الله من عباده العلماء وقال عز وجل قل كفى بالله شهيدا
بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب وقال تعالى قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به تنبيها
على أنه اقتدر عليه بقوة العلم وقال عز وجل وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير
بين أن عظم قدر الآخرة يعلم بالعلم وقال تعالى وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون

وقال تعالى ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ردّ حكمه في الوقائع إلى استنباطهم وألحق رتبتهم برتبة الأنبياء في كشف حكم الله. وقيل في قوله تعالى يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم يعني العلم وريشا يعني اليقين ولباس التقوى يعني الحياء. وقال عز وجل ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم. وقال تعالى فلنقصن عليهم بعلم. وقال عز وجل بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم. وقال تعالى خلق الإنسان علمه البيان وإنما ذكر ذلك في معرض الامتنان.

الأخبار

قال النبي صلى الله عليه وسلم من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين ويلهمه رشده. وقال صلى الله عليه وسلم العلماء ورثة الأنبياء ومعلوم أنه لا رتبة فوق النبوة ولا شرف فوق الوراثة لتلك الرتبة. وقال صلى الله عليه وسلم يستغفر للعالم ما في السموات والأرض وأي منصب يزيد على منصب من تشتغل ملائكة السموات والأرض بالاستغفار له فهو مشغول بنفسه وهم مشغولون بالاستغفار له. وقال صلى الله عليه وسلم إن الحكمة تزيد الشريف شرفا وترفع المملوك حتى يجلسه مجالس الملوك. وقد نبه بهذا على ثمرته في الدنيا ومعلوم أن الآخرة خير وأبقى. وقال صلى الله عليه وسلم خصلتان لا تكونان في منافق حسن سمت وفقه في الدين. ولا تشكن في الحديث لنفاق بعض فقهاء الزمان فإنه ما أراد به عليه السلام الفقه الذي ظننته وسيأتي معنى الفقه. وأدنى درجات الفقيه أن يعلم أن الآخرة خير من الدنيا وهذه المعرفة إذا صدقت وغلبت عليه برئ بها من النفاق والرياء. وقال صلى الله عليه وسلم أفضل الناس المؤمن العالم الذي إن احتيج إليه نفع وإن استغني عنه أغنى نفسه. وقال صلى الله عليه وسلم الإيمان عريان ولباسه التقوى وزينته الحياء وثمرته العلم. وقال صلى الله عليه وسلم أقرب الناس من درجة النبوة أهل العلم والجهاد أما أهل العلم فدلوا الناس على ما جاءت به الرسل وأما أهل الجهاد فجاهدوا بأسيافهم على ما جاءت به الرسل. وقال صلى الله عليه وسلم لموت قبيلة أيسر من موت عالم. وقال صلى الله عليه وسلم الناس معادن كمعادن الذهب والفضة فخيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا. وقال صلى الله عليه وسلم يوزن يوم القيامة مداد العلماء بدم الشهداء. وقال صلى الله عليه وسلم من حفظ على أمتي أربعين حديثا من السنة حتى يؤديها إليهم كنت له شفيعا وشهيدا يوم القيامة. وقال صلى الله عليه وسلم من حمل من أمتي أربعين حديثا لقي الله عز وجل يوم القيامة فقيها عالما. وقال عليه السلام من تفقه في دين الله كفاه الله تعالى ما أهمه ورزقه من حيث لا يحتسب. وقال صلى الله عليه وسلم أوحى الله عز وجل إلى إبراهيم عليه السلام يا إبراهيم إني عليم أحب كل عليم. وقال صلى الله عليه وسلم العالم أمين الله سبحانه في الأرض. وقال صلى الله عليه وسلم صنفان من أمتي إذا صلحوا صلح الناس وإذا فسدوا فسد الناس الأمراء والفقهاء. وقال صلى الله عليه وسلم إذا أتى علي يوم لا أزداد فيه علما يقربني إلى الله عز وجل فلا بورك لي في طلوع شمس ذلك اليوم. وقال صلى الله عليه وسلم في تفضيل العلم على العبادة والشهادة فضل العالم على العابد كفضلي على أدنى رجل من أصحابي فانظر

كيف جعل العلم مقارنا لدرجة النبوة وكيف حط رتبة العمل المجرد عن العلم وإن كان العابد لا يخلو عن علم بالعبادة التي يواظب عليها ولولاه لم تكن عبادة. وقال صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب. وقال صلى الله عليه وسلم يشفع يوم القيامة الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء فأعظم برتبة هي تلو النبوة وفوق الشهادة مع ما ورد في فضل الشهادة. وقال صلى الله عليه وسلم ما عبد الله تعالى بشيء أفضل من فقه في الدين ولفقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد ولكل شيء عماد وعماد هذا الدين الفقه. وقال صلى الله عليه وسلم أفضل دينكم أيسره وأفضل العبادة الفقه. وقال صلى الله عليه وسلم فضل المؤمن العالم على المؤمن العابد بسبعين درجة. وقال صلى الله عليه وسلم إنكم أصبحتم في زمان كثير فقهاؤه قليل قراؤه وخطباؤه قليل سائلوه كثير معطوه العمل فيه خير من العلم وسيأتي على الناس زمان قليل فقهاؤه كثير خطباؤه قليل معطوه كثير سائلوه العلم فيه خير من العمل. وقال صلى الله عليه وسلم بين العالم والعابد مائة درجة بين كل درجتين حضر الجواد المضمر سبعين سنة. وقيل يا رسول الله أي الأعمال أفضل فقال صلى الله عليه وسلم العلم فقال أي العلم تريد فقال صلى الله عليه وسلم العلم بالله سبحانه فقيل له نسأل عن العمل وتجيب عن العلم فقال صلى الله عليه وسلم إن قليل العمل ينفع مع العلم بالله وإن كثير العمل لا ينفع مع الجهل بالله. وقال صلى الله عليه وسلم يبعث الله تعالى العباد يوم القيامة ثم يبعث العلماء فيقول يا معشر العلماء إني لم أضع علمي فيكم إلا لعلمي بكم ولم أضع علمي فيكم لأعذبكم اذهبوا فقد غفرت لكم.

الآثار

قال علي رضي الله عنه لكميل بن زياد يا كميل العلم خير من المال العلم يحرسك وأنت تحرس المال والعلم حاكم والمال محكوم عليه والمال تنقصه النفقة والعلم يزكو على الإنفاق. وقال علي رضي الله عنه العالم أفضل من الصائم القائم المجاهد وإذا مات العالم ثلم في الإسلام ثلمة لا يسدها إلا خلف منه. وقال أيضا نظما:

ما الفخر إلا لأهل العلم إنهم ... على الهدى لمن استهدى أدلاء
ووزن كل امرئ ما كان يحسنه ... والجاهلون لأهل العلم أعداء

وقال أبو الأسود ليس شيء أعز من العلم الملوك حكام على الناس والعلماء حكام على الملوك. وقال ابن عباس رضي الله عنهما خير سليمان بن داود صلوات الله عليه بين العلم والمال والملك فاختار العلم فأعطي المال والملك معه. وسئل ابن المبارك من الناس فقال العلماء قيل فمن الملوك قال الزهاد قيل فمن السفلة قال الذي يأكل بدينه ولم يجعل غير العالم من الناس لأن الخاصية التي يتميز بها الناس عن سائر البهائم هي العلم والإنسان إنسان بما هو شريف لأجله وليس ذلك بقوة شخصه فإن الجمل أقوى منه ولا بعظمه فإن الفيل أعظم منه ولا بشجاعته فإن السبع أشجع منه ولا بأكله فإن الجمل أوسع بطنا منه ولا بجماعه فإن أخس العصافير أقوى على السفاد منه بل لم يخلق إلا للعلم. وقال بعض العلماء ليت شعري أي شيء أدرك من فاته

العلم واي شيء فاته من ادرك العلم وقال فتح الموصلي اليس المريض اذا منع الطعام والشراب والدواء يموت قالوا بلى قال كذلك القلب اذا منعت عنه الحكمة والعلم ثلاثة ايام يموت ولقد صدق فان غذاء القلب العلم والحكمة وبهما حياته كما ان غذاء الجسد الطعام ومن فقد العلم فقلبه مريض وموته لازم ولكنه لا يشعر بموته اذ شغل الدنيا وحبه ابطل احساسه كما ان غلبة الخوف قد تبطل احساس الم الجرح في الحال وان كان واقعا فاذا حط الموت عنه اعباء الدنيا احس بهلاكه وتحسر تحسرا ثم لا ينفعه وذلك كاحساس الامن من خوفه والمفيق من سكره بما اصابه من الجراحات في حالة السكر او الخوف فنعوذ بالله من يوم كشف الغطاء فان الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا وقال الحسن يوزن مداد العلماء بدم الشهداء فيرجح مداد العلماء وقال ابن مسعود عليكم بالعلم قبل ان يرفع ورفعه موت رواته فوالذي نفسي بيده ليودن رجال قتلوا في سبيل الله شهداء ان يبعثهم الله علماء لما يرون من كرامتهم وان احدا لم يولد عالما وانما العلم بالتعلم وقال ابن عباس رضي الله عنه تذاكر العلم بعض ليلة احب الي من احيائها وكذلك عن ابي هريرة واحمد بن حنبل رضي الله عنهم وقال الحسن في قوله تعالى ربنا آتنا في الدنيا حسنة ان الحسنة في الدنيا هي العلم والعبادة وفي الآخرة حسنة هي الجنة وقيل لبعض الحكماء اي الاشياء تقتنى قال الاشياء التي اذا غرقت سفينتك سبحت معك يعني العلم وقيل اراد بغرق السفينة هلاك بدنه بالموت وقال بعضهم من اتخذ الحكمة لجاما اتخذه الناس اماما ومن عرف بالحكمة لاحظته العيون بالوقار وقال الشافعي رحمه الله من شرف العلم ان كل من نسب اليه ولو في شيء حقير فرح ومن رفع عنه حزن وقال عمر رضي الله عنه يا ايها الناس عليكم بالعلم فان لله رداء يحبه فمن طلب بابا من العلم رداه الله بردائه فان اذنب ذنبا استعتبه فان اذنب ذنبا استعتبه ثلاثا لئلا يسلبه الله تعالى رداءه وان تطاول به ذلك الذنب حتى يموت وقال الاحنف كاد العلماء ان يكونوا اربابا وكل عز لم يوطد بعلم فالى ذل يصير وقال سالم بن ابي الجعد اشتراني مولاي بثلاثمائة درهم فاعتقني فقلت باي حرفة احترف فاحترفت بالعلم فما تمت لي سنة حتى اتاني امير المدينة زائرا فلم آذن له وقال الزبير بن ابي بكر كتب الي ابي بالعراق عليك بالعلم فانك ان افتقرت كان لك مالا وان استغنيت كان لك جمالا وحكي ذلك في وصايا لقمان لابنه قال يا بني جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك فان الله سبحانه يحيي القلوب بنور الحكمة كما يحيي الارض بوابل السماء وقال بعض الحكماء اذا مات العالم بكاه الحوت في الماء والطير في الهواء ويفقد وجهه ولا ينسى ذكره وقال الزهري العلم ذكر ولا يحبه الا ذكور الرجال

في فضيلة التعلم

أما الآيات فقوله عز وجل فلولا نفر من كل فرقة ليتفقهوا في الدين الآية وقوله عز وجل فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون واما الاخبار فقوله صلى الله عليه وسلم من سلك طريقا يطلب فيه علما سلك الله به طريقا الى الجنة وقال صلى الله عليه وسلم ان الملائكة لتضع اجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع وقال صلى الله عليه وسلم لان تغدو فتتعلم بابا من العلم خير من ان تصلي مائة ركعة وقال صلى الله عليه وسلم باب من العلم خير من الدنيا وما فيها وقال صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة على كل مسلم وقال صلى الله عليه وسلم اطلبوا العلم ولو بالصين وقال صلى الله عليه وسلم العلم خزائن مفاتيحها السؤال فاسألوا فانه يؤجر فيه اربعة السائل والعالم والمستمع والمحب لهم وقال صلى الله عليه وسلم لا ينبغي للجاهل ان يسكت على جهله ولا للعالم ان يسكت عن علمه وفي حديث ابي ذر حضور مجلس علم افضل من صلاة الف ركعة وعيادة الف مريض وشهود الف جنازة فقيل يا رسول الله ومن قراءة القرآن فقال صلى الله عليه وسلم وهل تنفع القرآن الا بالعلم وقال صلى الله عليه وسلم من جاءه الموت وهو يطلب العلم ليحيي به الاسلام فبينه وبين الانبياء في الجنة درجة واحدة

الآثار

قال ابن عباس رضي الله عنهما ذللت طالبا فعززت مطلوبا وكذلك قال ابن ابي مليكة ما رايت مثل ابن عباس اذا رايته رايت احسن الناس وجها واذا تكلم فاعرب الناس لسانا واذا افتى فاكثر الناس علما وقال ابن المبارك عجبت لمن لم يطلب العلم كيف تدعوه نفسه الى مكرمة وقال بعض الحكماء اني لا ارحم رجالا كرحمتي لاحد رجلين رجل يطلب العلم ولا يفهم ورجل يفهم ولا يطلب وقال ابو الدرداء لان اتعلم مسألة احب الي من قيام ليلة وقال ايضا العالم والمتعلم شريكان في الخير وسائر الناس همج لا خير فيهم وقال ايضا كن عالما او متعلما او مستمعا ولا تكن الرابع فتهلك وقال عطاء مجلس علم يكفر سبعين مجلسا من مجالس اللهو وقال عمر رضي الله عنه موت الف عابد قائم الليل صائم النهار اهون من موت عالم بصير بحلال الله وحرامه وقال الشافعي طلب العلم افضل من النافلة وقال ابن عبد الحكم كنت عند مالك رحمه الله اقرأ عليه العلم فدخل الظهر فجمعت الكتب لاصلي فقال يا هذا ما الذي قمت اليه بافضل مما كنت فيه اذا صحت النية وقال ابو الدرداء من راى ان الغدو الى العلم ليس بجهاد فقد نقص في رايه وعقله

فضيلة التعليم

أما الآيات فقوله عز وجل ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم الآية والمراد به التعليم والارشاد وقوله عز وجل واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه وهو ايجاب للتعليم وقال عز وجل وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون وهو تحريم للكتمان كما قال تعالى في الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه وقال صلى الله عليه وسلم ما آتى الله سبحانه عالما علما الا اخذ عليه من الميثاق ما اخذ على النبيين ان يبينوه للناس ولا يكتموه وقال عز وجل ومن احسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال تعالى ادع الى سبيل ربك بالحكمة الآية وقال تعالى ويعلمهم الكتاب والحكمة

واما الاخبار

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعث معاذا إلى اليمن لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من الدنيا وما فيها وقال صلى الله عليه وسلم من تعلم بابا من العلم ليعلم الناس أعطي ثواب سبعين صديقا وقال عيسى صلى الله عليه وسلم من علم وعمل وعلم فذلك يدعى عظيما في ملكوت السماوات وقال النبي صلى الله عليه وسلم إذا كان يوم القيامة يقول الله سبحانه للعابدين والمجاهدين ادخلوا الجنة فيقول العلماء بفضل علمنا تعبدوا وجاهدوا فيقول الله تعالى أنتم عندي كبعض ملائكتي اشفعوا تشفعوا فيشفعون ثم يدخلون الجنة وهذا إنما يكون بالعلم المتعدي بالتعليم لا العلم اللازم الذي لا يتعدى وقال صلى الله عليه وسلم إن الله لا ينتزع العلم انتزاعا من الناس بعد أن يؤتيهم إياه ولكن يذهب بذهاب العلماء فكلما ذهب عالم ذهب بما معه من العلم حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهالا إن سئلوا أفتوا بغير علم فيضلون ويضلون وقال صلى الله عليه وسلم من علم علما فكتمه ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار وقال صلى الله عليه وسلم نعم العطية ونعم الهدية كلمة حكمة تسمعها فتطوي عليها ثم تحملها إلى أخ لك مسلم تعلمه إياها تعدل عبادة سنة وقال صلى الله عليه وسلم الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ما ابتغي به وجهه سبحانه وما والاه أو معلما أو متعلما وقال صلى الله عليه وسلم إن الله عز وجل وملائكته وأهل السماوات والأرض حتى النملة في جحرها وحتى الحوت في البحر ليصلون على معلم الناس الخير وقال صلى الله عليه وسلم ما أفاد المسلم أخاه فائدة أفضل من حديث حسن بلغه فبلغه وقال صلى الله عليه وسلم كلمة خير يسمعها المؤمن فيعمل بها ويعلمها خير له من عبادة سنة وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فرأى مجلسين أحدهما يدعون الله عز وجل ويرغبون إليه والثاني يعلمون الناس العلم فقال أما هؤلاء فيسألون الله عز وجل فإن شاء أعطاهم وإن شاء منعهم وأما هؤلاء فيعلمون الناس وإنما بعثت معلما ثم عدل إليهم وجلس معهم وقال صلى الله عليه وسلم مثل ما بعثني الله عز وجل به من العلم والهدى كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا فكانت منها بقعة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير وكانت منها بقعة أمسكت الماء فنفع الله سبحانه بها الناس فشربوا منها وسقوا وزرعوا وكانت منها طائفة قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ فالأول ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلا للمنتفع بعلمه والثاني مثلا للنافع والثالث مثلا للمحروم منهما وقال صلى الله عليه وسلم إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث علم ينتفع به الحديث وقال صلى الله عليه وسلم الدال على الخير كفاعله وقال صلى الله عليه وسلم لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله حكمة فهو يقضي بها ويعلمها الناس وقال صلى الله عليه وسلم على خلفائي رحمة الله قيل ومن خلفاؤك قال صلى الله عليه وسلم الذين يحيون سنتي ويعلمونها عباد الله عز وجل

الآثار

قال عمر رضي الله عنه من حدث بحديث فعمل به فله مثل أجر من عمل ذلك العمل وقال بعض العلماء العالم يدخل فيما بين الله عز وجل وبين خلقه فلينظر كيف يدخل وروي أن سفيان الثوري

قدم عسقلان فمكث أياما لا يسأله إنسان فقال اكتروا لي لأخرج من هذا البلد هذا بلد يموت فيه العلم وإنما قال ذلك حرصا على فضيلة التعليم واستبقاء العلم به وقال عطاء دخلت على سعيد بن المسيب وهو يبكي فقلت ما يبكيك فقال ليس أحد يسألني عن شيء وقال بعضهم العلماء سرج الأزمنة كل واحد مصباح زمانه يستضيء به أهل عصره وقال الحسن لولا العلماء لصار الناس مثل البهائم أي أنهم بالتعليم يخرجون الناس من حد البهيمية إلى حد الإنسانية وقال عكرمة إن لهذا العلم ثمنا قيل وما هو قال أن تضعه فيمن يحسن حمله ولا يضيعه وقال يحيى بن معاذ العلماء أرحم بأمة محمد صلى الله عليه وسلم من آبائهم وأمهاتهم قيل وكيف ذلك قال لأن آباءهم وأمهاتهم يحفظونهم من نار الدنيا وهم يحفظونهم من نار الآخرة وقيل أول العلم الصمت ثم الاستماع ثم الحفظ ثم العمل به ثم نشره وقيل علم علمك من يجهل وتعلم ممن يعلم ما تجهل فإنك إذا فعلت ذلك علمت ما جهلت وحفظت ما علمت وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه في التعليم والتعلم ورأيته أيضا مرفوعا تعلموا العلم فإن تعلمه لله خشية وطلبه عبادة ومدارسته تسبيح والبحث عنه جهاد وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة وبذله لأهله قربة وهو الأنيس في الوحدة والصاحب في الخلوة والدليل على الدين والمصبر على السراء والضراء والوزير عند الأخلاء والقريب عند الغرباء ومنار سبيل الجنة يرفع الله به أقواما فيجعلهم في الخير قادة سادة هداة يقتدى بهم أدلة في الخير تقتص آثارهم وترمق أفعالهم وترغب الملائكة في خلتهم وبأجنحتها تمسحهم وكل رطب ويابس يستغفر لهم حتى حيتان البحر وهوامه وسباع البر وأنعامه والسماء ونجومها لأن العلم حياة القلوب من العمى ونور الأبصار من الظلم وقوة الأبدان من الضعف يبلغ به العبد منازل الأبرار والدرجات العلى التفكر فيه يعدل بالصيام ومدارسته بالقيام به يطاع الله عز وجل وبه يعبد وبه يوحد وبه يتورع وبه توصل الأرحام وهو إمام والعمل تابعه يلهمه السعداء ويحرمه الأشقياء

في الشواهد العقلية

اعلم أن المطلوب من هذا الباب معرفة فضيلة العلم ونفاسته وما لم تفهم الفضيلة في نفسها ولم يتحقق المراد منها لم يمكن أن تعلم وجودها صفة للعلم أو لغيره من الخصال فلقد ضل عن الطريق من طلب أن يعرف أن زيدا حكيم أم لا وهو بعد لم يفهم معنى الحكمة وحقيقتها والفضيلة مأخوذة من الفضل وهو الزيادة فإذا تشارك شيئان في أمر واختص أحدهما بمزيد يقال فضله وله الفضل عليه مهما كانت زيادته فيما هو كمال ذلك الشيء كما يقال الفرس أفضل من الحمار بمعنى أنه يشاركه في قوة الحمل ويزيد عليه بقوة الكر والفر وشدة العدو وحسن الصورة فلو فرض حمار اختص بسلعة زائدة لم يقل إنه أفضل لأن تلك زيادة في الجسم ونقصان في المعنى وليس من الكمال في شيء والحيوان مطلوب لمعناه وصفاته لا لجسمه وإذا فهمت هذا لم يخف عليك أن العلم فضيلة في ذاته وعلى الإطلاق من غير إضافة فإنه وصف كمال الله سبحانه وبه شرف الملائكة والأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين بل الكيس من الخيل خير من البليد فهي فضيلة على الإطلاق

ومعنى الطاعة واعلم أن الشيء النفيس المرغوب فيه ينقسم إلى ما يطلب لغيره وإلى ما يطلب
لذاته ولغيره وما يطلب لذاته أشرف وأفضل مما يطلب لغيره والمطلوب لغيره الدنانير والدراهم
فإنهما حجران لا منفعة فيهما ولولا أن الله عز وجل يسر قضاء الحاجات بهما لكانا والحصباء بمثابة واحدة
والذي يطلب لذاته فالسعادة في الآخرة ولذة النظر إلى وجه الله تعالى وأما الذي يطلب
لذاته ولغيره فكسلامة البدن فإن سلامة الرجل مثلا مطلوبة من حيث إنها سلامة عن الألم ومطلوبة
للمشي بها والتوصل إلى المآرب والحاجات وبهذا الاعتبار إذا نظرت إلى العلم رأيته لذيذا
في نفسه فيكون مطلوبا لذاته ووجدته وسيلة إلى دار الآخرة وسعادتها وذريعة إلى القرب
إلى الله عز وجل ولا يتوصل إليه إلا به وأعظم الأشياء رتبة في حق الآدمي السعادة الأبدية وأفضل
الأشياء ما هو وسيلة إليها ولن يتوصل إليها إلا بالعلم والعمل ولا يتوصل إلى العمل أيضا إلا بالعلم
بكيفية العمل فأصل السعادة في الدنيا والآخرة هو العلم فهو إذا أفضل الأعمال وكيف لا وقد
تعرف فضيلة الشيء أيضا بشرف ثمرته وقد عرفت أن ثمرة العلم القرب من الله عز وجل والالتحاق
بأفق الملائكة ومقارنة الملأ الأعلى هذا في الآخرة وأما في الدنيا فالعز والوقار
ونفوذ الحكم على الملوك ولزوم الاحترام في الطباع حتى إن أغبياء الترك وأجلاف العرب
يصادفون طباعهم مجبولة على التوقير لشيوخهم لاختصاصهم بمزيد علم مستفاد من التجربة بل
البهيمة بطبعها توقر الإنسان لشعورها بتمييز الإنسان بكمال مجاوز لدرجتها فهذه فضيلة
العلم مطلقا ثم تختلف العلوم كما سيأتي وتتفاوت لا محالة فضائلها بتفاوتها **وأما فضيلة**
التعليم والتعلم فظاهرة مما ذكرناه فإن العلم إذا كان أفضل الأمور كان تعلمه طلبا للأفضل
وكان تعليمه إفادة للأفضل وبيانه أن مقاصد الخلق مجموعة في الدين والدنيا ولا نظام للدين
إلا بنظام الدنيا فإن الدنيا مزرعة الآخرة وهي الآلة الموصلة إلى الله عز وجل
مستقرا ووطنا وليس ينتظم أمر الدنيا إلا بأعمال الآدميين وأعمالهم وحرفهم وصناعاتهم تنحصر
في ثلاثة أقسام **أحدها** أصول لا قوام للعالم دونها وهي أربعة الزراعة وهي للمطعم
والحياكة وهي للملبس والبناء وهو للمسكن والسياسة وهي للتأليف والاجتماع والتعاون
على أسباب المعيشة وضبطها **الثاني** ما هي مهيئة لكل واحدة من هذه الصناعات
وخادمة لها كالحدادة فإنها تخدم الزراعة وجملة من الصناعات بإعداد آلاتها وكالحلاجة
والغزل فإنها تخدم الحياكة بإعداد محلها **الثالث** ما هي متممة للأصول ومزينة
كالطحن والخبز للزراعة وكالقصارة والخياطة للحياكة وذلك بالإضافة إلى قوام أمر العالم
الأرضي مثل أجزاء الشخص بالإضافة إلى جملته فإنها على ثلاثة أضرب أما أصول كالقلب
والكبد والدماغ وإما خادمة لها كالمعدة والعروق والشرايين والأعصاب والأوردة
وإما مكملة لها ومزينة كالأظفار والأصابع والحاجبين وأشرف هذه الصناعات أصولها

وأشرف أصولها السياسة بالتأليف والاستصلاح ولذلك تستدعي هذه الصناعة من الكمال فيمن يتكفل بها
ما لا يستدعيه سائر الصناعات ولذلك يستخدم لا محالة صاحب هذه الصناعة سائر الصناع والسياسة
في استصلاح الخلق وإرشادهم إلى الطريق المستقيم المنجي في الدنيا والآخرة على أربع مراتب **الأولى**
وهي العليا سياسة الأنبياء عليهم السلام وحكمهم على الخاصة والعامة في ظاهرهم وباطنهم **الثانية**
الخلفاء والملوك والسلاطين وحكمهم على الخاصة والعامة جميعا ولكن على ظاهرهم لا على باطنهم **والثالثة**
العلماء بالله عز وجل وبدينه الذين هم ورثة الأنبياء وحكمهم على باطن الخاصة فقط ولا يرتفع فهم العامة
إلى الاستفادة منهم ولا تنتهي قوتهم إلى التصرف في ظواهرهم بالإلزام والمنع **والرابعة** الوعاظ
وحكمهم على بواطن العوام فقط وأشرف هذه السياسات الأربع بعد النبوة إفادة العلم وتهذيب
نفوس الناس عن الأخلاق المذمومة المهلكة وإرشادهم إلى الأخلاق المحمودة المسعدة وهو
المراد بالتعليم وإنما قلنا إن هذا أفضل من سائر الحرف والصناعات لأن شرف الصناعة يعرف
بثلاثة أمور إما بالالتفات إلى الغريزة التي بها يتوصل إلى معرفتها كفضل العلوم العقلية
على اللغوية إذ تدرك الحكمة بالعقل واللغة بالسمع والعقل أشرف من السمع وإما بالنظر
إلى عموم النفع كفضل الزراعة على الصياغة وإما بملاحظة المحل الذي فيه التصرف كفضل الصياغة
على الدباغة إذ محل أحدهما الذهب ومحل الآخر جلد الميتة وليس يخفى أن العلوم الدينية وهي
فقه طريق الآخرة إنما تدرك بكمال العقل وصفاء الذكاء والعقل أشرف صفات الإنسان كما سيأتي بيانه
إذ به تقبل أمانة الله عز وجل وبه يتوصل إلى جوار الله سبحانه وأما عموم النفع فلا يستراب فيه
فإن نفعه وثمرته سعادة الآخرة وأما شرف المحل فكيف يخفى والمعلم متصرف في قلوب البشر
ونفوسهم وأشرف موجود على الأرض جنس الإنس وأشرف جزء من جوهر الإنسان قلبه والمعلم
مشتغل بتكميله وتحليته وتطهيره وسياقته إلى القرب من الله تعالى فتعليم العلم من وجه
عبادة لله عز وجل ومن وجه خلافة لله سبحانه وهو أجل خلافة فإن الله تعالى قد فتح على قلب
العالم العلم الذي هو أخص صفاته فهو كالخازن لأنفس خزائنه ثم هو مأذون له في الإنفاق
على كل محتاج إليه فأي رتبة أجل من كون العبد واسطة بين ربه سبحانه وبين خلقه في تقريبهم إلى
الله عز وجل زلفى وسياقتهم إلى جنة المأوى

الباب الثاني في العلم المحمود والمذموم وأقسامهما وفيه بيان ما هو فرض عين وما هو فرض كفاية وبيان موقع الفقه والكلام من علم الدين إلى أي حد هو وتفضيل علم الآخرة

بيان العلم الذي هو فرض عين

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلبوا العلم ولو بالصين وقال صلى الله عليه وسلم

طلب العلم فريضة على كل مسلم واختلف
الناس في العلم الذي هو مفروض على كل احد وتفرقوا فيه اكثر من عشرين
فرقة ولا نطول بنقل التفصيل ولكن حاصله ان كل فريق نزل الوجوب على العلم الذي هو بصدده فقال
المتكلمون هو علم الكلام اذ به يدرك التوحيد ويعلم ذات الله وصفاته وقال الفقهاء هو علم
الفقه اذ به تعرف العبادات والحلال والحرام وما يحرم من المعاملات وما يحل وعنوا به ما يحتاج
اليه الآحاد دون الوقائع النادرة وقال المفسرون والمحدثون هو علم الكتاب والسنة اذ
بهما يتوصل الى العلوم كلها وقال المتصوفة المراد به هذا العلم فقال بعضهم هو علم العبد
بحاله ومقامه من الله تعالى وقال بعضهم هو العلم بالاخلاص وآفات النفوس وتمييز لمة الملك
من لمة الشيطان وقال بعضهم هو علم الباطن وذلك يجب على اقوام مخصوصين وهم اهل ذلك وصرفوا
اللفظ عن عمومه وقال ابو طالب المكي هو العلم بما يتضمنه الحديث الذي فيه مباني الاسلام
وهو قوله صلى الله عليه وسلم بني الاسلام على خمس لان الواجب هذه الخمس فيجب العلم بكيفية
العمل فيها وبكيفية الوجوب والذي ينبغي ان يقطع به المحصل ولا يستريب فيه ما سنذكره وهو ان
العلم كما قدمناه في خطبة الكتاب ينقسم الى علم معاملة وعلم مكاشفة وليس المراد
بهذا العلم الا علم المعاملة والمعاملة التي كلف العبد العاقل البالغ بها ثلاثة اعتقاد وفعل
وترك فاذا بلغ الرجل العاقل بالاحتلام او السن ضحوة نهار مثلا فاول واجب عليه تعلم كلمتي الشهادة
وفهم معناهما وهو قول لا اله الا الله محمد رسول الله وليس يجب عليه ان يحصل كشف ذلك لنفسه
بالنظر والبحث وتحرير الادلة بل يكفيه ان يصدق به ويعتقده جزما من غير اختلاج ريب واضطراب
نفس وذلك قد يحصل بمجرد التقليد والسماع من غير بحث ولا برهان اذ اكتفى رسول الله صلى الله عليه وسلم
من اجلاف العرب بالتصديق والاقرار من غير تعلم دليل فاذا فعل ذلك فقد ادى واجب الوقت
وكان العلم الذي هو فرض عليه في الوقت تعلم الكلمتين وفهمهما وليس يلزمه امر وراء هذا في الوقت بدليل
انه لو مات عقيب ذلك مات مطيعا لله تعالى غير عاص وانما يجب غير ذلك بعوارض تعرض وليس
ذلك ضروريا في حق كل شخص بل يتصور الانفكاك عنه وتلك العوارض اما ان تكون في الفعل
واما في الترك واما في الاعتقاد اما الفعل فبان يعيش من ضحوة النهار الى وقت الظهر فيتجدد
عليه بدخول وقت الظهر تعلم الطهارة والصلاة جميعا وان كان صحيحا وكان بحيث لو صبر الى زوال
الشمس لم يتمكن من تمام التعلم والعمل في الوقت بل يخرج الوقت لو اشتغل بالتعلم فلا يبعد ان يقال
الظاهر بقاؤه فيجب عليه تقديم التعلم على الوقت ويحتمل ان يقال وجوب العلم الذي هو شرط العمل
بعد وجوب العمل فلا يجب قبل الزوال وهكذا في بقية الصلوات فان عاش الى رمضان تجدد عليه
بسببه وجوب تعلم الصوم وهو ان يعلم ان وقته من الصبح الى غروب الشمس وان الواجب فيه النية
والامساك عن الاكل والشرب والوقاع وان ذلك يتمادى الى رؤية الهلال فان تجدد له مال او كان له مال عند
بلوغه لزمه تعلم ما يجب عليه من الزكاة ولكن لا يلزمه في الحال انما يلزمه عند تمام الحول من وقت

الاسلام فان لم يملك الا الابل لم يلزمه الا تعلم زكاة الابل وكذا في سائر الاصناف فان دخلت اشهر الحج فلا يلزمه
المبادرة الى علم الحج مع ان فعله على التراخي فلا يكون تعلمه على الفور ولكن ينبغي لعلماء الاسلام
ان ينبهوه على ان الحج فرض على التراخي على كل من ملك الزاد والراحلة اذا كان هو مالكا حتى ربما يرى
الحزم لنفسه في المبادرة فعند ذلك اذا عزم عليه لزمه تعلم كيفية الحج ولم يلزمه الا تعلم اركانه
وواجباته دون نوافله فان فعل ذلك نفل فتعلمه ايضا نفل فلا يكون فرض عين وفي تحريم السكوت
على التنبيه على وجوب اصل الحج في الحال نظر يليق بالفقه وهكذا التدريج في علم سائر الافعال التي هي
فرض عين واما التروك فيجب تعلم ذلك بحسب ما يتجدد عليه من الحال وذلك يختلف بحال
الشخص اذ لا يجب على الابكم تعلم ما يحرم من الكلام ولا على الاعمى تعلم ما يحرم من النظر ولا على البدوي
ما يحرم فيه الجلوس من المساكن فذلك ايضا واجب بحسب ما يقتضيه الحال فما يعلم انه ينفك عنه
لا يجب عليه تعلمه وما هو ملابس له يجب تنبيهه عليه كما لو كان عند الاسلام لابسا الحرير او
جالسا في الغصب او ناظرا الى غير ذي محرم فيجب تعريفه ذلك وما ليس ملابسا له ولكنه بصدد التعرض
له على القرب فيجب تعليمه حتى اذا كان في بلد يتعاطى فيه شرب الخمر واكل لحم الخنزير فيجب تعليمه ذلك
وتنبيهه عليه وما وجب تعليمه وجب عليه تعلمه واما الاعتقادات واعمال القلوب
فيجب علمها بحسب الخواطر فان خطر له شك في المعاني التي تدل عليها كلمتا الشهادة فيجب عليه
تعلم ما يتوصل به الى ازالة الشك فان لم يخطر له ذلك ومات قبل ان يعتقد ان كلام الله تعالى قديم وانه
مرئي وانه ليس محلا للحوادث الى غير ذلك مما يذكر في المعتقدات فقد مات على الاسلام اجماعا ولكن
هذه الخواطر الموجبة للاعتقادات بعضها يخطر بالطبع وبعضها بالسماع من اهل البلد
فان كان في بلد شاع فيه الكلام وتناطق الناس بالبدع فينبغي ان يصان في اول بلوغه عنها بتلقين
الحق فانه لو القي اليه الباطل لوجب ازالته عن قلبه وربما عسر ذلك كما انه لو كان هذا المسلم تاجرا
وقد شاع في البلد معاملة الربا وجب عليه تعلم الحذر منه فهذا هو الحق في العلم الذي هو فرض
عين ومعناه العلم بكيفية العمل الواجب فمن علم العلم الواجب ووقت وجوبه فقد علم العلم الذي
هو فرض عين وما ذكره الصوفية من فهم خواطر العدو ولمة الملك حق ايضا ولكن في حق من
يتصدى له واذا كان الغالب ان الانسان لا ينفك عن دواعي الشر والرياء والحسد فيلزمه ان يتعلم
من علم ربع المهلكات ما يرى نفسه محتاجا اليه وكيف لا يجب عليه وقد قال صلى الله عليه وسلم
ثلاث مهلكات الحديث ولا ينفك عنها بشر وبقية ما سنذكره من مذمومات احوال القلب كالكبر
والعجب واخواتها تتبع هذه الثلاث المهلكات وازالتها فرض عين ولا يمكن الا بمعرفة حدودها
ومعرفة اسبابها ومعرفة علاماتها فان من لا يعرف الشر يقع فيه والعلاج هو مقابلة السبب بضده
فكيف يمكن دون معرفة السبب والمسبب واكثر ما ذكرناه في ربع المهلكات من فروض الاعيان
وقد تركه الناس كافة اشتغالا بما لا يعني ومما ينبغي ان يبادر في القائه اليه اذا لم يكن قد انتقل

وعلم اخر وهو الايمان بالجنة والنار والحشر والنشر حتى يومن به ويصدق وهو من تتمة كلمتي الشهادة فانه بعد التصديق بكونه صلى الله عليه وسلم رسولا ينبغي ان يفهم الرسالة التي هو مبلغها وهو ان من اطاع الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم فله الجنة ومن عصى فله النار واذا انتبهت لهذا التدريج علمت ان المذهب الحق هو هذا وتحققت ان كل عبد هو في مجاري احواله في يومه وليلته لا يخلو من وقائع في عباداته ومعاملاته عن تجدد لوازم عليه فيلزمه السوال عن كل ما يقع من النوادر ويلزمه المبادرة الى تعلم ما يتوقع وقوعه على القرب غالبا فاذا تبين انه صلى الله عليه وسلم انما اراد بالعلم المعرف بالالف واللام في قوله صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة على كل مسلم علم العمل الذي هو مشهور الوجوب على المسلمين لا غير فقد اتضح وجه التدريج ووقت وجوبه

بيان العلم الذي هو فرض كفاية

اعلم ان الفرض لا يتميز عن غيره الا بذكر اقسام العلوم والعلوم بالاضافة الى الغرض الذي نحن بصدده تنقسم الى شرعية وغير شرعية واعني بالشرعية ما استفيد من الانبياء صلوات الله عليهم اجمعين ولا يرشد العقل اليه مثل الحساب ولا التجربة مثل الطب ولا السماع مثل اللغة فالعلوم التي ليست بشرعية تنقسم الى ما هو محمود والى ما هو مذموم والى ما هو مباح فالمحمود ما يرتبط به مصالح امور الدنيا كالطب والحساب وذلك ينقسم الى ما هو فرض كفاية والى ما هو فضيلة وليس بفريضة اما فرض الكفاية فهو كل علم لا يستغنى عنه في قوام امور الدنيا كالطب اذ هو ضروري في حاجة بقاء الابدان وكالحساب فانه ضروري في المعاملات وقسمة الوصايا والمواريث وغيرهما وهذه هي العلوم التي لو خلا البلد عمن يقوم بها حرج اهل البلد واذا قام بها واحد كفى وسقط الفرض عن الاخرين ولا يتعجب من قولنا ان الطب والحساب من فروض الكفايات فان اصول الصناعات ايضا من فروض الكفايات كالفلاحة والحياكة والسياسة بل الحجامة فلو خلا البلد عن الحجام لتسارع الهلاك اليهم وحرجوا بتعريضهم انفسهم للهلاك فان الذي انزل الداء انزل الدواء وارشد الى استعماله واعد الاسباب لتعاطيه فلا يجوز التعرض للهلاك باهماله واما ما يعد فضيلة لا فريضة فالتعمق في دقائق الحساب وحقائق الطب وغير ذلك مما يستغنى عنه ولكنه يفيد زيادة في القدر المحتاج اليه واما المذموم منه فعلم السحر والطلسمات وعلم الشعوذة والتلبيسات واما المباح منه فالعلم بالاشعار التي لا سخف فيها وتواريخ الاخبار وما يجري مجراه واما العلوم الشرعية وهي المقصود بالبيان فهي محمودة كلها ولكن قد يلتبس بها ما يظن انها شرعية وتكون مذمومة فتنقسم الى المحمودة والمذمومة اما المحمودة منها فلها اصول وفروع ومقدمات ومتممات وهي اربعة اضرب

الضرب الاول الاصول

وهي اربعة كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم واجماع الامة وآثار الصحابة رضي الله عنهم والاجماع اصل من حيث انه يدل على السنة فهو اصل في الدرجة الثانية وكذلك الاثر فانه يدل ايضا على السنة لان الصحابة رضي الله عنهم قد شاهدوا الوحي والتنزيل وادركوا بقرائن الاحوال ما غاب عن غيرهم عيانه وربما لا تحيط العبارات بما ادرك بالقرائن فمن هذا الوجه راى العلماء الاقتداء بهم والتمسك بآثارهم وذلك بشرط مخصوص على وجه مخصوص عند من يراه ولا يليق بيانه بهذا الفن

الضرب الثاني الفروع

وهو ما فهم من هذه الاصول لا بموجب الفاظها بل بمعان تنبهت لها العقول فاتسع بسببها الفهم حتى فهم من اللفظ الملفوظ وغيره كما فهم من قوله صلى الله عليه وسلم لا يقضي القاضي وهو غضبان انه لا يقضي اذا كان حاقنا او جائعا او متالما بمرض وهذا على ضربين **احدهما** يتعلق بمصالح الدنيا ويحويه كتب الفقه والمتكفل به الفقهاء وهم علماء الدنيا **والثاني** ما يتعلق بالاخرة وهو علم احوال القلب واخلاقه المذمومة والمحمودة وما هو مرضي عند الله عز وجل وما هو مكروه وهو الذي يحويه الشطر الاخير من هذا الكتاب اعني جملة كتاب احياء علوم الدين ومنه العلم بما يترشح من القلب على الجوارح في عباداتها وعاداتها وهو الذي يحويه الشطر الاول من هذا الكتاب

الضرب الثالث المقدمات

وهي التي تجري منه مجرى الآلات كعلم اللغة والنحو فانهما آلة لعلم كتاب الله عز وجل وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وليست اللغة والنحو من العلوم الشرعية في انفسهما ولكن يلزم الخوض فيهما بسبب الشرع اذ جاءت هذه الشريعة بلغة العرب وكل شريعة فلا تظهر الا بلغة فيصير تعلم تلك اللغة آلة ومن الآلات علم كتابة الخط الا ان ذلك ليس ضروريا اذ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اميا ولو تصور استقلال الحفظ بجميع ما يسمع لاستغنى عن الكتابة ولكنه صار بحكم العجز في الغالب ضروريا

الضرب الرابع المتممات

وذلك في علم القرآن فانه ينقسم الى ما يتعلق باللفظ كتعلم القراءات ومخارج الحروف والى ما يتعلق بالمعنى كالتفسير فان اعتماده ايضا على النقل اذ اللغة بمجردها لا تستقل به والى ما يتعلق باحكامه كمعرفة الناسخ والمنسوخ والعام والخاص والنص والظاهر وكيفية استعمال البعض منه مع البعض وهو العلم الذي يسمى اصول الفقه ويتناول السنة ايضا واما المتممات في الآثار والاخبار فالعلم بالرجال واساميهم وانسابهم واسامي الصحابة رضي الله عنهم وصفاتهم والعلم بالعدالة في الرواة والعلم باحوالهم ليتميز الضعيف عن القوي والعلم باعمارهم ليتميز المرسل عن المسند وكذلك ما يتعلق به فهذه هي العلوم الشرعية وكلها محمودة بل كلها من فروض الكفايات

فان قلت لم الحقت الفقه بعلم الدنيا والحقت الفقهاء بعلماء الدنيا **فاعلم** ان الله عز وجل اخرج آدم عليه السلام من التراب واخرج ذريته من سلالة من طين ومن ماء دافق فاخرجهم من الاصلاب الى الارحام ومنها الى الدنيا ثم الى القبر ثم الى العرض ثم الى الجنة او الى النار فهذا مبدؤهم وهذا غايتهم وهذه منازلهم وخلق الدنيا زادا للمعاد ليتناول منها ما يصلح للتزود فلو تناولوها بالعدل لانقطعت الخصومات وتعطل الفقهاء ولكنهم تناولوها بالشهوات فتولدت منها الخصومات فمست الحاجة الى سلطان يسوسهم واحتاج السلطان الى قانون يسوسهم به فالفقيه هو العالم بقانون السياسة وطريق التوسط بين الخلق اذا تنازعوا بحكم الشهوات فكان الفقيه معلم السلطان

وهو شرف السياسة بين الخلق وضبطهم لتنتظم باستقامتهم أمورهم في دنياهم ولعمري هو متعلق أيضا
بالدين ولكن لا بنفسه بل بواسطة الدنيا فإن الدنيا مزرعة الآخرة ولا يتم الدين إلا بالدنيا والملك والدين
توأمان والدين أصل والسلطان حارس وما لا أصل له فمهدوم وما لا حارس له فضائع ولا يتم الملك والضبط
إلا بالسلطان وطريق الضبط في فصل الحكومات بالفقه وكما أن سياسة الخلق بالسلطنة ليس من
علم الدين في الدرجة الأولى بل هو معين على ما لا يتم الدين إلا به فكذلك معرفة طرق السياسة فمعلوم أن الحج
لا يتم إلا ببذرقة تحرس من العرب في الطريق ولكن الحج شيء وسلوك الطريق إلى الحج شيء ثان والقيام
بالحراسة التي لا يتم الحج إلا بها شيء ثالث ومعرفة طرق الحراسة وحيلها وقوانينها شيء رابع وحاصل
فن الفقه معرفة طرق السياسة والحراسة ويدل على ذلك ما روي مسندا لا يفتي الناس إلا ثلاثة
أمير أو مأمور أو متكلف فالأمير هو الإمام وكانوا هم المفتون والمأمور نائبه والمتكلف غيرهم
وهو الذي يتقلد تلك العهدة من غير حاجة وقد كان الصحابة رضي الله عنهم يحترزون عن الفتوى حتى كان
يحيل كل واحد منهم على صاحبه وكانوا لا يحترزون إذا سئلوا عن علم القرآن وطريق الآخرة وفي بعض
الروايات بدل المتكلف المرائي فإن من تقلد خطر الفتوى وهو غير متعين للحاجة فلا يقصد به إلا طلب
الجاه والمال فإن قلت هذا إن استقام لك في أحكام الجراحات والحدود والغرامات وفصل
الخصومات فلا يستقيم فيما يشتمل عليه ربع العبادات من الصلاة والصيام ولا فيما يشتمل عليه ربع
العادات من المعاملات من بيان الحلال والحرام فاعلم أن أقرب ما يتكلم الفقيه فيه
من الأعمال التي هي أعمال الآخرة ثلاثة الإسلام والصلاة والحلال والحرام وإذا تأملت منتهى
نظر الفقيه فيه علمت أنه لا يجاوز حدود الدنيا إلى الآخرة وإذا عرفت هذا في هذه الثلاثة فهو في
غيرها أظهر أما الإسلام فيتكلم الفقيه فيما يصح منه وفيما يفسد وفي شروطه وليس يلتفت فيه إلا إلى
اللسان وأما القلب فخارج عن ولاية الفقيه لعزل رسول الله صلى الله عليه وسلم أرباب السيوف
والسلطنة عنه حيث قال هلا شققت عن قلبه للذي قتل من تكلم بكلمة الإسلام معتذرا بأنه قال ذلك
من خوف السيف بل يحكم الفقيه بصحة الإسلام تحت ظلال السيوف مع أنه يعلم أن السيف لم يكشف
له عن نيته ولم يدفع عن قلبه غشاوة الجهل والحيرة ولكنه مشير على صاحب السيف فإن السيف
ممتد إلى رقبته واليد ممتدة إلى ماله وهذه الكلمة باللسان تعصم رقبته وماله ما دام له
رقبة ومال وذلك في الدنيا ولذلك قال صلى الله عليه وسلم أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله
فإذا قالوها فقد عصموا مني دماءهم وأموالهم فجعل أثر ذلك في الدم والمال وأما الآخرة فلا تنفع فيها
الأقوال بل أنوار القلوب وأسرارها وإخلاصها وليس ذلك من فن الفقه وإن خاض الفقيه فيه
كان كما لو خاض في الكلام والطب وكان خارجا عن فنه وأما الصلاة فالفقيه يفتي بالصحة
إذا أتى بصورة الأعمال مع ظاهر الشروط وإن كان غافلا في جميع صلاته من أولها إلى آخرها
مشغولا بالتفكر في حساب معاملاته في السوق إلا عند التكبير وهذه الصلاة لا تنفع في الآخرة

كما أن القول باللسان في الإسلام لا ينفع ولكن الفقيه يفتي بالصحة أي أن ما فعله حصل به امتثال صيغة الأمر
وانقطع به عنه القتل والتعزير فأما الخشوع وإحضار القلب الذي هو عمل الآخرة وبه ينفع العمل
الظاهر فلا يتعرض له الفقيه ولو تعرض له كان خارجا عن فنه وأما الزكاة فالفقيه ينظر إلى ما
يقطع به مطالبة السلطان حتى إذا امتنع من أدائها فأخذها السلطان قهرا حكم بأنه برئت ذمته
وحكي أن أبا يوسف كان يهب ماله لزوجته آخر الحول ويستوهب مالها إسقاطا للزكاة
فحكي ذلك لأبي حنيفة فقال ذلك من فقهه وصدق ذلك من فقه الدنيا ولكن مضرته في الآخرة أعظم من
كل جناية ومثل هذا هو العلم الضار وأما الحلال والحرام فالورع عن الحرام من الدين ولكن
الورع له أربع مراتب الأولى الورع الذي يشترط في عدالة الشهادة وهو الذي يخرج بتركه الإنسان
عن أهلية الشهادة والقضاء والولاية وهو الاحتراز عن الحرام الظاهر الثانية ورع الصالحين
وهو التوقي من الشبهات التي تتقابل فيها الاحتمالات قال النبي صلى الله عليه وسلم دع ما يريبك إلى
ما لا يريبك وقال عليه السلام الإثم حزاز القلوب الثالثة ورع المتقين وهو ترك الحلال
المحض الذي يخاف منه أداؤه إلى الحرام قال صلى الله عليه وسلم لا يكون الرجل من المتقين حتى يدع
ما لا بأس به مخافة مما به بأس وذلك مثل التورع عن التحدث بأحوال الناس خيفة من الانجرار إلى الغيبة
والتورع عن أكل الشهوات خيفة من هيجان النشاط والبطر المؤدي إلى مقارفة المحظورات
الرابعة ورع الصديقين وهو الإعراض عما سوى الله تعالى خوفا من صرف ساعة من العمر
إلى ما لا يفيد زيادة قرب عند الله وإن كان يعلم ويتحقق أنه لا يفضي إلى حرام فهذه الدرجات كلها
خارجة عن نظر الفقيه إلا الدرجة الأولى وهو ورع الشهود والقضاة وما يقدح في العدالة
والقيام بذلك لا ينفي الإثم في الآخرة قال صلى الله عليه وسلم لوابصة استفت قلبك وإن أفتوك
وإن أفتوك وإن أفتوك والفقيه لا يتكلم في حزازات القلوب وكيفية العمل بها بل فيما يقدح في العدالة فقط
فإذا جميع نظر الفقيه مرتبط بالدنيا التي بها صلاح الآخرة فإن تكلم في شيء من صفات القلب وأحكام
الآخرة فذلك يدخل في كلامه على سبيل التطفل كما قد يدخل في كلامه شيء من الطب والحساب والنجوم وعلم
الكلام وكما تدخل الحكمة في النحو والشعر وكان سفيان الثوري رضي الله عنه وهو إمام في علم
الظاهر يقول إن طلب هذا ليس من زاد الآخرة كيف وقد اتفقوا على أن الشرف في العلم العمل به
فكيف يظن أنه علم الظهار واللعان والسلم والإجارة والصرف ومن تعلم هذه الأمور ليتقرب بها إلى
الله سبحانه فهو مجنون وإنما العمل بالقلب والجوارح في الطاعات والشرف هو تلك الأعمال
فإن قيل لم سويت بين الفقه والطب إذ الطب أيضا يتعلق بالدنيا وهو صحة الجسد
وذلك يتعلق به أيضا صلاح الدين وهذه التسوية تخالف إجماع المسلمين فاعلم
أن التسوية غير لازمة بل بينهما فرق وأن الفقه أشرف من الطب من ثلاثة أوجه أحدها أنه علم شرعي
إذ هو مستفاد من النبوة بخلاف الطب فليس من علم الشرع والثاني أنه لا يستغني عنه أحد من سالكي

طريق الآخرة البتة لا الصحيح ولا المريض وأما الطب فلا يحتاج إليه إلا المرضى وهم الأقلون والثالث أنه
علم الفقه مجاور لعلم طريق الآخرة لأنه نظر في أعمال الجوارح ومصدر الأعمال ومنشؤها صفات القلوب
فالمحمود من الأعمال يصدر من الأخلاق المحمودة المنجية في الآخرة والمذموم يصدر من المذموم وليس
يخفى اتصال الجوارح بالقلب **وأما** الصحة والمرض فمنشؤهما صفاء في المزاج والأخلاط
وذلك من أوصاف البدن لا من أوصاف القلب فمهما أضيف الفقه إلى الطب ظهر شرفه وإذا أضيف علم
طريق الآخرة إلى الفقه ظهر أيضا شرف علم طريق الآخرة **فإن قلت** فصل لي علم طريق الآخرة تفصيلا
يشير إلى أجمعه وإن لم يمكن استقصاء تفاصيله **فاعلم** أنه قسمان علم مكاشفة وعلم معاملة
فالقسم الأول علم المكاشفة وهو علم الباطن وذلك غاية العلوم فقد قال بعض
العارفين من لم يكن له نصيب من هذا العلم أخاف عليه سوء الخاتمة وأدنى النصيب منه التصديق به
وتسليمه لأهله **وقال** آخر من كان فيه خصلتان لم يفتح له بشيء من هذا العلم بدعة أو كبر **وقيل** من كان
محبا للدنيا أو مصرا على هوى لم يتحقق به وقد يتحقق بسائر العلوم وأقل عقوبة من ينكره أن لا يذوق
منه شيئا وهو علم الصديقين والمقربين أعني علم المكاشفة فهو عبارة عن نور يظهر في القلب عند تطهيره
وتزكيته من صفاته المذمومة وينكشف من ذلك النور أمور كان يسمع من قبل أسماءها فيتوهم لها
معاني مجملة غير متضحة فتتضح إذ ذاك حتى تحصل المعرفة الحقيقية بذات الله تعالى وبصفاته الباقيات
الكاملات وبأفعاله وبحكمته في خلق الدنيا والآخرة ووجه ترتيبه الآخرة على الدنيا والمعرفة بمعنى
النبوة والنبي ومعنى الوحي ومعنى لفظ الملائكة والشياطين وكيفية معاداة الشيطان
للإنسان وكيفية ظهور الملك للأنبياء عليهم السلام وكيفية وصول الوحي إليهم والمعرفة بملكوت
السموات والأرض ومعرفة القلب وكيفية تصادم جنود الملائكة والشياطين فيه **ومعرفة**
الآخرة والجنة والنار وعذاب القبر والصراط والميزان والحساب **ومعنى** قوله تعالى اقرأ كتابك كفى بنفسك
اليوم عليك حسيبا **ومعنى** قوله تعالى وإن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون
ومعنى لقاء الله عز وجل والنظر إلى وجهه الكريم ومعنى القرب منه والنزول في جواره **ومعنى**
حصول السعادة بمرافقة الملأ الأعلى ومقارنة الملائكة والنبيين **ومعنى** تفاوت درجات
الجنان حتى يرى بعضهم البعض كما يرى الكوكب الدري في جو السماء إلى غير ذلك مما يطول تفصيله
إذ للناس في معنى هذه الأمور بعد التصديق بأصولها مقامات شتى فبعضهم يرى أن جميع ذلك
أمثلة وأن الذي أعده الله لعباده الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وأنه ليس
مع الخلق من الجنة إلا الصفات والأسماء وبعضهم يرى أن بعضها أمثلة وبعضها يوافق حقائقها
المفهومة من ألفاظها وكذا يرى بعضهم أن منتهى معرفة الله سبحانه الاعتراف بالعجز عن معرفته
وبعضهم يدعي أمورا عظيمة في المعرفة بالله سبحانه وبعضهم يقول حد معرفة الله سبحانه ما انتهى
إليه اعتقاد العوام وهو أنه موجود عالم قادر سميع بصير متكلم **فنعني** بعلم المكاشفة

أن يرتفع الغطاء حتى تتضح جلية الحق في هذه الأمور اتضاحا يجري مجرى العيان الذي لا يشك فيه وهذا ممكن في
جوهر الإنسان لولا أن مرآة القلب قد تراكم صدؤها وخبثها بقاذورات الدنيا **وإنما** نعني بعلم طريق الآخرة
العلم بكيفية تصقيل هذه المرآة عن هذه الخبائث التي هي الحجاب عن الله سبحانه وعن معرفة صفاته وأفعاله
وإنما تصفيته وتطهيره بالكف عن الشهوات والاقتداء بالأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين في جميع
أحوالهم فبقدر ما ينجلي من القلب ويحاذى به شطر الحق تتلألأ فيه حقائقه ولا سبيل إليه إلا بالرياضة
التي يأتي تفصيلها في موضعه وبالعلم والتعليم **وهذه** هي العلوم التي لا تسطر في الكتب ولا يتحدث بها
من أنعم الله سبحانه عليه بشيء منها إلا مع أهله وهو المشارك فيه على سبيل المذاكرة وبطريق الإسرار
وهذا هو العلم الخفي الذي أراده صلى الله عليه وسلم بقوله إن من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه إلا أهل
المعرفة بالله سبحانه فإذا نطقوا به لم يجهله إلا أهل الاغترار بالله تعالى فلا تحقروا عالما آتاه الله علما
منه فإن الله عز وجل لم يحقره إذ آتاه إياه **وأما القسم الثاني** وهو علم المعاملة فهو علم أحوال
القلب أما ما يحمد منها فكالصبر والشكر والخوف والرجاء والرضى والزهد والتقوى والقناعة
والسخاء ومعرفة المنة لله تعالى في جميع الأحوال والإحسان وحسن الظن وحسن الخلق وحسن المعاشرة
والصدق والإخلاص فمعرفة حقائق هذه الأحوال وحدودها وأسبابها التي
بها تكتسب وثمرتها وعلامتها ومعالجة ما ضعف منها حتى يقوى وما زال حتى يعود
من علم الآخرة **وأما** ما يذم فخوف الفقر وسخط المقدور والغل والحقد والحسد والغش
وطلب العلو وحب الثناء وحب طول البقاء في الدنيا للتمتع والكبر والرياء والغضب والأنفة و
العداوة والبغضاء والطمع والبخل والرغبة والبذخ والأشر والبطر وتعظيم الأغنياء والاستهانة
بالفقراء والفخر والخيلاء والتنافس والمباهاة والاستكبار عن الحق والخوض فيما لا يعني وحب
كثرة الكلام والصلف والتزين للخلق والمداهنة والعجب والاشتغال عن عيوب النفس بعيوب
الناس وزوال الحزن من القلب وخروج الخشية منه وشدة الانتصار للنفس إذا نالها الذل وضعف
الانتصار للحق واتخاذ إخوان العلانية على عداوة السر والأمن من مكر الله سبحانه في سلب ما
أعطى والاتكال على الطاعة والمكر والخيانة والمخادعة وطول الأمل والقسوة والفظاظة
والفرح بالدنيا والأسف على فواتها والأنس بالمخلوقين والوحشة لفراقهم والجفاء والطيش والعجلة
وقلة الحياء وقلة الرحمة **فهذه** وأمثالها من صفات القلب مغارس الفواحش ومنابت الأعمال
المحظورة **وأضدادها** وهي الأخلاق المحمودة منبع الطاعات والقربات فالعلم بحدود هذه الأمور وحقائقها
وأسبابها وثمراتها وعلاجها هو علم الآخرة وهو فرض عين في فتوى علماء الآخرة
فالمعرض عنها هالك بسطوة ملك الملوك في الآخرة **كما** أن المعرض عن الأعمال الظاهرة هالك
بسيف سلاطين الدنيا بحكم فتوى فقهاء الدنيا فنظر الفقهاء في فروض العين بالإضافة إلى صلاح
الدنيا وهذا بالإضافة إلى صلاح الآخرة ولو سئل فقيه عن معنى من هذه المعاني حتى عن الإخلاص مثلا

ومن التوكل او عن وجه الاحتراز عن الربا بالتوقف فيه مع انه من عينه الذي في امثاله مما لا بد والاخص
ولو سألته عن اللعان والظهار والسبق والرمي لسرد عليك مجلدات من التفريعات الدقيقة التي تنقضي الدهور
ولا يحتاج الى شيء منها وان احتيج لم تخل البلد عمن يقوم بها ويكفيه مؤونة التعب فيها فلا يزال يتعب
فيها ليلا ونهارا في حفظها ودرسها ويغفل عما هو مهم نفسه في الدين واذا روجع فيه اشتغلت
به لانه علم الدين وفرض الكفاية ويلبس على نفسه وعلى غيره في تعلله والفطن يعلم انه لو كان غرضه اداء
حق الامر في فرض الكفاية لقدم عليه فرض العين بل قدم عليه كثيرا من فروض الكفايات فكم من بلدة ليس فيها
طبيب الا من اهل الذمة ولا يجوز قبول شهادتهم فيما يتعلق بالاطباء من احكام الفقه ثم لا نرى احدا
يشتغل به ويتهافتون على علم الفقه لا سيما الخلافيات والجدليات والبلد مشحون من الفقهاء بمن يشتغل
بالفتوى والجواب عن الوقائع فليت شعري كيف يرخص فقهاء الدين في الاشتغال بفرض كفاية قد قام به
جماعة واهمال ما لا قائم به هل لهذا سبب الا ان الطب ليس يتيسر التوصل به الى تولي الاوقاف
والوصايا وحيازة مال الايتام وتقلد القضاء والحكومة والتقدم به على الاقران والتسلط به على
الاعداء هيهات هيهات قد اندرس علم الدين بتلبيس علماء السوء فالله المستعان واليه الملاذ
ان يعيذنا من هذا الغرور الذي يسخط الرحمن ويضحك الشيطان **وقد** كان اهل الورع من علماء الظاهر
مقرين بفضل علماء الباطن وارباب القلوب **كان** الشافعي رحمه الله يجلس بين يدي شيبان الراعي
كما يقعد الصبي في المكتب ويسأله كيف يفعل في كذا وكذا فيقال له مثلك يسأل هذا البدوي فيقول
ان هذا وفق لما اغفلناه **وكان احمد بن حنبل** ويحيى بن معين يختلفان الى معروف
الكرخي ولم يكن في علم الظاهر بمنزلتهما وكانا يسألانه كيف وقد قال صلى الله عليه وسلم لما قيل
له كيف نفعل اذا جاءنا امر لم نجده في كتاب ولا سنة فقال صلى الله عليه وسلم سلوا الصالحين واجعلوه
شورى بينهم ولذلك قيل علماء الظاهر زينة الارض والملك وعلماء الباطن زينة السماء والملكوت
وقال الجنيد قال لي السري شيخي يوما اذا قمت من عندي فمن تجالس قلت المحاسبي فقال نعم
خذ من علمه وادبه ودع عنك تشقيقه للكلام ورده على المتكلمين ثم لما وليت سمعته يقول جعلك
الله صاحب حديث صوفيا ولا جعلك صوفيا صاحب حديث اشار به الى ان من حصل الحديث والعلم ثم
تصوف افلح ومن تصوف قبل العلم خاطر بنفسه **فان قلت** لم لم تورد في اقسام العلوم
الكلام والفلسفة وتبين انهما مذمومان او محمودان **فاعلم** ان حاصل ما يشتمل عليه علم الكلام
من الادلة التي ينتفع بها فالقرآن والاخبار مشتملة عليه وما خرج عنهما فهو اما مجادلة مذمومة
وهو من البدع كما سيأتي بيانه واما مشاغبة بالتعلق بمناقضات الفرق وتطويل بنقل المقالات
التي اكثرها ترهات وهذيانات تزدريها الطباع وتمجها الاسماع وبعضها خوض فيما لا يتعلق
بالدين ولم يكن شيء منه مألوفا في العصر الاول وكان الخوض فيه بالكلية من البدع ولكن تغير الان حكمه
اذ حدثت البدع الصارفة عن مقتضى القرآن والسنة ونبغت جماعة لفقوا لها شبها ورتبوا فيها كلاما

مؤلفا فصار ذلك المحذور بحكم الضرورة مأذونا فيه بل صار من فروض الكفايات وهو القدر الذي يقابل به
المبتدع اذا قصد الدعوة الى البدعة وذلك الى حد محدود سنذكره في الباب الذي يلي هذا ان شاء الله **واما**
الفلسفة فليست علما برأسها بل هي اربعة اجزاء **احدها** الهندسة والحساب وهما مباحان
كما سبق ولا يمنع منهما الا من يخاف عليه ان يتجاوز بهما الى علوم مذمومة فان اكثر الممارسين لهما قد خرجوا منهما
الى البدع فيصان الضعيف عنهما لا لعينهما كما يصان الصبي عن شاطئ النهر خيفة عليه من الوقوع في النهر
وكما يصان الحديث العهد بالاسلام عن مخالطة الكفار خوفا عليه مع ان القوي لا يندب الى مخالطتهم
والثاني المنطق وهو بحث عن وجه الدليل وشروطه ووجه الحد وشروطه وهما داخلان في علم الكلام
والثالث الالهيات وهو بحث عن ذات الله تعالى وصفاته وهو داخل في علم الكلام والفلاسفة
لم ينفردوا فيها بنمط آخر من العلم بل انفردوا بمذاهب بعضها كفر وبعضها بدعة وكما ان الاعتزال ليس
علما برأسه بل اصحابه طائفة من المتكلمين واهل البحث والنظر انفردوا بمذاهب باطلة فكذلك الفلاسفة
والرابع الطبيعيات وبعضها مخالف للشرع والدين الحق فهو جهل وليس بعلم حتى يورد في اقسام العلوم
وبعضها بحث عن صفات الاجسام وخواصها وكيفية استحالتها وتغيرها وهو شبيه بنظر الاطباء
الا ان الطبيب ينظر في بدن الانسان على الخصوص من حيث يمرض ويصح وهم ينظرون في جميع الاجسام من حيث
تتغير وتتحرك ولكن للطب فضل عليه وهو انه محتاج اليه واما علومهم في الطبيعيات فلا حاجة اليها
فاذا الكلام صار من جملة الصناعات الواجبة على الكفاية حراسة لقلوب العوام عن تخييلات المبتدعة
وانما حدث ذلك بحدوث البدع كما حدثت حاجة استئجار البذرقة في طريق الحج بحدوث ظلم العرب و
قطعهم الطريق ولو ترك العرب عدوانهم لم يكن استئجار الحراس من شروط طريق الحج فكذلك لو ترك المبتدع
هذيانه لما افتقر الى الزيادة على ما عهد في عصر الصحابة فليعلم المتكلم حده من الدين وان موقعه منه
موقع الخفير في طريق الحج فاذا تجرد الخفير للخفارة لم يكن من جملة الحاج والمتكلم اذا تجرد للمناظرة
والمدافعة ولم يسلك طريق الآخرة ولم يشتغل بتعهد القلب وصلاحه لم يكن من جملة علماء الدين اصلا وليس
عند المتكلم من الدين الا العقيدة التي يشاركه فيها سائر العوام وهي من جملة اعمال ظاهر القلب
واللسان وانما يتميز عن العامي بصنعة المجادلة والحراسة **فاما** معرفة الله سبحانه وصفاته
وافعاله وجميع ما اشرنا اليه في علم المكاشفة فلا يحصل من علم الكلام بل يكاد ان يكون الكلام حجابا ومانعا
منه وانما الوصول اليه بالمجاهدة التي جعلها الله سبحانه مقدمة للهداية حيث قال والذين جاهدوا
فينا لنهدينهم سبلنا **فان قلت** فقد رددت حد المتكلم الى حراسة عقيدة العوام
عن تشويش المبتدعة كما ان حد البذرقة حراسة امتعة الحجيج عن نهب العرب ورددت حد الفقيه
الى حفظ القانون الذي به يكف السلطان بعض اهل العدوان عن بعض وهاتان رتبتان نازلتان
بالاضافة الى علم الدين وعلماء الامة المشهورون بالفضل هم الفقهاء والمتكلمون وهم افضل الخلق عند
الله تعالى فكيف تنزل درجاتهم الى هذه المنزلة النازلة بالاضافة الى علم الدين **فاعلم**

ا من عرف الحق بالرجال حار في متاهات الضلال فاعرف الحق تعرف أهله إن كنت سالكا طريق الحق
وإن قنعت بالتقليد والنظر إلى ما اشتهر من درجات الفضل بين الناس فلا تغفل عن الصحابة رضي الله عنهم
وعلو منصبهم فقد أجمع الذين عنيتهم بالذكر على تقدمهم وأنه لا يدرك في الدين شأوهم ولا يشق غبارهم
ولم يكن تقدمهم بالكلام والفقه بل بعلم الآخرة وسلوك طريقها وما فضل أبو بكر رضي الله عنه الناس
بكثرة صلاة ولا بكثرة صيام ولا بكثرة رواية وفتوى وكلام ولكن بشيء وقر في صدره كما شهد له سيد البشر
صلى الله عليه وسلم فليكن حرصك في طلب ذلك السر فهو الجوهر النفيس والدر المكنون ودع عنك ما تطابق
أكثر الناس على تفخيمه وتعظيمه لأسباب ودواع يطول ذكر تفصيلها فلقد قبض رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن ألوف من الصحابة كلهم علماء بالله عز وجل أثنى عليهم صلى الله عليه وسلم ولم يكن فيهم أحد يحسن
صنعة الكلام ولم ينصب نفسه للفتوى منهم إلا بضعة عشر رجلا وكان ابن عمر منهم وكان
إذا سئل عن الفتوى يقول اذهب إلى فلان الأمير الذي تقلد أمور الناس وضعها في عنقه
إشارة إلى أن الفتوى في القضايا والأحكام من توابع الولاية والسلطنة ولما مات عمر رضي الله عنه
قال ابن مسعود رضي الله عنه مات تسعة أعشار العلم فقيل له أتقول ذلك وفينا جلة الصحابة فقال
لست أريد علم الفتوى والأحكام إنما أريد العلم بالله سبحانه أفترى أنه أراد صنعة الكلام والجدل فما بالك
لا تحرص على معرفة ذلك العلم الذي مات بموت عمر تسعة أعشاره وهو الذي سد باب الكلام والجدل
وضرب صبيغا بالدرة لما أورد عليه سؤالا في تعارض آيتين من كتاب الله عز وجل وهجره وأمر الناس
بهجرانه وأما قولك إن المشهورين من العلماء هم الفقهاء والمتكلمون فاعلم أن ما ينال
به الفضل عند الله عز وجل شيء وما ينال به الشهرة عند الناس شيء آخر فلقد كان شهرة أبي بكر (رضي الله عنه)
بالخلافة وكان فضله بالسر الذي وقر في صدره وكان شهرة عمر رضي الله عنه بالسياسة وكان فضله
بالعلم بالله تعالى الذي مات تسعة أعشاره بموته وبقصده التقرب إلى الله تعالى في ولايته وعدله
وشفقته على خلقه وهو أمر باطن في سره فأما سائر أفعاله الظاهرة فيتصور صدورها من طالبي
الجاه والاسم والسمعة والراغب في الشهرة فتكون الشهرة فيما هو المهلك والفضل فيما هو سر لا يطلع
عليه أحد فالفقهاء والمتكلمون مثل الخلفاء والقضاة وقد انقسموا فمنهم من أراد الله سبحانه
بعلمه وفتواه وذبه عن دينه ولم يطلب به رياء ولا سمعة فأولئك أهل رضوان الله وفضلهم عند
الله تعالى لعملهم بعلمهم ولإرادتهم وجه الله عز وجل بفتواهم ونظرهم فإن كل علم عمل فإنه فعل مكتسب
وليس كل عمل علما والطبيب يقدر على التقرب إلى الله عز وجل بعلمه فيكون مثابا على علمه من حيث
إنه عامل لله به والسلطان يتوسط بين الخلق لله فيكون مرضيا عند الله سبحانه لا من حيث إنه متكفل
بعلم الدين بل من حيث هو متقلد لعمل يقصد به التقرب إلى الله سبحانه **وأقسام** ما يتقرب به إلى الله
عز وجل ثلاثة علم مجرد وهو علم المكاشفة وعمل مجرد وهو كعدل السلطان مثلا وضبطه ومركب
من علم وعمل وهو علم طريق الآخرة فإن صاحبه من العلماء والعمال جميعا فانظر إلى نفسك أتكون

يوم القيامة في حزب علماء الله أو عمال الله سبحانه أو في حزبهما فتضرب بسهمك مع كل فريق منهما فهذا
أهم عليك من التقليد لمجرد الاشتهار ❁ خذ ما تراه ودع شيئا سمعت به ❁ في طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل ❁
على أنا سننقل من سير فقهاء السلف ما تعلم به أن الذين انتحلوا مذاهبهم ظلموهم وأنهم من أشد
خصمائهم يوم القيامة فإنهم ما قصدوا بالعلم إلا وجه الله سبحانه وقد شوهد من أحوالهم ما هو من علامات
علماء الآخرة كما سيأتي في باب علامات علماء الآخرة وأنهم ما كانوا متجردين لعلم الفقه بل كانوا مشتغلين
بعلم القلوب ومراقبين لها ولكن صرفهم عن التصنيف والتدريس فيه ما صرف الصحابة عن التصنيف والتدريس
في الفقه مع أنهم كانوا فقهاء مستقلين بعلم الفتاوى والصوارف والدواعي متيقنة ولا حاجة إلى ذكرها
ونحن الآن نذكر من أحوال فقهاء الإسلام ما تعلم به أن ما ذكرناه ليس طعنا فيهم بل هو طعن فيمن أظهر
الاقتداء بهم منتحلا مذاهبهم ومخالفا لهم في أعمالهم وسيرهم فالفقهاء الذين هم زعماء الفقه وقادة
الخلق أعني الذين كثر أتباعهم في المذاهب خمسة الشافعي ومالك وأبو حنيفة وأحمد بن حنبل وسفيان
الثوري رحمهم الله وكل واحد منهم كان عابدا أو زاهدا وعالما بعلوم الآخرة وفقيها في مصالح الخلق
في الدنيا ومريدا بفقهه وجه الله تعالى فهذه خمس خصال اتبعهم فقهاء العصر من جملتها على خصلة
واحدة وهو التشمير والمبالغة في تفاريع الفقه لأن الخصال الأربع لا تصلح إلا للآخرة وهذه الخصلة
الواحدة تصلح للدنيا والآخرة إن أريد بها الآخرة قل صلاحها للدنيا فشمروا لها وادعوا بها مشابهة أولئك
الأئمة وهيهات فلا تقاس الملائكة بالحدادين فلنورد من أحوالهم ما يدل على هذه الخصال الأربع
فإن معرفتهم بالفقه ظاهرة **أما الشافعي** رحمه الله فيدل على أنه كان عابدا ما روي أنه
كان يقسم الليل ثلاثة أجزاء ثلث للعلم وثلث للصلاة وثلث للنوم **وقال** الربيع كان الشافعي
يختم القرآن في رمضان ستين مرة كل ذلك في الصلاة وكان البويطي أحد أصحابه يختم القرآن في كل
ليلة مرة **وقال** الحسين الكرابيسي بت مع الشافعي غير ليلة فكان يصلي نحوا من ثلث الليل فما رأيته
يزيد على خمسين آية فإذا أكثر فمائة آية وكان لا يمر بآية رحمة إلا سأل الله سبحانه لنفسه ولجميع المؤمنين
ولا بآية عذاب إلا تعوذ منها وسأل النجاة لنفسه وللمؤمنين وكأنما جمع له الرجاء والخوف معا
فانظر كيف يدل اقتصاره على خمسين آية على تبحره في العلم بأسرار القرآن وتدبره فيه **وقال**
الشافعي ما شبعت منذ ست عشرة سنة لأن الشبع يثقل البدن ويقسي القلب ويزيل الفطنة ويجلب
النوم ويضعف صاحبه عن العبادة فانظر إلى حكمته في ذكر آفات الشبع ثم في جده في العبادة
إذ طرح الشبع لأجله ورأس التعبد تقليل الطعام **وقال** الشافعي أيضا ما حلفت بالله
لا صادقا ولا كاذبا فانظر إلى حرمته وتوقيره لله عز وجل ودلالة ذلك على علمه بجلال الله سبحانه
تعالى **وسئل** الشافعي عن مسألة فسكت فقيل له ألا تجيب رحمك الله فقال حتى أدري الفضل
في سكوتي أو في الجواب فانظر في مراقبته للسانه مع أنه أشد الأعضاء تسلطا على الفقهاء وأعصاها
عن الضبط والقهر وبه يستبين أنه كان لا يتكلم ولا يسكت إلا لنيل الفضل وطلب الثواب **وقال** أحمد

يحيى بن الوزير خرج الشافعي يوما من سوق القناديل فاذا رجل يسفه على رجل من اهل العلم فالتفت
الشافعي الينا وقال نزهوا اسماعكم عن استماع الخنا كما تنزهون السنتكم عن النطق به فان المستمع
شريك القائل وان السفيه لينظر الى اخبث شيء في انائه فيحرص ان يفرغه في اوعيتكم ولو ردت كلمة
السفيه لسعد رادها كما شقي بها قائلها وقال الشافعي كتب حكيم الى حكيم قد اوتيت علما فلا تدنس
علمك بظلمة الذنوب فتبقى في الظلمة يوم يسعى اهل العلم بنور علمهم **واما زهده**
فقد قال الشافعي رضي الله عنه من ادعى انه جمع بين حب الدنيا وحب خالقها فقد كذب وقال الحميدي خرج الشافعي
الى اليمن مع بعض الولاة فانصرف الى مكة بعشرة آلاف درهم فضرب له خباء في موضع خارج من مكة فكان
الناس يأتونه فما برح من موضعه ذلك حتى فرقها كلها وخرج من الحمام مرة فاعطى الحمامي مالا كثيرا
وسقط سوطه من يده مرة فرفعه انسان اليه فاعطاه جزاء عليه خمسين دينارا وسخاوة الشافعي اشهر
من ان تحكى وراس الزهد السخاء لان من احب شيئا امسكه ولم يفارقه ولا يفارق المال الا من صغرت الدنيا
في عينه وهو معنى الزهد ويدل على قوة زهده وشدة خوفه من الله تعالى واشتغال همه بالآخرة
ما روي انه روى سفيان بن عيينة حديثا في الرقائق فغشي على الشافعي فقيل له قد مات فقال ان
مات فقد مات افضل اهل زمانه وما رواه عبد الله بن محمد البلوي قال كنت انا وعمر بن نباتة جلوسا
نتذاكر العباد والزهاد فقال لي عمر ما رايت اورع ولا افصح من محمد بن ادريس الشافعي خرجت انا وهو
والحارث بن لبيد الى الصفا وكان الحارث تلميذ الصالح المري فافتتح يقرا وكان حسن الصوت فقرا هذا
يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون فرايت الشافعي وقد تغير لونه واقشعر جلده واضطرب
اضطرابا شديدا وخر مغشيا عليه فلما افاق جعل يقول اعوذ بالله من مقام الكذابين واعراض
الغافلين اللهم لك خضعت قلوب العارفين وذلت لك رقاب المشتاقين الهي هب لي جودك
وجللني بسترك واعف عن تقصيري بكرم وجهك قال ثم مشى وانصرفنا فلما دخلت بغداد وكان هو
بالعراق فقعدت على الشط اتوضا للصلاة اذ مر بي رجل فقال يا غلام احسن وضوءك احسن الله
اليك في الدنيا والآخرة فالتفت فاذا انا برجل يتبعه جماعة فاسرعت في وضوئي وجعلت اقفو
اثره فالتفت الي فقال هل لك من حاجة فقلت نعم تعلمني مما علمك الله شيئا فقال لي اعلم
ان من صدق الله نجا ومن اشفق على دينه سلم من الردى ومن زهد في الدنيا قرت عيناه بما يراه من ثواب
الله غدا الا ازيدك قلت نعم قال من كانت فيه ثلاث خصال فقد استكمل الايمان من امر بالمعروف وائتمر
ونهى عن المنكر وانتهى وحافظ على حدود الله تعالى الا ازيدك قلت بلى فقال كن في الدنيا
زاهدا وفي الآخرة راغبا واصدق الله في جميع امورك تنج مع الناجين ثم مضى فسالت من هذا
فقيل هو الشافعي فانظر الى سقوطه مغشيا عليه ثم الى وعظه كيف يدل ذلك على زهده وغاية
خوفه ولا يحصل هذا الخوف والزهد الا من معرفة الله سبحانه فانما يخشى الله من عباده العلماء
ولم يستفد الشافعي هذا الخوف من علم كتاب السلم والاجارة وسائر كتب الفقه بل هو من علوم

الآخرة المستخرجة من القرآن والاخبار اذ حكم الاولين والآخرين مودعة فيهما **واما** كونه عالما باسرار
القلب وعلوم الآخرة فتعرفه من الحكم الماثورة عنه **روي** انه سئل عن الرياء فقال على البديهة الرياء
فتنة عقدها الهوى حيال ابصار قلوب العلماء فنظروا اليها بسوء اختيار النفوس فاحبطت اعمالهم
وقال الشافعي اذا انت خفت على عملك العجب فاذكر رضى من تطلب وفي اي نعيم ترغب ومن
اي عقاب ترهب واي عافية تشكر واي بلاء تذكر فانك اذا تفكرت في واحدة من هذه الخصال صغر
في عينك عملك فانظر كيف ذكر حقيقة الرياء وعلاج العجب وهما من كبار آفات القلب
وقال الشافعي من لم يصن نفسه لم ينفعه علمه **وقال** من اطاع الله بالعلم نفعه سره
وقال ما من احد الا وله محب ومبغض فاذا كان كذلك فكن مع اهل طاعة الله عز وجل **وروي**
ان عبد القاهر بن عبد العزيز كان رجلا صالحا ورعا وكان يسأل الشافعي عن مسائل في الورع والشافعي
يقبل عليه لورعه فقال للشافعي ايما افضل الصبر او المحنة او التمكين فقال الشافعي التمكين درجة
الانبياء صلوات الله عليهم ولا يكون التمكين الا بعد المحنة فاذا امتحن صبر فاذا صبر مكن الا ترى ان الله
سبحانه امتحن ابراهيم عليه السلام ثم مكنه وامتحن موسى عليه السلام ثم مكنه وامتحن ايوب عليه السلام
ثم مكنه وامتحن سليمان ثم مكنه وآتاه ملكا والتمكين افضل الدرجات قال الله تعالى وكذلك مكنا ليوسف
وايوب بعد المحنة العظيمة مكن قال الله عز وجل وآتيناه اهله ومثلهم معهم الآية فهذا الكلام
من الشافعي يدل على تبحره في اسرار القرآن واطلاعه على مقامات السائرين الى الله عز وجل من الانبياء
والاولياء وكل ذلك من علوم الآخرة **وقيل** للشافعي متى يكون الرجل عالما قال اذا تحقق في علم فعلمه
وتعرض لسائر العلوم فنظر فيما فاته فعند ذلك يكون عالما **وقيل** لجالينوس انك تامر للداء
الواحد بالادوية الكثيرة المجتمعة فقال انما المقصود منها واحد وانما يجعل معه غيره لتسكن
حدته لان الافراد قاتل فهذا وامثاله مما لا يحصى يدل على علو رتبته في معرفة الله وعلوم الآخرة
واما ارادته بالفقه والمناظرة فيه وجه الله تعالى فيدل عليه ما روي عنه انه
قال وددت ان الناس انتفعوا بهذا العلم وما نسب الي شيء منه فانظر كيف اطلع على آفة
العلم وطلب الاسم به وكيف كان منزه القلب عن الالتفات اليه مجرد النية فيه لوجه الله عز وجل
وقال الشافعي ما ناظرت احدا قط فاحببت ان يخطئ **وقال** ما كلمت احدا قط الا
احببت ان يوفق ويسدد ويعان ويكون عليه رعاية من الله وحفظ وما كلمت احدا قط وانا
ابالي ان يبين الله الحق على لسانه او على لساني **وقال** ما اوردت الحق والحجة على احد فقبلها مني
الا هبته واعتقدت مودته ولا كابرني احد على الحق ودافع الحجة الا سقط من عيني ورفضته
فهذه العلامات هي التي تدل على ارادة الله سبحانه بالفقه والمناظرة **فانظر** كيف
تابعه الناس من جملة هذه الخصال على خصلة واحدة فقط ثم كيف خالفوه فيها **ولهذا** قال
ابو ثور ما رايت ولا راى الراؤون مثل الشافعي **وقال** احمد بن حنبل ما صليت صلاة منذ اربعين سنة

الا وانا ادعو للشافعي فيها فانظر الى انصاف الداعي والى درجة المدعو له وقس به الاقران والامثال من العلماء
في هذه الاعصار وما بينهم من المشاحنة والبغضاء لتعلم تقصيرهم في دعوى الاقتداء بهؤلاء ولكثرة دعائه
له قال له ابنه اي رجل كان الشافعي حتى تدعو له كل هذا الدعاء فقال احمد يا بني كان الشافعي كالشمس
للدنيا وكالعافية للناس فانظر هل لهذين من خلف **وقال** احمد ما مس احد بيده محبرة الا وللشافعي
في عنقه منة **وقال** يحيى بن سعيد القطان ما صليت صلاة منذ اربعين سنة الا وانا ادعو للشافعي
فيها لما فتح الله عليه من العلم ووفقه للسداد فيه **ولنقتصر** على هذه النبذة من احواله فان ذلك
خارج عن الحصر واكثر هذه المناقب نقلناه من الكتاب الذي صنفه الشيخ نصر بن ابراهيم المقدسي
في مناقب الشافعي رحمه الله **وأما مالك** رحمه الله فكان ايضا متحليا بهذه الخصال الخمس
فانه سئل ما تقول في طلب العلم فقال حسن جميل ولكن انظر الذي يلزمك من حين تصبح الى حين تمسي
فالزمه وكان رحمه الله في تعظيم علم الدين مبالغا حتى كان اذا اراد ان يحدث توضأ وجلس على صدر فراشه
وسرح لحيته واستعمل الطيب وتمكن في الجلوس على وقار وهيبة ثم حدث فقيل له في ذلك فقال احب ان اعظم
حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم **وقال** مالك العلم نور يجعله الله حيث يشاء وليس بكثرة الرواية
وهذا الاحترام والتوقير يدل على قوة معرفته بجلال الله سبحانه **وأما** ارادته وجه الله تعالى
بالعلم فيدل عليه قوله الجدال في الدين ليس بشيء **ويدل** عليه قول الشافعي انه قال شهدت مالكا
سئل عن ثمان واربعين مسألة فقال في اثنتين وثلاثين منها لا ادري ومن يرد غير وجه الله تعالى بعلمه فلا
تسمح نفسه بان يقر على نفسه بانه لا يدري **ولذلك** قال الشافعي اذا ذكر العلماء فمالك النجم الثاقب
وما احد امن علي من مالك **وروي** ان ابا جعفر المنصور منعه من رواية الحديث في طلاق المكره ثم دس
اليه من يسأله فروى على ملأ من الناس ليس على مستكره طلاق فضربه بالسياط ولم يترك رواية الحديث
وقال مالك ما كان رجل صادقا في حديثه ولا يكذب الا متع بعقله ولم تصبه مع الهرم آفة ولا خرف
وأما زهده في الدنيا فيدل عليه ما روي ان المهدي امير المؤمنين سأله فقال له هل لك من دار
فقال لا ولكن احدثك سمعت ربيعة بن ابي عبد الرحمن يقول نسب المرء داره **وسأله** الرشيد هل لك دار
فقال لا فاعطاه ثلاثة آلاف دينار وقال اشتر بها دارا فاخذها ولم ينفقها فلما اراد الرشيد الشخوص
قال لمالك ينبغي ان تخرج معنا فاني عزمت ان احمل الناس على الموطأ كما حمل عثمان رضي الله عنه الناس على
القرآن فقال له اما حمل الناس على الموطأ فليس الى ذلك سبيل لان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
افترقوا بعده في الامصار فحدثوا فعند اهل كل مصر علم **وقد** قال عليه السلام اختلاف امتي رحمة
واما الخروج معك فلا سبيل اليه **قال** صلى الله عليه وسلم المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون **وقال**
المدينة تنفي خبثها كما ينفي الكير خبث الحديد وهذه دنانيركم كما هي ان شئتم فخذوها وان شئتم فدعوها
يعني انك انما تكلفني مفارقة المدينة بما اصطنعته الي فلا اوثر الدنيا على مدينة رسول الله صلى الله
عليه وسلم **فهكذا** كان زهد مالك في الدنيا ولما حملت اليه الاموال الكثيرة من اطراف

الارض لانتشار علمه واصحابه كان يفرقها في وجوه الخير وسخاؤه يدل على زهده وقلة حبه للدنيا وليس
الزهد فقد المال وانما الزهد فراغ القلب عنه ولقد كان سليمان عليه السلام في ملكه من الزهاد **ويدل**
على احتقاره للدنيا ما روي عن الشافعي انه قال رأيت على باب مالك كراعا من افراس خراسان وبغال
مصر ما رأيت احسن منها فقلت لمالك ما احسنها فقال هي هدية مني اليك يا ابا عبد الله فقلت دع لنفسك
منها دابة تركبها فقال اني استحيي من الله ان اطأ تربة فيها نبي الله صلى الله عليه وسلم بحافر دابة فانظر الى
سخائه اذ وهب جميع ذلك دفعة واحدة والى توقيره لتربة المدينة **ويدل** على ارادته بالعلم وجه
الله تعالى واستحقاره للدنيا ما روي عنه انه قال دخلت على هارون الرشيد فقال يا ابا عبد الله ينبغي ان تختلف
الينا حتى يسمع صبياننا منك الموطأ قال فقلت اعز الله الامير ان هذا العلم منكم خرج فان انتم اعززتموه عز
وان انتم اذللتموه ذل والعلم يؤتى ولا يأتي فقال صدقت اخرجوا الى المسجد حتى تسمعوا مع الناس
وأما أبو حنيفة رحمه الله فلقد كان ايضا عابدا زاهدا عارفا بالله تعالى خائفا منه مريدا
وجه الله تعالى بعلمه **فأما** كونه عابدا فيعرف بما روي عن ابن المبارك انه قال كان ابو حنيفة له مروءة
وكثرة صلاة **وروى** حماد بن ابي سليمان انه كان يحيي الليل كله وروي انه كان يحيي نصف الليل فاشار اليه
انسان وهو يمشي وقال لآخر هذا هو الذي يحيي الليل كله فلم يزل بعد ذلك يحيي الليل كله وقال انا استحيي
من الله سبحانه ان اوصف بما ليس في من عبادته **وأما** زهده فقد روي عن الربيع بن عاصم قال ا
رسلني يزيد بن عمر بن هبيرة فقدمت بابي حنيفة عليه فاراده على بيت المال فابى فضربه عشرين سوطا
فانظر كيف هرب من الولاية واحتمل العذاب **وقال** الحكم بن هشام الثقفي حدثت بالشام عن ابي حنيفة
انه كان من اعظم الناس امانة واراده السلطان على ان يتولى مفاتيح خزائنه او يضرب ظهره فاختار عذابهم
على عذاب الله سبحانه **وروي** انه ذكر ابو حنيفة عند ابن المبارك فقال اتذكرون رجلا عرضت عليه
الدنيا بحذافيرها ففر منها **وروي** عن محمد بن شجاع عن بعض اصحابه انه قيل لابي حنيفة
قد امر لك ابو جعفر امير المؤمنين بعشرة آلاف درهم قال فما رضي ابو حنيفة فلما كان اليوم الذي توقع
ان يؤتى بالمال فيه صلى الصبح ثم تغشى بثوبه فلم يتكلم فجاء رسول الحسن بن قحطبة بالمال فدخل عليه
فلم يكلمه فقال بعض من حضر ما يكلمنا الا بالكلمة بعد الكلمة اي هذه عادته فقال ضعوا المال
في هذا الجراب في زاوية البيت ثم اوصى ابو حنيفة بعد ذلك بمتاع بيته فقال لابنه اذا مت ودفنتموني
فخذ هذه البدرة واذهب بها الى الحسن بن قحطبة فقل له خذ وديعتك التي اودعتها ابا حنيفة
قال ابنه ففعلت ذلك فقال الحسن رحمة الله على ابيك فلقد كان شحيحا على دينه **وروي** انه دعي
الى ولاية القضاء فقال انا لا اصلح لهذا فقيل له لم فقال ان كنت صادقا فما اصلح لها وان كنت كاذبا
فالكاذب لا يصلح للقضاء **وأما** علمه بطريق الآخرة وطريق امور الدين ومعرفته بالله تعالى
فيدل عليه شدة خوفه من الله تعالى وزهده في الدنيا **وقد** قال ابن جريج قد بلغني عن كوفيكم
هذا النعمان بن ثابت انه شديد الخوف من الله عز وجل **وقال** شريك النخعي كان ابو حنيفة

طول الصمت طويل الفكر قليل المحادثة للناس وهذا من أوضح الأمارات على العلم الباطن والاشتغال
بمهمات الدين فمن أوتي الصمت والزهد فقد أوتي العلم كله فهذه نبذة من أحوال الأئمة الثلاثة رضي الله عنهم
وأما أحمد بن حنبل وسفيان فأتباعهما أقل من هؤلاء وسفيان أقل أتباعا من أحمد
ولكن اشتهارهما بالورع والزهد أظهر وجميع هذا الكتاب مشحون بحكايات أفعالهما وأقوالهما
فلا حاجة إلى التفصيل الآن فانظر الآن في سير هؤلاء الأئمة الخمسة وتأمل أن هذه الأحوال
والأقوال والأعمال في الإعراض عن الدنيا والتجرد لله تعالى هل يثمرها مجرد العلم بفروع الفقه من معرفة السلم
والإجارة والظهار واللعان أو يثمرها علم آخر أعلى وأشرف منه وانظر إلى الذين ادعوا الاقتداء بهؤلاء
أصدقوا في دعواهم أم لا

الباب الثالث فيما تعده العامة من العلوم المحمودة وليس منها

وفيه بيان الوجه الذي به يكون بعض العلوم مذموما وبيان تبديل أسامي العلوم وهي الفقه والعلم والتوحيد
والتذكير والحكمة وبيان القدر المحمود من العلوم الشرعية والقدر المذموم منها

بيان علة ذم العلم المذموم

لعلك تقول العلم هو معرفة الشيء على ما هو به وهو من صفات الله تعالى فكيف يكون الشيء علما
ويكون مع كونه علما مذموما **فاعلم** أن العلم لا يذم لعينه وإنما يذم في حق العباد لأحد
أسباب ثلاثة **الأول** أن يكون مؤديا إلى ضرر ما إما لصاحبه وإما لغيره كما يذم علم السحر والطلسمات
وهو حق إذ شهد القرآن له وأنه سبب يتوصل به إلى التفرقة بين الزوجين وقد سحر رسول الله صلى الله
عليه وسلم ومرض بسببه حتى أخبره جبريل عليه السلام وأخرج السحر من تحت حجر في قعر بئر وهو نوع
يستفاد من العلم بخواص الجواهر وبأمور حسابية في مطالع النجوم فيتخذ من تلك الجواهر هيكل
على صورة الشخص المسحور ويترصد له وقت مخصوص من المطالع وتقرن به كلمات يتلفظ بها من الكفر
والفحش المخالف للشرع ويتوصل بسببها إلى الاستعانة بالشياطين ويحصل من مجموع ذلك بحكم إجراء
الله العادة أحوال غريبة في الشخص المسحور ومعرفة هذه الأسباب من حيث إنها معرفة ليست
مذمومة ولكنها ليست تصلح إلا للإضرار بالخلق والوسيلة إلى الشر شر فكان ذلك هو السبب
في كونه مذموما بل من اتبع وليا من أولياء الله تعالى ليقتله وقد اختفى منه في موضع حريز إذا سأل
عنه الظالم عن محله لم يجز تنبيهه عليه بل وجب الكذب فيه وذكر موضعه إرشاد وإفادة علم
بالشيء على ما هو به ولكنه مذموم لأدائه إلى الضرر **الثاني** أن يكون مضرا بصاحبه في غالب الأمر
كعلم النجوم فإنه في نفسه غير مذموم لذاته إذ هو قسمان قسم حسابي وقد نطق القرآن بأن مسير
القمر محسوب إذ قال تعالى الشمس والقمر بحسبان وقال عز وجل والقمر قدرناه منازل حتى عاد
كالعرجون القديم والثاني الأحكام وحاصله يرجع إلى الاستدلال على الحوادث بالأسباب

وهو يضاهي استدلال الطبيب بالنبض على ما سيحدث من المرض وهو معرفة لمجاري سنة الله تعالى وعادته
في خلقه ولكن قد ذمه الشرع **قال** رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ذكر القدر فأمسكوا وإذا ذكرت
النجوم فأمسكوا وإذا ذكر أصحابي فأمسكوا **وقال** صلى الله عليه وسلم أخاف على أمتي بعدي ثلاثا
حيف الأئمة والإيمان بالنجوم والتكذيب بالقدر **وقال** عمر رضي الله عنه تعلموا من النجوم ما تهتدون
به في البر والبحر ثم أمسكوا وإنما زجر عنه من ثلاثة أوجه **أحدها** أنه مضر بأكثر الخلق فإنه إذا
ألقي إليهم أن هذه الآثار تحدث عقيب سير الكواكب وقع في نفوسهم أن الكواكب هي المؤثرة
وأنها الآلهة المدبرة لأنها جواهر شريفة سماوية ويعظم وقعها في القلوب فيبقى القلب ملتفتا
إليها ويرى الخير والشر محذورا أو مرجوا من جهتها وينمحي ذكر الله عن القلب فإن الضعيف يقصر
نظره على الوسائط والعالم الراسخ هو الذي يطلع على أن الشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمر الله سبحانه
وتعالى ومثال نظر الضعيف إلى حصول ضوء الشمس عقيب طلوع الشمس مثال النملة لو خلق لها عقل
وكانت على سطح قرطاس وهي تنظر إلى سواد الخط يتجدد فيعتقد أنه فعل القلم ولا تترقى في
نظرها إلى مشاهدة الأصابع ثم منها إلى اليد ثم منها إلى الإرادة المحركة لليد ثم منها إلى الكاتب
القادر المريد ثم منه إلى خالق اليد والقدرة والإرادة فأكثر نظر الخلق مقصور على الأسباب
القريبة السافلة مقطوع عن الترقي إلى مسبب الأسباب فهذا أحد أسباب النهي عن النجوم
وثانيها أن أحكام النجوم تخمين محض ليس يدرك في حق آحاد الأشخاص لا يقينا ولا ظنا فالحكم
به حكم بجهل فيكون ذمه على هذا من حيث إنه جهل لا من حيث إنه علم فلقد كان ذلك معجزة لإدريس
صلوات الله عليه وسلامه فيما يحكى وقد اندرس ذلك العلم وانمحى وما يتفق من إصابة المنجم
على ندور فهو اتفاق لأنه قد يطلع على بعض الأسباب ولا يحصل المسبب عقيبها إلا بعد شروط كثيرة
ليس في قدرة البشر الاطلاع عليها فإن اتفق أن قدر الله تعالى بقية الأسباب وقعت الإصابة
وإن لم يقدر أخطأ ويكون ذلك كتخمين الإنسان في أن السماء تمطر اليوم مهما رأى الغيم يجتمع
وينبعث من الجبال فيتحرك ظنه بذلك وربما يحمى النهار بالشمس ويذهب الغيم وربما يكون بخلافه
ومجرد الغيم ليس كافيا في مجيء المطر وبقية الأسباب لا تدرى وكذلك تخمين الملاح أن السفينة تسلم اعتمادا
على ما ألفه من العادة في الرياح ولتلك الرياح أسباب خفية وهو لا يطلع عليها فتارة يصيب
في تخمينه وتارة يخطئ ولهذه العلة يمنع القوي عن النجوم أيضا **وثالثها** أنه لا فائدة فيه
فأقل أحواله أنه خوض في فضول لا يغني وتضييع العمر الذي هو أنفس بضاعة الإنسان في غير
فائدة وذلك غاية الخسران فقد مر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل والناس مجتمعون عليه
فقال ما هذا فقالوا رجل علامة فقال بماذا فقالوا بالشعر وأنساب العرب فقال علم لا ينفع
وجهل لا يضر **وقال** إنما العلم آية محكمة أو سنة قائمة أو فريضة عادلة فإذن الخوض في
النجوم وما يشبهه اقتحام خطر وخوض في جهالة من غير فائدة فإن ما قدر كائن والاحتراز

عنه منكر فلا من الطب مال الحاجة ماسة اليه والاكثر انه مما يطلع عليه وخلاف النجوم وان كان صحيحا انه جزء
من ستة واربعين جزءا من النبوة ولا خطر فيه **السبب الثالث** الخوض في علم لا يستفيد الخائض فيه
فائدة علم فهو مذموم في حقه كتعلم دقيق العلوم قبل جليلها وكالبحث عن الاسرار الالهية اذ تطلع الفلاسفة
والمتكلمون اليها ولم يستقلوا بها ولم يستقل بها وبالوقوف على طرق بعضها الا الانبياء والاولياء
فيجب كف الناس عن البحث عنها وردهم الى ما نطق به الشرع ففي ذلك مقنع للموفق فكم من شخص خاض
في العلوم واستضر بها ولو لم يخض فيها لكان حاله احسن في الدين مما صار اليه ولا ينكر كون العلم
ضارا لبعض الناس كما يضر لحم الطير وانواع الحلاوات اللطيفة بالصبي الرضيع بل رب شخص ينفعه
الجهل ببعض الامور فلقد حكي ان بعض الناس شكا الى طبيب عقم زوجته وانها لا تلد فجس الطبيب
نبضها وقال لا حاجة بك الى دواء الولادة فانك ستموتين الى اربعين يوما وقد دل النبض عليه
فاستشعرت المراة الخوف العظيم وتنغص عليها عيشها واخرجت اموالها وفرقتها واوصت
وبقيت لا تاكل ولا تشرب حتى انقضت المدة فلم تمت فجاء زوجها الى الطبيب وقال له لم تمت
فقال الطبيب قد علمت ذلك فجامعها الان فانها تلد فقال كيف ذلك قال رايتها سمينة وقد انعقد
الشحم على فم رحمها فعلمت انها لا تهزل الا بخوف الموت فخوفتها بذلك حتى هزلت وزال المانع من
الولادة فهذا ينبهك على استشعار خطر بعض العلوم ويفهمك معنى قوله صلى الله عليه وسلم
نعوذ بالله من علم لا ينفع فاعتبر بهذه الحكاية ولا تكن بحاثا عن علوم ذمها الشرع وزجر عنها ولازم
الاقتداء بالصحابة رضي الله عنهم واقتصر على اتباع السنة فالسلامة في الاتباع والخطر في البحث
والاستقلال ولا تكثر اللهج برايك ومعقولك ودليلك وبرهانك وزعمك اني ابحث عن الاشياء لاعرفها
على ما هي عليه فاي ضرر في التفكر في العلم فان ما يعود عليك من ضرره اكثر وكم من شيء تطلع عليه فيضرك اطلاعك
عليه ضررا يكاد يهلكك في الاخرة ان لم يتداركك الله برحمته **واعلم** انه كما
يطلع الطبيب الحاذق على اسرار في المعالجات يستبعدها من لا يعرفها فكذلك الانبياء اطباء القلوب
والعلماء باسباب الحياة الاخروية فلا تتحكم على سننهم بمعقولك فتهلك فكم من
شخص يصيبه عارض في اصبعه فيقتضي عقله ان يطليه حتى ينبهه الطبيب الحاذق ان علاجه
ان يطلي الكف من الجانب الاخر من البدن فيستبعد ذلك غاية الاستبعاد من حيث لا يعلم كيفية انشعاب
الاعصاب ومنابتها ووجه التفافها على البدن فهكذا الامر في طريق الاخرة وفي دقائق سنن الشرع
وادابه وفي عقائده التي تعبد الناس بها اسرار ولطائف ليست في سعة العقل وقوته الاحاطة بها
كما ان في خواص الاحجار امورا عجائب غاب عن اهل الصنعة علمها حتى لم يقدر احد ان يعرف السبب الذي به
يجذب المغناطيس الحديد فالعجائب والغرائب في العقائد والاعمال وافادتها لصفاء
القلوب ونقائها وطهارتها وتزكيتها واصلاحها للترقي الى جوار الله تعالى وتعرضها لنفحات
فضله اكثر واعظم مما في الادوية والعقاقير وكما ان العقول تقصر عن ادراك منافع الادوية

مع ان التجربة سبيل اليها فالعقول تقصر عن ادراك ما ينفع في حياة الاخرة مع ان التجربة غير متطرقة اليها
وانما كانت التجربة تتطرق اليه فيكفيك من منفعة العقل ان يهديك الى صدق النبي صلى الله عليه وسلم
ويفهمك موارد اشاراته ثم اعزل العقل بعد ذلك عن التصرف ولازم الاتباع فلا تسلم الا به والسلام ولذلك
قال صلى الله عليه وسلم ان من العلم جهلا وان من القول عيا ومعلوم ان العلم لا يكون جهلا ولكنه يؤثر تاثير
الجهل في الاضرار وقال صلى الله عليه وسلم قليل من التوفيق خير من كثير من العلم وقال عيسى عليه
السلام ما اكثر الشجر وليس كلها بمثمر وما اكثر الثمر وليس كلها بطيب وما اكثر العلوم وليس كلها
بنافع

بيان ما بدل من الفاظ العلوم

اعلم ان منشا التباس العلوم المذمومة بالعلوم الشرعية تحريف الاسامي المحمودة وتبديلها بالاغراض
الفاسدة الى معان غير ما اراده السلف الصالح والقرن الاول وهي خمسة الفاظ الفقه والعلم
والتوحيد والتذكير والحكمة فهذه اسام محمودة والمتصفون بها ارباب المناصب في الدين ولكنها
نقلت الان الى معان مذمومة وصارت القلوب تنفر عن مذمة من يتصف بمعانيها لشيوع اطلاق هذه
الاسامي عليهم **اللفظ الاول الفقه** فقد تصرفوا فيه بالتخصيص لا بالنقل والتحويل اذ
خصصوه بمعرفة الفروع الغريبة في الفتاوى والوقوف على دقائق عللها واستكثار الكلام فيها
وحفظ المقالات المتعلقة بها فمن كان اشد تعمقا فيها واكثر اشتغالا بها يقال هو الافقه ولقد
كان اسم الفقه في العصر الاول مطلقا على علم طريق الاخرة ومعرفة دقائق افات النفوس ومفسدات الاعمال
وقوة الاحاطة بحقارة الدنيا وشدة التطلع الى نعيم الاخرة واستيلاء الخوف على القلوب ويدلك
عليه قوله تعالى ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم وما به الانذار والتخويف هو هذا الفقه دون تفريعات
الطلاق والعتاق والسلم والاجارة فذلك لا يحصل به انذار ولا تخويف بل التجرد له على الدوام يقسي القلب
وينزع الخشية منه كما نشاهد الان من المتجردين له وقال تعالى لهم قلوب لا يفقهون بها واراد به معاني الايمان
دون الفتاوى ولعمري ان الفقه والفهم في اللغة اسمان لمعنى واحد وانما يتكلم في عادة الاستعمال به
قديما وحديثا وقال تعالى لانتم اشد رهبة في صدورهم من الله ذلك بانهم قوم لا يفقهون فاحال قلة خوفهم
من الله تعالى واستعظامهم سطوة الخلق على قلة الفقه فانظر ان كان ذلك نتيجة عدم الحفظ
لتفريعات الفتاوى او نتيجة عدم ما ذكرناه من العلوم وقال صلى الله عليه وسلم علماء حكماء فقهاء
للذين وفدوا عليه وسئل سعد بن ابراهيم الزهري اي اهل المدينة افقه فقال اتقاهم لله فكانه اشار الى
ثمرة الفقه والتقوى ثمرة العلم الباطن دون الفتاوى والاقضية وقال صلى الله عليه وسلم الا
انبئكم بالفقيه كل الفقيه قالوا بلى يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم من لم يقنط الناس من رحمة
الله ولم يؤمنهم من مكر الله ولم يؤيسهم من روح الله ولم يدع القرآن رغبة عنه الى ما سواه ولما
روى انس بن مالك قوله صلى الله عليه وسلم لان اقعد مع قوم يذكرون الله من غدوة الى طلوع الشمس احب
الي من ان اعتق اربع رقاب قال فالتفت الى يزيد الرقاشي وزياد النميري وقال لم تكن مجالس الذكر

لا يكون

مثل مجالسكم هذه يقص أحدكم وعظه على أصحابه ويسرد الحديث سرداً إنما كنا نقعد فنذكر الإيمان ونتدبر القرآن ونتفقه في الدين ونعد نعم الله عز وجل علينا فسمى تدبر القرآن وعد النعم تفقهاً وقال صلى الله عليه وسلم لا يفقه العبد كل الفقه حتى يمقت الناس في ذات الله سبحانه وحتى يرى للقرآن وجوهاً كثيرة وروي أيضاً موقوفاً عن أبي الدرداء رضي الله عنه مع قوله ثم يقبل على نفسه فيكون لها أشد مقتاً وسأل فرقد السبخي الحسن عن شيء فأجابه فقال إن الفقهاء يخالفونك فقال الحسن رضي الله عنه ثكلتك أمك فريقد وهل رأيت فقيهاً بعينك إنما الفقيه الزاهد في الدنيا الراغب في الآخرة البصير بدينه المداوم على عبادة ربه الورع الكاف عن أعراض المسلمين العفيف عن أموالهم الناصح لجماعتهم ولم يقل في جميع ذلك الحافظ لفروع الفتاوى ولست أقول إن اسم الفقه لم يكن متناولاً للفتاوى في الأحكام الظاهرة ولكن كان بطريق العموم والشمول أو بطريق الاستتباع وكان إطلاقهم له على علم الآخرة أكثر فبان من هذا التخصيص تلبيس بعث الناس على التجرد له والإعراض عن علم الآخرة وأحكام القلوب ووجدوا على ذلك معيناً من الطبع فإن علم الباطن غامض والعمل به عسير والتوصل به إلى طلب الولاية والقضاء والجاه والمال متعذر فوجد الشيطان مجالاً لتحسين ذلك في القلوب بواسطة تخصيص اسم الفقه الذي هو اسم محمود في الشرع

اللفظ الثاني العلم وقد كان يطلق ذلك على العلم بالله تعالى وبآياته وبأفعاله في عباده وخلقه حتى إنه لما مات عمر رضي الله عنه قال ابن مسعود رضي الله عنه لقد مات تسعة أعشار العلم فعرفه بالألف واللام ثم فسره بالعلم بالله سبحانه وقد تصرفوا فيه أيضاً بالتخصيص حتى شهروه في الأكثر بمن يشتغل بالمناظرة مع الخصوم في المسائل الفقهية وغيرها فيقال هو العالم على الحقيقة وهو الفحل في العلم ومن لا يمارس ذلك ولا يشتغل به يعد من جملة الضعفاء ولا يعدونه في زمرة أهل العلم وهذا أيضاً تصرف بالتخصيص ولكن ما ورد من فضائل العلم والعلماء أكثره في العلماء بالله عز وجل وبأحكامه وبأفعاله وبصفاته وقد صار الآن مطلقاً على من لا يحيط من علوم الشرع بشيء سوى رسوم جدلية في مسائل خلافية فيعد بذلك من فحول العلماء مع جهله بالتفسير والأخبار وعلم المذهب وغيره وصار ذلك سبباً مهلكاً لخلق كثير من أهل الطلب

اللفظ الثالث التوحيد وقد جعل الآن عبارة عن صناعة الكلام ومعرفة طريق المجادلة والإحاطة بطرق مناقضات الخصوم والقدرة على التشدق فيها بتكثير الأسئلة وإثارة الشبهات وتأليف الإلزامات حتى لقب طوائف منهم أنفسهم بأهل العدل والتوحيد وسمي المتكلمون العلماء بالتوحيد مع أن جميع ما هو خاصة هذه الصناعة لم يكن يعرف منها شيء في العصر الأول بل كان يشتد منهم النكير على من كان يفتح باباً من الجدل والمماراة فأما ما يشتمل عليه القرآن من الأدلة الظاهرة التي تسبق الأذهان إلى قبولها في أول السماع فلقد كان ذلك معلوماً للكل وكان العلم بالقرآن هو العلم كله وكان التوحيد عندهم عبارة عن أمر آخر لا يفهمه أكثر المتكلمين وإن فهموه لم يتصفوا به وهو أن يرى الأمور كلها من الله عز وجل رؤية تقطع التفاته عن الأسباب

والوسائط فلا يرى الخير والشر كله إلا منه جل جلاله فهذا مقام شريف إحدى ثمراته التوكل كما سيأتي بيانه في كتاب التوكل ومن ثمراته أيضاً ترك شكاية الخلق وترك الغضب عليهم والرضا والتسليم لحكم الله تعالى وكانت إحدى ثمراته قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه لما قيل له في مرضه أنطلب لك طبيباً فقال الطبيب أمرضني وقول آخر لما مرض فقيل له ماذا قال لك الطبيب في مرضك فقال قال لي إني فعال لما أريد وسيأتي شواهد ذلك في كتاب التوكل وكتاب التوحيد والتوحيد جوهر نفيس وله قشران أحدهما أبعد عن اللب من الآخر فخصص الناس الاسم بالقشر وبصنعة الحراسة للقشر وأهملوا اللب بالكلية فالقشر الأول هو أن تقول بلسانك لا إله إلا الله وهذا يسمى توحيداً مناقضاً للتثليث الذي صرح به النصارى ولكنه قد يصدر من المنافق الذي يخالف سره جهره والقشر الثاني أن لا يكون في القلب مخالفة وإنكار لمفهوم هذا القول بل يشتمل ظاهر القلب على اعتقاده والتصديق به وهو توحيد عوام الخلق والمتكلمون كما سبق حراس هذا القشر عن تشويش المبتدعة والثالث وهو اللباب أن يرى الأمور كلها من الله تعالى رؤية تقطع التفاته عن الوسائط وأن يعبده عبادة يفرده بها فلا يعبد غيره ويخرج عن هذا التوحيد اتباع الهوى فكل متبع هواه فقد اتخذ هواه معبوده قال الله تعالى أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وقال صلى الله عليه وسلم أبغض إله عبد في الأرض عند الله تعالى هو الهوى وعلى التحقيق من تأمل عرف أن عابد الصنم ليس يعبد الصنم وإنما يعبد هواه إذ نفسه مائلة إلى دين آبائه فيتبع ذلك الميل وميل النفس إلى المألوفات أحد المعاني التي يعبر عنها بالهوى ويخرج من هذا التوحيد التسخط على الخلق والالتفات إليهم فإن من يرى الكل من الله عز وجل كيف يتسخط على غيره فقد كان التوحيد عبارة عن هذا المقام وهو مقام الصديقين فانظر إلى ماذا حول وبأي قشر قنع منه وكيف اتخذوا هذا معتصماً في التمدح والتفاخر بما اسمه محمود مع الإفلاس عن المعنى الذي يستحق الحمد الحقيقي وذلك كإفلاس من يصبح بكرة ويتوجه إلى القبلة ويقول وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفاً وهو أول كذب يفاتح الله به كل يوم إن لم يكن وجه قلبه متوجهاً إلى الله تعالى على الخصوص فإنه إن أراد بالوجه وجه الظاهر فما وجهه إلا إلى الكعبة وما صرفه إلا عن سائر الجهات والكعبة ليست جهة للذي فطر السماوات والأرض حتى يكون المتوجه إليها متوجهاً إليه تعالى عن أن تحده الجهات والأقطار وإن أراد به وجه القلب وهو المطلوب المتعبد به فكيف يصدق في قوله وقلبه متردد في أوطاره وحاجاته الدنيوية ومتصرف في طلب الحيل في جمع الأموال والجاه واستكثار الأسباب ومتوجه بالكلية إليها فمتى وجه وجهه للذي فطر السماوات والأرض وهذه الكلمة خبر عن حقيقة التوحيد فالموحد هو الذي لا يرى إلا الواحد ولا يوجه وجهه إلا إليه وهو امتثال قوله تعالى قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون وليس المراد به القول باللسان فإنما اللسان ترجمان يصدق مرة ويكذب أخرى وإنما موقع نظر الله تعالى المترجم عنه وهو القلب وهو معدن التوحيد ومنبعه

اللفظ الرابع الذكر والتذكير وقد قال الله تعالى وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين

وقد روي في الثناء على مجالس الذكر أخبار كثيرة كقوله عليه السلام إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا
قيل وما رياض الجنة قال صلى الله عليه وسلم مجالس الذكر وفي الحديث إن لله عز وجل ملائكة سياحين في الهواء
سوى ملائكة الخلق إذا رأوا مجالس الذكر ينادي بعضهم بعضا ألا هلموا إلى بغيتكم فيأتونهم ويحفون بهم
ويستمعون ألا فاذكروا الله وذكروا أنفسكم. فنقل ذلك إلى ما ترى أكثر الوعاظ في هذا الزمان
يواظبون عليه وهو القصص والأشعار والشطح والطامات أما القصص فهو بدعة وقد ورد نهي
السلف عن الجلوس إلى القصاص وقالوا لم يكن ذلك في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا في زمان
أبي بكر وعمر رضي الله عنهما حتى ظهرت الفتنة وظهر القصاص وروي أن ابن عمر رضي الله عنهما خرج من المسجد
وقال ما أخرجني إلا القاص ولولاه ما خرجت وقال ضمرة قلت للثوري نستقبل القاص بوجوهنا
فقال ولوا البدع ظهوركم وقال ابن عون دخلت على ابن سيرين فقال ما كان اليوم من خبر
فقلت نهى الأمير القصاص أن يقصوا وقد دخل الأعمش جامع البصرة فرأى قاصا يقص ويقول حدثنا
الأعمش فتوسط الأعمش الحلقة وأخذ ينتف شعر إبطه فقال القاص يا شيخ ألا تستحيي فقال
لم أنا في سنة وأنت في كذب أنا الأعمش والله ما حدثتك وقال أحمد أكذب الناس القصاص والسؤال
وأخرج علي رضي الله عنه القصاص من مسجد البصرة ولما سمع كلام الحسن البصري لم يخرجه إذ كان
يتكلم في علم الآخرة والتفكر بالموت والتنبيه على عيوب النفس وآفات الأعمال وخواطر الشيطان
ووجه الحذر منها ويذكر بآلاء الله تعالى ونعمائه وتقصير العبد في شكره ويعرف حقارة الدنيا
وعيوبها وتصرمها وقلة عهدها وخطر الآخرة وأهوالها فهذا هو التذكير المحمود شرعا
الذي روي الحث عليه في حديث أبي ذر حيث قال حضور مجلس ذكر أفضل من صلاة ألف ركعة وحضور
مجلس علم أفضل من عيادة ألف مريض وحضور مجلس علم أفضل من شهود ألف جنازة فقيل يا رسول الله
ومن قراءة القرآن فقال صلى الله عليه وسلم وهل تنفع قراءة القرآن إلا بالعلم وقال عطاء مجلس ذكر
يكفر سبعين مجلسا من مجالس اللهو فقد اتخذ المزخرفون هذه الأحاديث حجة على تزكية أنفسهم
ونقلوا اسم التذكير إلى خرافاتهم وذهلوا عن طريق الذكر المحمود واشتغلوا بالقصص التي
تتطرق إليها الاختلاف والزيادة والنقصان وتخرج عن القصص الواردة في القرآن وتزيد عليها
فإن من القصص ما ينفع سماعه ومنه ما يضر وإن كان صدقا ومن فتح ذلك الباب على نفسه اختلط
عليه الصدق بالكذب والنافع بالضار فمن هذا نهي عنه ولذلك قال أحمد بن حنبل رحمه الله
ما أحوج الناس إلى قاص صادق فإن كان القصص من قصص الأنبياء فيما يتعلق بدينهم وكان القاص
صادقا صحيح الرواية فلست أرى به بأسا فليحذر الكذب وحكايات أحوال تومئ إلى هفوات
أو مساهلات يقصر فهم العوام عن درك معانيها أو عن كونها هفوة نادرة مردفة بتكفيرات
ومتداركة بحسنات تغطي عليها فإن العامي يعتصم بذلك في مساهلاته وهفواته ويمهد لنفسه
عذرا فيه ويحتج بأنه حكي كيت وكيت عن بعض المشايخ وبعض الأكابر وكلنا بصدد المعاصي

فلا عجب إن عصيت الله فقد عصاه من هو أكبر مني ويفيده ذلك جرأة على الله عز وجل من حيث لا يدري فبعد
الاحتراز من هذين المحذورين فلا بأس به وعند ذلك يرجع إلى القصص المحمود وإلى ما يشتمل عليه القرآن
ويصح في الكتب الصحيحة من الأخبار ومن الناس من يستجيز وضع الحكايات المرغبة في الطاعات
ويزعم أن قصده فيها دعوة الخلق إلى الحق وهذا من نزغات الشيطان فإن في الصدق مندوحة عن الكذب
وفيما ذكر الله سبحانه ورسوله صلى الله عليه وسلم غنية عن الاختراع في الوعظ كيف وقد كره تكلف السجع
وعد ذلك من التصنع قال سعد بن أبي وقاص لابنه عمر وقد سمعه يسجع هذا الذي يبغضك إلي لا قضيت
حاجتك أبدا وقد كان جاءه في حاجة وقد قال صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن رواحة في سجع من ثلاث
كلمات إياك والسجع يا ابن رواحة فكان السجع ما زاد على كلمتين ولذلك لما قال الرجل في دية الجنين
كيف ندي من لا شرب ولا أكل ولا صاح ولا استهل ومثل ذلك يطل فقال صلى الله عليه وسلم أسجع كسجع الأعراب
وأما الأشعار فتكثيرها في الوعظ مذموم قال الله تعالى والشعراء يتبعهم الغاوون ألم
تر أنهم في كل واد يهيمون الآية وقال عز وجل وما علمناه الشعر وما ينبغي له وأكثر ما اعتاده الوعاظ
من الأشعار ما يتعلق بالتواصف في العشق وجمال المعشوق وروح الوصال وألم الفراق والمجلس
لا يحوي إلا أجلاف العوام وبواطنهم محشوة بالشهوات وقلوبهم غير منفكة عن الالتفات إلى الصور
المليحة فلا تحرك الأشعار من قلوبهم إلا ما هو مستكن فيها فتشتعل فيها نيران الشهوات فيزعقون ويتواجدون
وأكثر ذلك أو كله يرجع إلى نوع فساد فلا ينبغي أن يستعمل من الشعر إلا ما فيه موعظة وحكمة على سبيل
استشهاد واستئناس فقد قال صلى الله عليه وسلم إن من الشعر لحكمة ولو حوى المجلس الخواص الذين
وقع الاطلاع على استغراق قلوبهم بحب الله تعالى ولم يكن معهم غيرهم فإن أولئك لا يضر معهم
الشعر الذي يشير ظاهره إلى الخلق فإن المستمع ينزل كل ما يسمعه على ما يستولي على قلبه كما سيأتي تحقيق
ذلك في كتاب السماع ولذلك كان الجنيد يتكلم على بضعة عشر رجلا فإن كثروا لم يتكلم وما تم أهل مجلسه
عشرين قط وحضر جماعة باب دار ابن سالم فقيل له تكلم فقد حضر أصحابك فقال لا ما هؤلاء أصحابي إنما هم أصحاب
المجلس إن أصحابي هم الخواص وأما الشطح فنعني به صنفين من الكلام أحدثهما بعض
المتصوفة أحدهما الدعاوى الطويلة العريضة في العشق مع الله والوصال المغني عن الأعمال
الظاهرة حتى ينتهي قوم إلى دعوى الاتحاد وارتفاع الحجاب والمشاهدة بالرؤية والمشافهة
بالخطاب فيقولون قيل لنا كذا وقلنا كذا ويتشبهون فيه بالحسين بن منصور الحلاج الذي صلب لأجل إطلاقه كلمات
من هذا الجنس ويستشهدون بقوله أنا الحق وبما حكي عن أبي يزيد البسطامي أنه قال سبحاني سبحاني
وهذا فن من الكلام عظيم ضرره في العوام حتى ترك جماعة من أهل الفلاحة فلاحتهم وأظهروا
مثل هذه الدعاوى فإن هذا الكلام يستلذه الطبع إذ فيه البطالة عن الأعمال مع تزكية النفس بدرك
المقامات والأحوال فلا تعجز الأغبياء عن دعوى ذلك لأنفسهم ولا عن تلقف كلمات مخبطة مزخرفة
ومهما أنكر ذلك عليهم لم يعجزوا عن أن يقولوا هذا إنكار مصدره العلم والجدل والعلم حجاب والجدل عمل النفس

ومن هذا الحديث لا يلوح إلا من الباطن بمكاشفة نور الحق فهذا ومثله مما قد استطار في بعض البلاد شرره وعظم في العوام ضرره حتى من نطق بشيء منه فقتله أفضل في دين الله من إحياء عشرة. وأما أبو يزيد البسطامي رحمه الله فلا يصح عنه ما يحكى وإن سمع ذلك منه فلعله كان يحكيه عن الله عز وجل في كلام يردده في نفسه كما لو سمع وهو يقول إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني فإنه ما كان ينبغي أن يفهم منه ذلك إلا على سبيل الحكاية. **الصنف** الثاني من الشطح كلمات غير مفهومة لها ظواهر رائقة وفيها عبارات هائلة وليس وراءها طائل وذلك إما أن تكون غير مفهومة عند قائلها بل يصدرها عن خبط في عقله وتشويش في خياله لقلة إحاطته بمعنى كلام قرع سمعه وهذا هو الأكثر وإما أن تكون مفهومة له ولكنه لا يقدر على تفهيمها وإيرادها بعبارة تدل على ضميره لقلة ممارسته للعلم وعدم تعلمه طريق التعبير عن المعاني بالألفاظ الرشيقة ولا فائدة لهذا الجنس من الكلام إلا أنه يشوش القلوب ويدهش العقول ويحير الأذهان أو يحمل على أن يفهم منها معان ما أريد بها ويكون فهم كل واحد على مقتضى هواه وطبعه **وقد قال** صلى الله عليه وسلم ما حدث أحدكم قوما بحديث لا يفقهونه إلا كان فتنة عليهم **وقال** صلى الله عليه وسلم كلموا الناس بما يعرفون ودعوا ما ينكرون أتريدون أن يكذب الله ورسوله وهذا فيما يفهمه صاحبه ولا يبلغه عقل المستمع فكيف فيما لا يفهمه قائله فإن كان يفهمه القائل دون المستمع فلا يحل ذكره وقال عيسى صلى الله عليه وسلم لا تضعوا الحكمة عند غير أهلها فتظلموها ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم وكونوا كالطبيب الرفيق يضع الدواء في موضع الداء **وفي لفظ** آخر من وضع الحكمة في غير أهلها جهل ومن منعها أهلها ظلم إن للحكمة حقا وإن لها أهلا فأعط كل ذي حق حقه. **وأما** الطامات فيدخلها ما ذكرناه في الشطح وأمر آخر يخصها وهو صرف ألفاظ الشرع عن ظواهرها المفهومة إلى أمور باطنة لا يسبق منها إلى الأفهام فائدة كدأب الباطنية في التأويلات وهذا أيضا حرام وضرره عظيم فإن الألفاظ إذا صرفت عن مقتضى ظواهرها بغير اعتصام فيها بنقل عن صاحب الشرع ومن غير ضرورة تدعو إليه من دليل العقل اقتضى ذلك بطلان الثقة بالألفاظ وسقط به منفعة كلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم فإن ما يسبق منه إلى الفهم لا يوثق به والباطن لا ضبط له بل تتعارض فيه الخواطر ويمكن تنزيله على وجوه شتى وهذا أيضا من البدع الشائعة العظيمة الضرر وإنما قصد أصحابها الإغراب لأن النفوس مائلة إلى الغريب ومستلذة له وبهذا الطريق توصل الباطنية إلى هدم جميع الشريعة بتأويل ظواهرها وتنزيلها على رأيهم كما حكيناه من مذهبهم في كتاب المستظهر المصنف في الرد على الباطنية ومثال تأويل أهل الطامات قول بعضهم في تأويل قوله عز وجل اذهب إلى فرعون إنه طغى إنه إشارة إلى قلبه وقال هو المراد بفرعون وهو الطاغي على كل إنسان وفي قوله وأن ألق عصاك أي كل ما تتوكأ عليه وتعتمده مما سوى الله تعالى فينبغي أن تلقيه **وفي قوله** عليه السلام تسحروا فإن في السحور بركة أراد به الاستغفار بالأسحار وأمثال ذلك حتى يحرفوا القرآن من أوله إلى آخره عن ظاهره وعن تفسيره

المنقول عن ابن عباس وسائر العلماء فبعض هذه التأويلات يعلم بطلانها قطعا كتنزيل فرعون على القلب فإن فرعون شخص محسوس تواتر إلينا وجوده ودعوة موسى صلى الله عليه وسلم له كأبي لهب وأبي جهل وغيرهما من الكفار وليس من جنس الشياطين والملائكة مما لم يدرك بالحس حتى يتطرق التأويل إلى ألفاظه وكذا حمل السحور على الاستغفار فإنه كان صلى الله عليه وسلم يتناول الطعام ويقول تسحروا وهلموا إلى الغذاء المبارك **فهذه** أمور تدرك بالتواتر والحس بطلانها نقلا وبعضها يعلم بغالب الظن وذلك في أمور لا يتعلق بها الإحساس فكل ذلك حرام وضلالة وإفساد للدين على الخلق ولم ينقل شيء من ذلك عن الصحابة ولا عن التابعين ولا عن الحسن البصري مع إكبابه على دعوة الخلق ووعظهم ولا يظهر لقوله صلى الله عليه وسلم من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار معنى إلا هذا النمط وهو أن يكون غرضه ورأيه تقرير أمر وتحقيقه فيستجر شهادة القرآن إليه ويحمله عليه من غير أن يشهد لتنزيله عليه دلالة لفظية لغوية أو نقلية ولا ينبغي أن يفهم منه أنه يجب ألا يفسر القرآن بالاستنباط والفكر فإن من الآيات ما نقل فيها عن الصحابة والتابعين والمفسرين خمسة معان وستة وسبعة ويعلم أن جميعها غير مسموع من النبي صلى الله عليه وسلم فإنها قد تكون متنافية لا تقبل الجمع فيكون ذلك مستنبطا بحسن الفهم وطول الفكر **ولهذا** قال النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل **ومن** يستجيز من أهل الطامات مثل هذه التأويلات مع علمه بأنها غير مرادة بالألفاظ ويزعم أنه يقصد بها دعوة الخلق إلى الخالق يضاهي من يستجيز الاختراع والوضع على رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هو في نفسه حق ولكن لم ينطق به الشرع كمن يضع في كل مسألة يراها حقا حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك ظلم وضلال ودخول في الوعيد المفهوم من قوله صلى الله عليه وسلم من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار **بل** الشر في تأويل هذه الألفاظ أطم وأعظم لأنها مبطلة للثقة بالألفاظ وقاطعة طريق الاستفادة والفهم من القرآن بالكلية **فقد** عرفت كيف صرف الشيطان دواعي الخلق عن العلوم المحمودة إلى المذمومة وكل ذلك من تلبيس علماء السوء بتبديل الأسامي فإن تبعت هؤلاء اعتمادا على الاسم المشهور من غير التفات إلى ما عرف في العصر الأول كنت كمن طلب الشرف بالحكمة باتباع من يسمى حكيما فإن اسم الحكيم صار يطلق على الطبيب والشاعر والمنجم في هذا العصر وذلك بالغفلة عن تبديل اللفظ.

اللفظ الخامس الحكمة فإن اسم الحكيم صار يطلق على الطبيب والشاعر والمنجم حتى على الذي يدحرج القرعة على أكف السوادية في شوارع الطرق والحكمة هي التي أثنى الله عز وجل عليها فقال تعالى ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا **وقال** عليه السلام كلمة من الحكمة يتعلمها الرجل خير له من الدنيا وما فيها **فانظر** ما الذي كانت الحكمة عبارة عنه وإلى ماذا نقل وقس به بقية الألفاظ واحترز عن الاغترار بتلبيسات علماء السوء فإن شرهم على الدين أعظم من شر الشياطين إذ الشيطان بواسطتهم يتدرج إلى انتزاع الدين من قلوب الخلق **ولهذا** لما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شر الخلق أبى وقال اللهم غفرا حتى كرروا عليه فقال صلى الله عليه وسلم هم علماء السوء فقد عرفت العلم المحمود

والمذموم ومقت ذاكره الناس وابتلي بمعاني بل تفطن لنفسه وبقي به خلف او تربى بمعرفة العلوم
وتشبه بالخلف فكان ما انقضاه السلف من العلوم قد اندرس وما اكب الناس عليه فاكثره مبتدع
محدث وقد صح قول رسول الله صلى الله عليه وسلم بدا الاسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدا فطوبى
للغرباء فقيل ومن الغرباء قيل الذين يصلحون ما افسد الناس من سنتي والذين يحيون ما اماتوا
من سنتي وفي خبر اخر هم المتمسكون بما انتم عليه اليوم وفي حديث اخر الغرباء ناس قليل
صالحون بين ناس كثير من يبغضهم في الخلق اكثر ممن يحبهم وقد صارت تلك العلوم غريبة بحيث يمقت
ذاكرها ولذلك قال الثوري اذا رايت العالم كثير الاصدقاء فاعلم انه مخلط لانه ان نطق بالحق ابغضوه

بيان القدر المحمود من العلوم المحمودة

اعلم ان العلم بهذا الاعتبار ثلاثة اقسام قسم هو مذموم قليله وكثيره وقسم هو
محمود قليله وكثيره وكلما كان اكثر كان احسن وافضل وقسم يحمد منه مقدار الكفاية ولا يحمد
الفاضل عليه والاستقصاء فيه وهو مثل احوال البدن فان منها ما يحمد قليله وكثيره كالصحة والجمال
ومنها ما يذم قليله وكثيره كالقبح وسوء الخلق ومنها ما يحمد الاقتصاد فيه كبذل المال فان
التبذير لا يحمد فيه وهو بذل وكالشجاعة فان التهور لا يحمد وان كان من جنس الشجاعة فكذلك العلم
فالقسم المذموم قليله وكثيره هو ما لا فائدة فيه في دين ولا دنيا اذ فيه ضرر يغلب نفعه كعلم السحر
والطلسمات والنجوم فبعضه لا فائدة فيه اصلا وصرف العمر الذي هو انفس ما يملكه الانسان اليه
اضاعة واضاعة النفيس مذموم ومنه ما فيه ضرر يربى على ما يظن انه يحصل به من قضاء وطر في
الدنيا فان ذلك لا يعتد به بالاضافة الى الضرر الحاصل منه واما القسم المحمود الى اقصى
غايات الاستقصاء فهو العلم بالله تعالى وبصفاته وافعاله وسنته في خلقه وحكمته في ترتيب
الاخرة على الدنيا فان هذا علم مطلوب لذاته وللتوصل به الى سعادة الاخرة وبذل المقدور فيه
الى اقصى الجهد قصور عن حد الواجب فانه البحر الذي لا يدرك غوره وانما يحوم الحائمون على سواحله
واطرافه بقدر ما يسر لهم وما خاض اطرافه الا الانبياء والاولياء والراسخون في العلم
على اختلاف درجاتهم بحسب اختلاف قوتهم وتفاوت تقدير الله تعالى في حقهم وهذا هو العلم المكنون
الذي لا يسطر في الكتب ويعين على التنبه له التعلم ومشاهدة احوال علماء الاخرة كما سياتي علامتهم
هذا في اول الامر ويعين عليه في الاخرة المجاهدة والرياضة وتصفية القلب وتفريغه عن علائق
الدنيا والتشبه فيها بالانبياء والاولياء ليتضح منه لكل ساع الى طلبه بقدر الرزق لا بقدر الجهد
ولكن لا غنى فيه عن الاجتهاد فالمجاهدة مفتاح الهداية لا مفتاح لها سواها **واما العلوم**
التي لا يحمد منها الا مقدار مخصوص فهي العلوم التي اوردناها في فروض الكفايات فان في كل علم
منها اقتصارا وهو الاقل واقتصادا وهو الوسط واستقصاء وراء ذلك الاقتصاد لا مرد له الى اخر
العمر فكن احد رجلين اما مشغولا بنفسك واما متفرغا لغيرك بعد الفراغ من نفسك

وإياك ان تشتغل بما يصلح غيرك قبل اصلاح نفسك فان كنت المشغول بنفسك فلا تشتغل الا بالعلم الذي
هو فرض عليك بحسب ما يقتضيه حالك وما يتعلق منه بالاعمال الظاهرة من تعلم الصلاة والطهارة
والصوم وانما الاهم الذي اهمله الكل علم صفات القلب وما يحمد منها وما يذم اذ لا ينفك بشر عن
الصفات المذمومة مثل الحرص والحسد والرياء والكبر والعجب واخواتها وجميع ذلك مهلكات واهمالها
مع الاشتغال بالاعمال الظاهرة يضاهي الاشتغال بطلاء ظاهر البدن عند التاذي بالجرب والدماميل
والتهاون باخراج المادة بالفصد والاسهال وحشوية العلماء يشيرون بالاعمال الظاهرة
كما يشير الطرقية من الاطباء بطلاء ظاهر البدن وعلماء الاخرة لا يشيرون الا بتطهير الباطن
وقطع مواد الشر بافساد منابتها وقلع مغارسها وهي في القلب وانما فزع الاكثرون الى الاعمال
الظاهرة عن تطهير القلوب لسهولة اعمال الجوارح واستصعاب اعمال القلوب كما يفزع الى
طلاء الظاهر من يستصعب شرب الادوية المرة فلا يزال يتعب في الطلاء ويزيد في المواد
وتتضاعف به الامراض فان كنت مريدا للاخرة وطالبا للنجاة وهاربا من الهلاك الابدي فاشتغل بعلم العلل
الباطنة وعلاجها على ما فصلناه في ربع المهلكات ثم ينجر بك ذلك الى المقامات المحمودة
المذكورة في ربع المنجيات لا محالة فان القلب اذا فرغ من المذموم امتلا بالمحمود والارض اذا نقيت
من الحشيش نبت فيها اصناف الزرع والرياحين وان لم تفرغ من ذلك لم تشتغل به فلا تشتغل بفروض
الكفايات لا سيما وفي زمرة الخلق من قد قام بها فان مهلك نفسه فيما به صلاح غيره سفيه فما اشد حماقة
من دخلت الافاعي والعقارب تحت ثيابه وهمت بقتله وهو يطلب مذبة يدفع بها الذباب
عن غيره ممن لا يغنيه ولا ينجيه مما يلاقيه من تلك الحيات والعقارب اذا همت به وان تفرغت من نفسك
وتطهيرها وقدرت على ترك ظاهر الاثم وباطنه وصار ذلك ديدنا لك وعادة متيسرة فيك
وما ابعد ذلك منك فاشتغل بفروض الكفايات وراع التدريج فيها فابتدئ بكتاب الله تعالى ثم
بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم بعلم التفسير وسائر علوم القرآن من علم الناسخ والمنسوخ
والمفصول والموصول والمحكم والمتشابه وكذلك في السنة ثم اشتغل بالفروع وهو علم
المذهب من علم الفقه دون الخلاف ثم باصول الفقه وهكذا الى بقية العلوم على ما يتسع له العمر
ويساعد فيه الوقت ولا تستغرق عمرك في فن واحد منها طلبا للاستقصاء فان العلم كثير والعمر
قصير وهذه العلوم الات ومقدمات وليست مطلوبة لعينها بل لغيرها وكل ما يطلب لغيره
فلا ينبغي ان ينسى فيه المطلوب ويستكثر منه فاقتصر من شائع علم اللغة على ما تفهم به
كلام العرب وتنطق به ومن غريبه على غريب القرآن وغريب الحديث ودع التعمق فيه واقتصر من
النحو على ما يتعلق بالكتاب والسنة فما من علم الا وله اقتصار واقتصاد واستقصاء ونحن نشير اليها
في الحديث والتفسير والفقه والكلام لتقيس بها غيرها فالاقتصار في التفسير ما يبلغ
ضعف القرآن في المقدار كما صنفه علي الواحدي النيسابوري وهو الوجيز والاقتصاد ما يبلغ

ثلاثة أضعاف القرآن كما ضمنه الوسيط فيه وما وراءه إلى الاستقصاء مستغنى عنه ولا مرد له إلى
انتهاء العمر **وأما** الحديث فالاقتصار فيه تحصيل ما في الصحيحين بتصحيح نسخة على رجل خبير
بعلم متن الحديث **وأما** حفظ أسامي الرجال فقد كفيت فيه بما تحمله عنك من قبلك ولك أن تعول على
كتبهم وليس يلزمك حفظ متون الصحيحين ولكن تحصله تحصيلا تقدر به على طلب ما تحتاج إليه عند الحاجة
وأما الاقتصاد فيه فأن تضيف إليهما ما خرج عنهما مما ورد في المسندات الصحيحة **وأما**
الاستقصاء فما وراء ذلك إلى استيعاب كل ما نقل من الضعيف والقوي والصحيح والسقيم مع
معرفة الطرق الكثيرة في النقل ومعرفة أحوال الرجال وأساميهم وأوصافهم **وأما** الفقه
فالاقتصار فيه ما يحويه مختصر المزني رحمه الله وهو الذي رتبناه في خلاصة المختصر والاقتصاد فيه
ما يبلغ ثلاثة أمثاله وهو القدر الذي أوردناه في الوسيط من المذهب والاستقصاء ما أوردناه
في البسيط إلى ما وراءه من المطولات **وأما** الكلام فمقصوده حماية المعتقدات
التي نقلها أهل السنة من السلف الصالح لا غير وما وراء ذلك طلب لكشف حقائق الأمور من غير طريقها
ومقصود حفظ السنة تحصيل رتبة الاقتصار منه بمعتقد مختصر وهو القدر الذي أوردناه في كتاب
قواعد العقائد من جملة هذا الكتاب والاقتصاد منه ما يبلغ قدر مائة ورقة وهو الذي أوردناه
في كتاب الاقتصاد في الاعتقاد ويحتاج إليه لمناظرة مبتدع ومعارضة بدعته بما يفسده وينزعه عن
قلب العامي وذلك لا ينفع إلا مع العوام قبل اشتداد تعصبهم أما المبتدع بعد أن يعلم من الجدل
ولو شيئا يسيرا فقلما ينفع معه الكلام فإنك إن أفحمته لم يترك مذهبه وأحال بالقصور على
نفسه وقدر أن عند غيره جوابا ما هو عاجز عنه وإنما أنت ملبس عليه بقوة المجادلة وأما العامي إذا صرف
عن الحق بنوع جدل يمكن أن يرد إليه بمثله قبل أن يشتد التعصب للأهواء فإذا اشتد وقع
اليأس منهم إذ التعصب سبب يرسخ العقائد في النفوس وهو من آفات علماء السوء
فإنهم يبالغون في التعصب للحق وينظرون إلى المخالفين بعين الازدراء والاستحقار فتنبعث منهم
الدعوى بالمكافأة والمقابلة وتتوفر بواعثهم على طلب نصرة الباطل ويقوى غرضهم في التمسك
بما نسبوا إليه ولو جاءوا من جانب اللطف والرحمة والنصح في الخلوة لا في معرض التعصب والتحقير
لأنجحوا فيه ولكن لما كان الجاه لا يقوم إلا بالاستتباع ولا يستميل الأتباع مثل التعصب واللعن
والشتم للخصوم اتخذوا التعصب عادتهم وآلتهم وسموه ذبا عن الدين ونضالا عن المسلمين وفيه
على التحقيق هلاك الخلق ورسوخ البدعة في النفوس **وأما** الخلافيات التي أحدثت
في هذه الأعصار المتأخرة وأبدع فيها من التحريرات والتصنيفات والمجادلات ما لم يعهد مثلها
في السلف فإياك وأن تحوم حولها واجتنبها اجتناب السم القاتل فإنها الداء العضال وهو الذي
رد الفقهاء كلهم إلى طلب المنافسة والمباهاة على ما سيأتيك تفصيل غوائلها وآفاتها
وهذا الكلام ربما يسمع من قائله فيقال الناس أعداء ما جهلوا فلا تظنن ذلك فعلى الخبير سقطت

فاقبل هذه النصيحة ممن ضيع العمر فيه زمانا وزاد فيه على الأولين تصنيفا وتحقيقا وجدلا وبيانا
ثم ألهمه الله رشده وأطلعه على عيبه فهجره واشتغل بنفسه ولا يغرنك قول من يقول الفتوى عماد
الشرع ولا تعرف علله إلا بعلم الخلاف فإن علل المذهب مذكورة في المذهب والزيادة عليها مجادلات
لم يعرفها الصحابة رضي الله عنهم وكانوا أعلم بعلل الفتاوى من غيرهم بل هي مع أنها غير مفيدة في علم المذهب
ضارة مفسدة لذوق الفقه فإن الذي يشهد له حدس المفتي إذا صح ذوقه في الفقه لا يمكن تمشيته على
أصول الجدل في أكثر الأمر فمن ألف طبعه رسوم الجدل أذعن ذهنه لمقتضيات الجدل وجبن عن
الإذعان لذوق الفقه وإنما يشتغل به من يشتغل لطلب الصيت والجاه ويتعلل بأنه يطلب علل المذهب
وقد ينقضي عليه العمر ولا تنصرف همته إلى علم المذهب فكن من شياطين الجن في أمان واحترز من
شياطين الإنس فإنهم أراحوا شياطين الجن من التعب في الإغواء والإضلال **وبالجملة**
فالمرضي عند العقلاء أن تقدر نفسك في العالم وحدك مع الله تعالى وبين يديك الموت والعرض
والحساب والجنة والنار وتأمل فيما يعنيك مما بين يديك ودع عنك ما سواه والسلام **وقد**
رأى بعض الشيوخ بعض العلماء في المنام فقال له ما خبر تلك العلوم التي كنت تجادل فيها وتناظر
عليها فبسط يده ونفخ فيها وقال طاحت كلها هباء منثورا ما انتفعت إلا بركعتين خلصتا لي
في جوف الليل **وفي** الحديث ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل ثم قرأ ما ضربوه لك
إلا جدلا بل هم قوم خصمون **وفي** الخبر في قوله تعالى فأما الذين في قلوبهم زيغ الآية هم أهل
الجدل الذين عنى الله تعالى بقوله فاحذرهم **وقال** بعض السلف يكون في آخر الزمان قوم يغلق
عليهم باب العمل ويفتح عليهم باب الجدل **وفي** بعض الأخبار إنكم في زمان ألهمتم فيه العمل
وسيأتي قوم يلهمون الجدل **وفي** الخبر المشهور أبغض الخلق إلى الله تعالى الألد الخصم
وفي الخبر ما أوتي قوم المنطق إلا منعوا العمل

الباب الرابع في سبب إقبال الخلق على علم الخلاف وتفصيل آفات المناظرة والجدل وشروط إباحتهما

اعلم أن الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم تولاها الخلفاء الراشدون
وكانوا أئمة علماء بالله تعالى فقهاء في أحكامه وكانوا مستقلين بالفتاوى في الأقضية فكانوا لا
يستعينون بالفقهاء إلا نادرا في وقائع لا يستغنى فيها عن المشاورة ففرغ العلماء لعلم
الآخرة وتجردوا لها وكانوا يتدافعون الفتاوى وما يتعلق بأحكام الخلق من الدنيا وأقبلوا
على الله تعالى بكنه اجتهادهم كما نقل من سيرهم فلما أفضت الخلافة بعدهم إلى أقوام تولوها
بغير استحقاق ولا استقلال بعلم الفتاوى والأحكام اضطروا إلى الاستعانة بالفقهاء وإلى
استصحابهم في جميع أحوالهم لاستفتائهم في مجاري أحكامهم وكان قد بقي من علماء التابعين

من هو مستمر على الطراز الأول وملازم صفو الدين ومواظب على سمت علماء السلف فكانوا إذا طُلبوا هربوا
وأعرضوا فاضطر الخلفاء إلى الإلحاح في طلبهم لتولية القضاء والحكومات فرأى أهل تلك الأعصار عز
العلماء وإقبال الولاة والأئمة عليهم مع إعراضهم عنهم فاشرأبوا لطلب العلم توصلا إلى نيل العز ودرك
الجاه من قبل الولاة فأكبوا على علم الفتاوى وعرضوا أنفسهم على الولاة وتعرفوا إليهم وطلبوا الولايات
والصلات منهم فمنهم من حُرم ومنهم من أنجح والمنجح لم يخل عن ذل الطلب ومهانة الابتذال فأصبح الفقهاء
بعد أن كانوا مطلوبين طالبين وبعد أن كانوا أعزة بالإعراض عن السلاطين أذلة بالإقبال عليهم
إلا من وفقه الله سبحانه في كل عصر من علماء دينه وقد كان أكثر الإقبال في تلك الأعصار على علم الفتاوى
والأقضية لشدة الحاجة إليها في الولايات والحكومات ثم ظهر بعدهم من الصدور والأمراء من يسمع
مقالات الناس في قواعد العقائد ومالت نفسه إلى سماع الحجج فيها فعلمت رغبته في المناظرة
والمجادلة في الكلام فأكب الناس على علم الكلام وأكثروا فيه التصانيف ورتبوا فيه طرق المجادلات
واستخرجوا فنون المناقضات في المقالات وزعموا أن غرضهم الذب عن دين الله عز وجل والنضال
عن السنة وقمع المبتدعة كما زعم من قبلهم أن غرضهم بالاشتغال بالفتاوى الدين وتقلد أحكام المسلمين
إشفاقا على خلق الله تعالى ونصيحة لهم ثم ظهر بعد ذلك من الصدور من لم يستصوب الخوض في الكلام
وفتح باب المناظرة فيه لما كان قد تولد في فتح بابه من التعصبات الفاحشة والخصومات الناشية
المفضية إلى إهراق الدماء وإخراب البلاد ومالت نفسه إلى المناظرة في الفقه وبيان الأولى من
مذهب الشافعي وأبي حنيفة على الخصوص فترك الناس الكلام وفنون العلم وأقبلوا على المسائل
الخلافية بين الشافعي وأبي حنيفة على الخصوص وتساهلوا في الخلاف مع مالك وسفيان وأحمد
وغيرهم وزعموا أن غرضهم استنباط دقائق الشرع وتقرير علل المذهب وتمهيد أصول الفتاوى
وأكثروا فيها التصانيف والاستنباطات ورتبوا فيها أنواع المجادلات والتصنيفات وهم مستمرون
عليه إلى الآن ولسنا ندري ما الذي يقدر الله تعالى فيما بعدنا من الأعصار فهذا هو الباعث على
الإكباب على الخلافيات والمناظرات لا غير ولو مالت نفوس أرباب الدنيا إلى الخلاف مع إمام
آخر من الأئمة أو إلى علم آخر من العلوم لمالوا أيضا معهم ولم يسكتوا عن التعلل بأن ما اشتغلوا به
علم الدين وأن لا مطلب لهم سوى التقرب إلى رب العالمين

بيان التلبيس في تشبيه هذه المناظرات بمشاورات الصحابة ومفاوضات السلف رضي الله عنهم

اعلم أن هؤلاء قد يستدرجون الناس إلى ذلك بأن غرضهم من المناظرات المباحثة عن الحق
ليتضح فإن الحق مطلوب والتعاون على النظر وتوارد الخواطر مفيد ومؤثر وهكذا كانت
عادة السلف الصحابة في مشاوراتهم كتشاورهم في مسألة الجد والإخوة وحد شرب الخمر ووجوب
الغرم على الإمام إذا أخطأ كما نقل من إجهاض المرأة جنينها خوفا من عمر وكما نقل في مسائل

الفرائض وغيرها وما نقل عن الشافعي ومحمد بن الحسن ومالك وأبي يوسف وغيرهم من العلماء ويطلعك
على هذا التلبيس ما أذكره وهو أن التعاون على طلب الحق من الدين ولكن له شروط وعلامات **الأول**
أن لا يشتغل به وهو من فروض الكفايات من لم يتفرغ من فروض الأعيان ومن عليه فرض عين فاشتغل بفرض
الكفاية وزعم أن مقصوده الحق فهو كذاب ومثاله مثال من يترك الصلاة في نفسه ويتجر في تحصيل الثياب
ونسجها ويقول غرضي أستر عورة من يصلي عريانا ولا يجد ثوبا فإن ذلك ربما يتفق ووقوعه ممكن
كما يزعم الفقيه أن وقوع النوادر التي عنها البحث في الخلاف ممكن والمشتغلون بالمناظرة مهملون
لأمور هي فرض عين بالاتفاق ومن توجه عليه رد وديعة في الحال فقام وتحرم بالصلاة التي هي أقرب
القربات إلى الله تعالى عصى به فلا يكفي في كون الشخص مطيعا كون فعله من الطاعات ما لم يراع
فيه الوقت والترتيب والشروط **والثاني** أن لا يرى فرض كفاية أهم من المناظرة فإن رأى ما هو أهم
أو مثله ففعل غيره عصى بفعله وكان مثاله كمن يرى جماعة من العطاش أشرفوا على الهلاك وقد أهملهم الناس وهو
قادر على إحيائهم بأن يسقيهم الماء فاشتغل بتعلم الحجامة وزعم أنه من فروض الكفايات ولو خلا
البلد عنها لهلك الناس وإذا قيل له في البلد جماعة من الحجامين وفيهم غنية فيقول هذا لا يخرج هذا
الفعل عن كونه فرض كفاية فحال من يفعل هذا ويهمل الاشتغال بالواقعة الملمة بجماعة العطشى
من المسلمين كحال المشتغل بالمناظرة وفي البلد فروض كفايات مهملة لا قائم بها وأما الفتوى فقد
قام بها جماعة ولا يخلو بلد من جملة من الفروض المهملة ولا يلتفت الفقهاء إليها وأقربها الطب
إذ لا يوجد في أكثر البلاد طبيب مسلم يجوز الاعتماد على شهادته فيما يعول فيه على قول الطبيب
شرعا ولا يرغب أحد من الفقهاء في الاشتغال به وكذا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض
الكفايات وربما يكون المناظر في مجلس مناظرته مشاهدا للحرير ملبوسا ومفروشا وهو ساكت
ويناظر في مسألة لا يتفق وقوعها قط وإن وقعت قام بها جماعة من الفقهاء ثم يزعم أنه يريد أن
يتقرب إلى الله تعالى بفروض الكفايات وقد روى أنس رضي الله عنه أنه قيل يا رسول الله متى
يترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقال إذا ظهرت المداهنة في خياركم والفاحشة في شراركم
وتحول الملك في صغاركم والفقه في أراذلكم **الثالث** أن يكون المناظر مجتهدا يفتي برأيه
لا بمذهب الشافعي وأبي حنيفة وغيرهما حتى إذا ظهر له الحق في مذهب أبي حنيفة ترك ما يوافق
الشافعي وأفتى بما ظهر له كما كان يفعله الصحابة والأئمة رضي الله عنهم فأما من ليست له رتبة
الاجتهاد وهو حكم كل أهل العصر وإنما يفتي ناقلا عن مذهب صاحبه فلو ظهر له ضعف
مذهبه لم يجز له أن يتركه فأي فائدة له في المناظرة ومذهبه معلوم وليس له الفتوى بغيره
وما يشكل عليه يلزمه أن يقول لعل عند صاحب مذهبي جوابا عن هذا فإني لست مستقلا
بالاجتهاد في أصل الشرع ولو كانت مباحثته عن المسائل التي فيها وجهان أو قولان لصاحبه
لكان أشبه به فإنه ربما يفتي بأحدهما فيستفيد من البحث ميلا إلى أحد الجانبين ولا ترى المناظرات

جارية فيه فقط بل ربما المسئلة فيها وجهان وقولان وطلب مسئلة يكون الخلاف فيها مبثوثا **الرابع** أن لا يناظر إلا في مسئلة واقعة أو قريبة الوقوع غالبا فإن الصحابة رضي الله عنهم ما تشاوروا إلا فيما تجدد
من الوقائع أو ما يغلب وقوعه كالفرائض ولا ترى المناظرين يهتمون بالانتقاد للمسائل التي تعم البلوى
بالفتوى فيها بل يطلبون الطبوليات التي يتسع مجال الجدل فيها كيف ما كان الأمر وربما يتركون
ما يكثر وقوعه ويقولون هذه مسئلة خبرية أو هي من الزوايا وليست من الطبوليات فمن العجائب
أن يكون المطلب هو الحق ثم يتركون المسئلة لأنها خبرية ومدرك الحق فيها هو الأخبار أو لأنها ليست من
الطبوليات فلا نطول فيها الكلام والمقصود في الحق أن يقصر الكلام ويبلغ الغاية على القرب
لا أن يطول **الخامس** أن تكون المناظرة في الخلوة أحب إليه وأهم من المحافل وبين أظهر الأكابر
والسلاطين فإن الخلوة أجمع للفهم وأحرى بصفاء الذهن والفكر ودرك الحق وفي حضور الجمع ما يحرك
دواعي الرياء ويوجب الحرص على نصرة كل واحد نفسه محقا كان أو مبطلا وأنت تعلم أن حرصهم
على المحافل والمجامع ليس لله وأن الواحد منهم يخلو بصاحبه مدة فلا يكلمه وربما يقترح عليه فلا يجيب وإذا
ظهر مقدم أو انتظم مجمع لم يغادر في قوس الاحتيال شيئا حتى يكون هو المتخصص بالكلام **السادس**
أن يكون في طلب الحق كناشد ضالة لا يفرق بين أن تظهر الضالة على يده أو على يد من يعاونه ويرى
رفيقه معينا لا خصما ويشكره إذا عرفه الخطأ وأظهر له الحق كما لو أخذ طريقا في طلب ضالته
فنبهه صاحبه على ضالته في طريق آخر فالحق ضالة المؤمن يطلبه كذلك فحقه إذا ظهر الحق على لسان خصمه
أن يفرح به ويشكره لا أنه يخجل ويسود وجهه ويتغير لونه ويجتهد في مجاهدته ومدافعته جهده فهكذا كانت
مشاورات الصحابة رضي الله عنهم حتى ردت امرأة على عمر رضي الله عنه ونبهته على الحق وهو في خطبته
على ملإ من الناس فقال أصابت امرأة وأخطأ رجل وسأل رجل عليا رضي الله عنه فأجابه فقال ليس
كذلك يا أمير المؤمنين ولكن كذا وكذا فقال أصبت وأخطأت وفوق كل ذي علم عليم واستدرك ابن مسعود على
أبي موسى الأشعري رضي الله عنه فقال أبو موسى لا تسألوني عن شيء وهذا الحبر بين أظهركم وذلك لما
سئل أبو موسى عن رجل قاتل في سبيل الله فقتل فقال هو في الجنة وكان إذ ذاك رضي الله عنه
أمير الكوفة فقام ابن مسعود فقال أعده على الأمير فلعله لم يفهم فأعادوا عليه وأعاد الجواب فقال ابن
مسعود وأنا أقول إن قتل فأصاب الحق فهو في الجنة فقال أبو موسى الحق ما قال وهكذا يكون
إنصاف طالب الحق ولو ذكر مثل هذا الآن لأقل فقيه لأنكره واستبعده وقال لا يحتاج إلى أن يقال
أصاب الحق فإن ذلك معلوم لكل أحد فانظر إلى مناظري زمانك كيف يسود وجه أحدهم إذا اتضح الحق
على لسان خصمه وكيف يخجل به وكيف يجتهد في مجاحدته بأقصى قدرته وكيف يذم من أفحمه طول
عمره ثم لا يستحيي من تشبيه نفسه بالصحابة في تعاونهم على النظر **السابع** أن لا يمنع معينه
في النظر من الانتقال من دليل إلى دليل ومن إشكال إلى إشكال فهكذا كانت مناظرات السلف
ويخرج من كلامه دقائق الجدل المبتدعة فيما له وعليه كقوله هذا لا يلزمني ذكره وهذا يناقض كلامك
الأول فلا يقبل منك فإن الرجوع إلى الحق مناقض للباطل ويجب قبوله وأنت ترى

أن جميع المجالس تنقضي في المدافعات والمجادلات حتى يقيس المستدل على أصل بعلة يظنها فيقال له ما
الدليل على أن الحكم في الأصل معلل بهذه العلة فيقول هذا ما ظهر لي فإن ظهر لك ما هو أوضح منه وأولى
فاذكره حتى أنظر فيه فيصر المعترض ويقول فيه معان سوى ما ذكرته وقد عرفتها ولا أذكرها ولا يلزمني
ذكره ويقول المستدل عليك إيراد ما تدعيه وراءه ويصر المعترض على أنه لا يلزمه ويتوخى
مجالس المناظرة بهذا الجنس من السؤال وأمثاله ولا يعرف هذا المسكين أن قوله إني أعرفه
ولا أذكره إذ لا يلزمني كذب على الشرع فإنه إن كان لا يعرف معناه وإنما يدعيه ليعجز خصمه فهو فاسق
كذاب عاص لله سبحانه ورسوله متعرض لسخطه بدعواه معرفة هو خال عنها وإن كان صادقا فقد
فسق بإخفائه ما عرفه من أمر الشرع وقد سأله أخوه المسلم ليفهمه وينظر فيه فإن كان قويا رجع إليه
وإن كان ضعيفا أظهر له ضعفه وأخرجه من ظلمة الجهل إلى نور العلم ولا خلاف أن إظهار ما علم من علوم الدين بعد السؤال
عنه واجب لازم فمعنى قوله لا يلزمني أي في شرع الجدل الذي أبدعناه بحكم التشهي والرغبة
في طرق الاحتيال والمصارعة بالكلام لا يلزمني وإلا فهو لازم في الشرع فإنه بامتناعه عن الذكر إما
كاذب وإما فاسق فتفحص عن مشاورات الصحابة ومفاوضات السلف هل سمعت فيها ما يضاهي
هذا الجنس وهل منع أحد من الانتقال من دليل إلى دليل ومن قياس إلى أثر ومن خبر إلى آية بل جميع
مناظراتهم من هذا الجنس إذ كانوا يذكرون كل ما يخطر لهم كما يخطر وكانوا ينظرون فيه **الثامن**
أن يناظر من يتوقع الاستفادة منه ممن هو مشتغل بالعلم والغالب أنهم يحترزون من مناظرة الفحول
والأكابر خوفا من ظهور الحق على ألسنتهم فيرغبون فيمن دونهم طمعا في ترويج الباطل عليهم ووراء هذه
شروط دقيقة كثيرة ولكن في هذه الشروط الثمانية ما يهديك إلى من يناظر لله ومن يناظر لعلة
واعلم بالجملة أن من لا يناظر الشيطان وهو مستول على قلبه وهو أعدى عدو له ولا يزال
يدعوه إلى هلاكه ثم يشتغل بمناظرة غيره في مسائل المجتهد فيها مصيب أو مساهم للمصيب
في الأجر فهو ضحكة للشيطان وعبرة للمخلصين ولذلك شمت الشيطان به لما غمسه فيه من ظلمات الآفات
التي نعددها ونذكر تفصيلها

بيان آفات المناظرة وما يتولد منها من مهلكات الأخلاق

اعلم وتحقق أن المناظرة الموضوعة لقصد الغلبة والإفحام وإظهار الفضل والشرف والتشدق
عند الناس وقصد المباهاة والمماراة واستمالة وجوه الناس هي منبع جميع الأخلاق المذمومة
عند الله المحمودة عند عدو الله إبليس ونسبتها إلى الفواحش الباطنة من الكبر والعجب
والحسد والمنافسة وتزكية النفس وحب الجاه وغيرها كنسبة شرب الخمر إلى الفواحش الظاهرة
من الزنى والقذف والقتل والسرقة وكما أن الذي خير بين الشرب وسائر الفواحش استصغر
الشرب فأقدم عليه فدعاه ذلك إلى ارتكاب بقية الفواحش في سكره فكذلك من غلب عليه
حب الإفحام والغلبة في المناظرة وطلب الجاه والمباهاة دعاه ذلك إلى إضمار الخبائث كلها

به التغير ومنبع جميع الأخلاق المذمومة ومن الأخلاق إذ أدلة مذمتها من الأخبار والآيات في ربع
المهلكات وأنا أشير الآن إلى مجامع ما تهيجه المناظرة فمنها الحسد وقد قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب ولا ينفك المناظر عن الحسد فإنه تارة
يغلب وتارة يغلب وتارة يحمد كلامه وتارة يحمد كلام غيره فما دام يبقى في الدنيا واحد يذكر بقوة في العلم
والنظر أو يظن أنه أحسن كلاما وأقوى نظرا فلا بد أن يحسده ويحب زوال النعمة عنه وانصراف الوجوه
والقلب عنه والحسد نار محرقة من بلي به فهو في العذاب في الدنيا ولعذاب الآخرة أشد وأعظم
ولذلك قال ابن عباس خذوا العلم حيث وجدتم ولا تقبلوا قول الفقهاء بعضهم في بعض فإنهم يتغايرون
كما تتغاير التيوس في الزريبة ومنها التكبر والترفع على الناس وقد قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم من تكبر وضعه الله ومن تواضع رفعه الله وقال عن الله عز وجل العظمة إزاري والكبرياء ردائي
فمن نازعني فيهما قصمته ولا ينفك المناظر عن التكبر على الأقران والأمثال والترفع إلى فوق قدره
حتى إنهم ليتقاتلون على مجلس من المجالس ويتنافسون فيه في الارتفاع والانخفاض والقرب من
وسادة الصدر والتقدم في الدخول عند مضايق الطرق وربما يتعلل الغبي والمكار الخداع منهم
بأنه يبغي صيانة عز العلم وأن المؤمن منهي عن الإذلال لنفسه فيعبر عن التواضع الذي أثنى الله تعالى عليه
وسائر أنبيائه عليهم السلام بالذل وعن التكبر الممقوت عند الله عز وجل بعز الدين تحريفا للاسم
وإضلالا للخلق كما فعل في اسم الحكمة والعلم وغيرهما ومنها الحقد فلا يكاد المناظر يخلو
عنه وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمن ليس بحقود وورد في ذم الحقد ما لا يخفى ولا
ترى مناظرا يقدر على أن لا يضمر حقدا على من يحرك رأسه على كلام خصمه ويتوقف في كلامه فلا يقابله
بحسن الإصغاء بل يضطر إذا شاهد ذلك إلى إضمار الحقد وتربيته في النفس وغاية تماسكه الإخفاء
بالنفاق ويترشح منه إلى الظاهر لا محالة في غالب الأمر وكيف ينفك عن هذا ولا يتصور اتفاق جميع
المستمعين على ترجيح كلامه واستحسان جميع أحواله في إيراده وإصداره بل لو صدر من خصمه أدنى سبب
فيه قلة مبالاة بكلامه انغرس في صدره حقد لا يقلعه مدى الدهر إلى آخر العمر ومنها
الغيبة وقد شبهها الله تعالى في كتابه العزيز بأكل الميتة فإنه لا ينفك عن حكاية كلام خصمه ومذمته وغاية
تحفظه أن يصدق فيما يحكيه عليه ولا يكذب في الحكاية فيحكي عنه لا محالة ما يدل على قصور كلامه وعجزه ونقصان
فضله وهو الغيبة وأما الكذب فبهتان وكذلك لا يقدر على أن يحفظ لسانه عن التعرض لعرض من
يعرض عن كلامه ويصغي إلى خصمه ويقبل عليه حتى ينسبه إلى الجهل والحماقة وقلة الفهم والبلادة
ومنها تزكية النفس قال الله تعالى فلا تزكوا أنفسكم وقيل لحكيم ما الصدق القبيح
فقال ثناء المرء على نفسه ولا يخلو المناظر عن الثناء على نفسه بالقوة والغلبة والتقدم بالفضل على
الأقران ولا ينفك في أثناء المناظرة عن قوله لست ممن يخفى عليه أمثال هذه الأمور وأنا المتفنن
في العلوم والمستقل بالأصول وحفظ الأحاديث وغير ذلك مما يتمدح به تارة على سبيل الصلف

وتارة للحاجة إلى ترويج كلامه ومعلوم أن الصلف والتمدح مذمومان شرعا وعقلا ومنها
التجسس وتتبع عورات الناس وقد قال الله تعالى ولا تجسسوا والمناظر لا ينفك عن طلب عثرات أقرانه
وتتبع عورات خصومه حتى إنه ليخبر بورود مناظر إلى بلده فيطلب من يخبره ببواطن أحواله
ويستخرج بالسؤال مقابحه حتى يعدها ذخيرة لنفسه في إفضاحه وتخجيله إذا مست إليه حاجة
حتى إنه ليستكشف عن أحوال صباه وعن عيوب بدنه فعساه يعثر على هفوة أو على عيب
به من قرع أو غيره ثم إذا أحس بأدنى غلبة من جهته عرض به إن كان متماسكا ويستحسن ذلك منه ويعد
من لطائف التسبب ولا يمتنع من الإفصاح به إن كان متبجحا بالسفاهة والاستهزاء كما حكي عن أقوام من
أكابر المناظرين المعدودين من فحولهم ومنها الفرح بمساءة الناس والغم بمسارهم ومن لا
يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه فهو بعيد من أخلاق المؤمنين وكل من طلب المباهاة بإظهار الفضل
يسره لا محالة ما يسوء أقرانه وأشكاله الذين يسامونه في الفضل ويكون التباغض بينهم كما بين
الضرائر فإن إحداهن إذا رأت صاحبتها من بعيد ارتعدت فرائصها واصفر لونها وكذلك ترى المناظر إذا رأى
مناظرا تغير لونه واضطرب عليه فكره فكأنه يشاهد شيطانا ماردا أو سبعا ضاريا فأين
الاستئناس والاسترواح الذي كان يجري بين علماء الدين عند اللقاء وما نقل عنهم من المؤاخاة والتناصر
والتساهم في السراء والضراء حتى قال الشافعي العلم بين أهل الفضل رحم متصلة فلا أدري كيف
يدعي الاقتداء بمذهبه جماعة صار العلم بينهم عداوة قاطعة وهل يتصور أن ينشأ الأنس مع طلب
الغلبة والمباهاة هيهات هيهات وناهيك بالشر شرا أن يلزمك أخلاق المنافقين ويبرئك عن
أخلاق المؤمنين والمتقين ومنها النفاق ولا يحتاج إلى ذكر الشواهد في ذمه وهم مضطرون
إليه فإنهم يلقون الخصوم ومحبيهم وأتباعهم وأشياعهم ولا يجدون بدا من التودد إليهم باللسان وإظهار
الشوق والاعتداد بمكانهم وأحوالهم ويعلم المخاطب والمخاطب وكل من يسمع منهم أن ذلك
كذب وزور ونفاق وفجور وأنهم متوددون بالألسنة متباغضون بالقلوب نعوذ بالله تعالى منه
وقد قال صلى الله عليه وسلم إذا تعلم الناس العلم وتركوا العمل وتحابوا بالألسن وتباغضوا
بالقلوب وتقاطعوا في الأرحام لعنهم الله عند ذلك فأصمهم وأعمى أبصارهم رواه الحسن وقد
صح ذلك بمشاهدة هذه الحال ومنها الاستكبار عن الحق وكراهته والحرص على المماراة
فيه حتى إن أبغض شيء إلى المناظر أن يظهر على لسان خصمه الحق ومهما ظهر تشمر لجحده وإنكاره
والمماراة بأقصى جهده وبذل غاية إمكانه في المخادعة والمكر والحيلة لدفعه حتى صار ذلك عادة
فيه وطبيعة فلا يسمع كلاما إلا وانبعث من طبعه داعية الاعتراض حتى يغلب ذلك على قلبه
في أدلة القرآن وألفاظ الشرع فيضرب البعض منها بالبعض والمراء في مقابلة الباطل محذور
إذ ندب النبي صلى الله عليه وسلم إلى ترك المراء بالحق على الباطل فقال عليه السلام من ترك المراء وهو مبطل
بنى الله له بيتا في ربض الجنة ومن ترك المراء وهو محق بنى الله له بيتا في أعلى الجنة وقد سوى الله تعالى

من المتفق على أنه كذبا وممن كذب بالحق فقال تعالى ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بالحق لما جاءه
وقال تعالى فمن أظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق إذ جاءه **ومنها** الرياء وملاحظة
الخلق والجهد في استمالة قلوبهم وصرف وجوههم والرياء هو الداء العضال الذي يدعو إلى أكبر الكبائر
كما سيأتي في كتاب الرياء والمناظر لا يقصد إلا الظهور عند الخلق وانطلاق ألسنتهم عليه بالثناء فهذه عشر
خصال من أمهات الفواحش الباطنة سوى ما يتفق لغير المتماسكين منهم من الخصام المؤدي إلى الضرب
واللطم وتمزيق الثياب والأخذ باللحى وسب الوالدين وشتم الأستاذين والقذف الصريح فإن أولئك
ليسوا معدودين في زمرة المعتبرين وإنما الأكابر والعقلاء منهم هم الذين لا ينفكون عن هذه الخصال العشر نعم
قد يسلم بعضهم من بعضها مع من هو ظاهر الانحطاط عنه أو ظاهر الارتفاع عليه أو هو بعيد عن بلده
وأسباب معيشته ولا ينفك أحد منهم عنه مع أشكاله المقارنين له في الدرجة ثم تتشعب من كل واحدة
من هذه الخصال العشر عشر أخرى من الرذائل لم نطول بذكرها وتفصيل آحادها مثل الأنفة والغضب والبغضاء
والطمع وحب المال والجاه للتمكن من الغلبة والمباهاة والأشر والبطر وتعظيم الأغنياء والسلاطين
والتردد إليهم والأخذ من حرامهم والتجمل بالخيول والمراكب والثياب المحظورة واستحقار الناس
بالفخر والخيلاء والخوض فيما لا يعني وكثرة الكلام وخروج الخشية والخوف من القلب واستيلاء
الغفلة عليه حتى لا يدري المصلي منهم في صلاته ما الذي يقرأ ومن الذي يناجيه ولا يحس بالخشوع من قلبه
واستغراق العمر في العلوم التي تعين في المناظرة مع أنها لا تنفع في الآخرة من تحسين العبارة
وتسجيع اللفظ وحفظ النوادر إلى غير ذلك من أمور لا تحصى والمناظرون يتفاوتون فيها على حسب
درجاتهم ولا ينفك أعظمهم دينا وأكثرهم عقلا عن جمل من مواد هذه الأخلاق وإنما غايته إخفاؤها و
مجاهدة النفس بها **واعلم** أن هذه الرذائل لازمة للمشتغل بالتذكير والوعظ أيضا
إذا كان قصده طلب القبول وإقامة الجاه ونيل الثروة والعزة وهي لازمة أيضا للمشتغل بعلم
المذهب والفتاوى إذا كان قصده طلب القضاء وولاية الأوقاف والتقدم على الأقران وبالجملة
هي لازمة لكل من يطلب بالعلم غير ثواب الله وثواب الآخرة والعلم لا يهمل العالم بل يهلكه هلاك الأبد
أو يحييه حياة الأبد ولذلك قال صلى الله عليه وسلم أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه
الله سبحانه بعلمه فلقد ضره مع أنه لم ينفعه وليته نجا منه رأسا برأس هيهات هيهات فخطر العلم
عظيم وطالبه طالب الملك المؤبد والنعيم السرمد فلا ينفك عن الملك أو الهلك
وهو كطالب الملك في الدنيا فإن لم تتفق له الإصابة في الأموال لم يطمع في السلامة من الإذلال بل لا بد من لزوم أفضح
الأحوال فإن **قلت** في الرخصة في المناظرة فائدة وهي ترغيب الناس في طلب العلم إذ لولا حب
الرياسة لاندرست العلوم فقد صدقت فيما ذكرته من وجه ولكنه غير مفيد إذ لولا الوعد بالكرة
والصولجان واللعب بالعصافير ما رغب الصبيان في المكتب وذلك لا يدل على أن الرغبة فيه محمودة
ولولا حب الرياسة لاندرس العلم ولا يدل على أن طالب الرياسة ناج بل هو ممن قال صلى الله عليه وسلم

إن الله ليؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم **وقال** صلى الله عليه وسلم إن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل
الفاجر وطالب الرياسة في نفسه هالك وقد يصلح بسببه غيره إذا كان يدعو إلى ترك الدنيا وذلك
من كان حاله في ظاهر الأمر حال علماء السلف ولكنه مضمر قصد الجاه فمثاله مثال الشمع الذي يحترق في نفسه
ويستضيء به غيره فصلاح غيره في هلاكه فأما إذا كان يدعو إلى طلب الدنيا فمثاله مثال النار المحرقة التي تأكل
نفسها وغيرها فالعلماء ثلاثة إما مهلك نفسه وغيره وهم المصرحون بطلب الدنيا والمقبلون
عليها وإما مسعد نفسه وغيره وهم الداعون الخلق إلى الله تعالى ظاهرا وباطنا وإما مهلك
نفسه مسعد غيره وهو الذي يدعو إلى الآخرة وقد رفض الدنيا في ظاهره وقصده في الباطن قبول الخلق
وإقامة الجاه فانظر من أي الأقسام أنت ومن الذي اشتغلت بالاعتداد له فلا تظنن أن الله سبحانه يقبل
غير الخالص لوجهه من العلم والعمل وسيأتيك في كتاب الرياء بل في جميع ربع المهلكات ما ينفي عنك
الريبة فيه إن شاء الله تعالى

الباب الخامس في آداب المتعلم والمعلم

أما المتعلم فآدابه ووظائفه الظاهرة كثيرة ولكن تنظم تفاريقها عشر جمل **الوظيفة الأولى**
تقديم طهارة النفس عن رذائل الأخلاق ومذموم الأوصاف إذ العلم عبادة القلب وصلاة السر وقربة
الباطن إلى الله تعالى وكما لا تصح الصلاة التي هي وظيفة الجوارح الظاهرة إلا بتطهير الظاهر
عن الأحداث والأخباث فكذلك لا تصح عبادة الباطن وعمارة القلب بالعلم إلا بعد طهارته
عن خبائث الأخلاق وأنجاس الأوصاف **قال** صلى الله عليه وسلم بني الدين على النظافة وكذلك
هو باطنا وظاهرا **وقال** الله تعالى إنما المشركون نجس تنبيها للعقول على أن الطهارة و
النجاسة غير مقصورة على الظواهر المدركة بالحس فالمشرك قد يكون نظيف الثوب مغسول
البدن ولكنه نجس الجوهر أي باطنه ملطخ بالخبائث والنجاسة عبارة عما يجتنب ويطلب
البعد عنه وخبائث صفات الباطن أهم بالاجتناب فإنها مع خبثها في الحال مهلكات في المآل
ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب والقلب بيت هو منزل الملائكة
ومهبط أثرهم ومحل استقرارهم والصفات الرديئة مثل الغضب والشهوة والحقد والحسد
والكبر والعجب وأخواتها كلاب نابحة فأنى تدخله الملائكة وهو مشحون بالكلاب ونور العلم
لا يقذفه الله تعالى في القلب إلا بواسطة الملائكة وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب
أو يرسل رسولا وهكذا ما يرسل من رحمة العلوم إلى القلوب إنما تتولاها الملائكة الموكلون بها
وهم المقدسون المطهرون المبرؤون عن الصفات المذمومات فلا يلاحظون إلا طيبا ولا يعمرون بما عندهم
من خزائن رحمة الله إلا طيبا طاهرا **ولست** أقول المراد بلفظ البيت هو القلب وبالكلب
هو الغضب والصفات المذمومة ولكني أقول هو تنبيه عليه وفرق بين تعبير الظواهر
إلى البواطن وبين التنبيه للبواطن من ذكر الظواهر مع تقرير الظواهر ففارق الباطنية بهذه الدقيقة

بل من الظواهر بين الاعتبار وهو مشتمل العلماء والظاهر اذ معنى الاعتبار ان يعبر بما ذكر الى غيره بل يعبر منها
الى الشيء فلا يقتصر عليه كما ان العاقل تصيبه مصيبة فيكون له فيها عبرة بان يعبر منها الى التنبيه لكونه
انقطاع صنف المطالب وكون الدنيا معرضا للانقلاب معبورة من غيره الى نفسه ومن نفسه الى اصل الدنيا اذ
عبرة محمودة فاعبر انت ايضا من البيت الذي هو بيت من بناء الله تعالى ومن الكلب الذي هو مذموم لصفته
لا لصورته وهو ما فيه من سبعية ونجاسة الى روح الكلبية وهي السبعية واعلم ان القلب المشحون بالغضب
والشره الى الدنيا والتكالب عليها والحرص على التمزيق لاعراض الناس كلب في المعنى وقلب في الصورة
ونور البصيرة يلاحظ المعاني دون الصور والصور في هذا العالم غالبة على المعاني والمعاني باطنة
فيها وفي الآخرة تتبع الصور المعاني وتغلب المعاني فلذلك يحشر كل شخص على صورته المعنوية
فيحشر الممزق لاعراض الناس كلبا ضاريا والشره الى اموالهم ذئبا والمتكبر عليهم في صورة نمر
وطالب الرياسة في صورة اسد وقد وردت بذلك الاخبار وشهد به الاعتبار عند ذوي البصائر والابصار
فان قلت كم من طالب ردي الاخلاق حصل العلوم فهيهات ما ابعده عن العلم الحقيقي النافع
في الآخرة الجالب للسعادة فان من اوائل ذلك العلم ان يظهر له ان المعاصي سموم مهلكة ومن رايته
من يتناول سما مع علمه بكونه سما انما الذي تسمعه من المترسمين حديث يلفقونه ويرددونه بالسنتهم مرة
ويرددونه بقلوبهم اخرى فليس ذلك من العلم في شيء قال ابن مسعود رضي الله عنه ليس العلم
بكثرة الرواية انما العلم نور يقذف في القلب وقال بعضهم انما العلم الخشية اذ قال الله تعالى
انما يخشى الله من عباده العلماء وكانه اشار الى اخص ثمرات العلم ولذلك قال بعض المحققين
معنى قولهم تعلمنا العلم لغير الله فابى العلم ان يكون الا لله ان العلم ابى وامتنع علينا
فلم تنكشف لنا حقيقته وانما حصل لنا حديثه والفاظه فان قلت اني ارى جماعة من الفقهاء
والمحققين برزوا في الفروع والاصول وعدوا من جملة الفحول واخلاقهم ذميمة لم يتطهروا منها فيقال
اذا عرفت مراتب العلوم وعرفت علم الآخرة استبان لك ان ما اشتغلوا به قليل الغناء من حيث كونه
علما وانما غناؤه من حيث كونه عملا لله تعالى اذا قصد به التقرب الى الله تعالى وقد سبقت الى هذا اشارة
وسيأتيك فيه مزيد بيان وايضاح **الوظيفة الثانية** تقليل علائقه من الاشتغال بالدنيا
والبعد عن الاهل والوطن فان العلائق شاغلة وصارفة وما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه
ومهما توزعت الفكرة قصرت عن درك الحقائق ولذلك قيل العلم لا يعطيك بعضه حتى
تعطيه كلك فاذا اعطيته كلك فانت من اعطائه اياك بعضه على خطر والفكرة المتوزعة
على امور متفرقة كجدول تفرق ماؤه فنشفت الارض بعضه واختطف الهواء بعضه
فلا يبقى منه ما يجتمع ويبلغ الزرع **الوظيفة الثالثة** ان لا يتكبر على العلم ولا يتامر على المعلم
بل يلقي اليه زمام امره بالكلية في كل تفصيل ويذعن لنصحه اذعان المريض الجاهل للطبيب
المشفق الحاذق وينبغي ان يتواضع لمعلمه ويطلب الثواب والشرف بخدمته قال الشعبي

صلى زيد بن ثابت على جنازة فقربت اليه بغلته ليركبها فجاء ابن عباس فاخذ بركابه فقال زيد خل عنه يا ابن عم رسول الله
فقال ابن عباس هكذا امرنا ان نفعل بالعلماء والكبراء فقبل زيد بن ثابت يده وقال هكذا امرنا ان نفعل باهل
بيت نبينا صلى الله عليه وسلم وقال صلى الله عليه وسلم ليس من اخلاق المؤمن التملق الا في طلب العلم فلا ينبغي
للطالب ان يتكبر على المعلم ومن تكبره على المعلم ان يستنكف عن الاستفادة الا من المرموقين المشهورين وهو عين
الحماقة فان العلم سبب النجاة والسعادة ومن يطلب مهربا من سبع ضار يفترسه لم يفرق بين ان يرشده
الى الهرب مشهور او خامل وضراوة سباع النار بالجهال بالله تعالى اشد من ضراوة كل سبع فالحكمة
ضالة المؤمن يغتنمها حيث يظفر بها ويتقلد المنة لمن ساقها اليه كائنا من كان ولذلك قيل

العلم حرب للفتى المتعالي ... كالسيل حرب للمكان العالي

فلا ينال العلم الا بالتواضع والقاء السمع قال الله تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب او القى السمع
وهو شهيد ومعنى كونه ذا قلب ان يكون قابلا للعلم فهما ثم لا تعينه القدرة على الفهم حتى يلقي السمع وهو شهيد حاضر القلب ليستقبل كل ما القي اليه بحسن الاصغاء والضراعة والشكر والفرح وقبول
المنة فليكن المتعلم لمعلمه كارض دمثة نالت مطرا غزيرا فتشربت جميع اجزائها واذعنت بالكلية لقبوله
ومهما اشار عليه المعلم بطريق في التعلم فليقلده وليدع رايه فان خطا مرشده انفع له من صوابه في نفسه
اذ التجربة تطلع على دقائق يستغرب سماعها مع انه يعظم نفعها فكم من مريض محرور يعالجه الطبيب في بعض
اوقاته بالحرارة ليزيد في قوته الى حد يحتمل صدمة العلاج فيتعجب منه من لا خبرة له وقد نبه الله سبحانه بقصة
الخضر وموسى عليهما السلام حيث قال الخضر انك لن تستطيع معي صبرا وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا
ثم شرط عليه السكوت والتسليم فقال فان اتبعتني فلا تسالني عن شيء حتى احدث لك منه ذكرا ثم لم يصبر ولم
يزل في مراودته الى ان كان ذلك سبب الفراق بينهما وبالجملة كل متعلم استبقى لنفسه رايا واختيارا
دون اختيار المعلم فاحكم عليه بالاخفاق والخسران فان قلت فقد قال الله تعالى فاسالوا اهل الذكر ان كنتم
لا تعلمون فالسؤال مامور به فاعلم انه كذلك ولكن فيما ياذن المعلم في السؤال عنه فان السؤال
عما لم تبلغ رتبتك الى فهمه مذموم ولذلك منع الخضر موسى عن السؤال اي دع السؤال قبل اوانه فالمعلم
اعلم بما انت اهل له وباوان الكشف وما لم يدخل اوان الكشف في كل درجة من مراقي الدرجات لا يدخل اوان
السؤال وقال علي رضي الله عنه ان من حق العالم ان لا تكثر عليه بالسؤال ولا تعنته في الجواب
ولا تلح عليه اذا كسل ولا تاخذ بثوبه اذا نهض ولا تفشي له سرا ولا تغتابن عنده احدا ولا تطلبن عثرته وان زل قبلت
معذرته وعليك ان توقره وتعظمه لله تعالى ما دام يحفظ امر الله ولا تجلس امامه وان كانت له حاجة
سبقت القوم الى خدمته **الوظيفة الرابعة** ان يحترز الخائض في العلم في مبدا الامر عن الاصغاء
الى اختلاف الناس سواء كان ما خاض فيه من علوم الدنيا او من علوم الآخرة فان ذلك يدهش عقله ويحير ذهنه
ويفتر رايه ويؤيسه عن الادراك والاطلاع بل ينبغي ان يتقن اولا الطريق الحميدة الواحدة المرضية عند استاذه
ثم بعد ذلك يصغي الى المذاهب والشبه وان لم يكن استاذه مستقلا باختيار راي واحد
وانما عادته نقل المذاهب وما قيل فيها فليحذر منه فان اضلاله اكثر من ارشاده فلا يصلح الاعمى لقود العميان

وإرشاده ومن هذا حاله فهو في عمى الحيرة وتيه الجهل ومنع المبتدئ من الشبه يضاهي منع الحديث
العهد بالإسلام عن مخالطة الكفار وندب القوي إلى النظر في الاختلافات يضاهي حث القوي
على مخالطة الكفار ولذلك يمنع العاجز عن التهجم على صف الكفار ويندب الشجاع له ومن الغفلة
عن هذه الدقيقة ظن بعض الضعفاء أن الاقتداء بالأقوياء فيما ينقل عنهم من المساهلات جائز
ولم يدر أن وظائف الأقوياء تخالف وظائف الضعفاء ولذلك قال بعضهم من رآني في البداية
صار صديقا ومن رآني في النهاية صار زنديقا إذ النهاية مردودة إلى الأعمال الباطنة وسكون الجوارح
إلا عن أداء الفرائض فيتراءى للناظرين أنها بطالة وكسل وإهمال وهيهات فذلك مرابطة القلب
في عين الشهود والحضور وملازمة الذكر الذي هو أفضل الأعمال على الدوام وتشبه الضعيف
بالقوي فيما يرى من ظاهره أنه هفوة يضاهي اعتذار من يلقي نجاسة يسيرة في كوز ماء ويتعلل بأن أضعاف
هذه النجاسة قد يلقى في البحر والبحر أعظم من الكوز فما جاز للبحر فهو للكوز أجوز ولا يدري المسكين
أن البحر بقوته يحيل النجاسة ماء فتنقلب عين النجاسة باستيلائه إلى صفته والقليل يغلبه اليسير
ويحيله إلى صفته ومثل هذا جوز للنبي صلى الله عليه وسلم ما لم يجوز لغيره حتى أبيح له تسع نسوة
إذ كان له من القوة ما يتعدى منه صفة العدل إلى نسائه وإن كثرن وأما غيره فلا يقدر على بعض العدل
بل يتعدى ما بينهن من الضرر إليه حتى ينجر إلى معصية الله في طلب رضاهن فما أفلح من قاس
الملائكة بالحدادين **الوظيفة الخامسة** ألا يدع طالب العلم فنا من العلوم المحمودة ولا
نوعا من أنواعها إلا وينظر فيه نظرا يطلع به على مقصده وغايته ثم إن ساعده العمر طلب التبحر فيه
وإلا اشتغل بالأهم منه واستوفاه وتطرف من البقية فإن العلوم متعاونة وبعضها مرتبط ببعض
ويستفيد منه في الحال الانفكاك عن عداوة ذلك العلم بسبب جهله فإن الناس أعداء ما جهلوا
قال الله تعالى وإذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم **وقال الشاعر**

ومن يك ذا فم مر مريض ... يجد مرا به الماء الزلالا

فالعلوم على درجاتها إما سالكة بالعبد إلى الله تعالى أو معينة على السلوك نوعا من الإعانة ولها
منازل مرتبة في القرب والبعد من المقصود والقوام بها حفظة كحفاظ الرباطات والثغور
ولكل واحد رتبة وله بحسب درجته أجر في الآخرة إذا قصد به وجه الله تعالى **الوظيفة السادسة**
أن العمر إذا كان لا يتسع لجميع العلوم غالبا فالحزم أن يأخذ من كل شيء أحسنه ويكتفي منه بشمة
ويصرف جمام قوته في الميسور من علمه إلى استكمال العلم الذي هو أشرف العلوم وهو علم
الآخرة أعني قسمي المعاملة والمكاشفة وغاية المعاملة المكاشفة وغاية المكاشفة
معرفة الله تعالى ولست أعني به الاعتقاد الذي يتلقفه العامي وراثة أو تلقفا ولا طريق تحرير الكلام
والمجادلة في تحصينه عن مراوغات الخصوم كما هو غاية المتكلم بل ذلك نوع يقين هو ثمرة
نور يقذفه الله تعالى في قلب عبد طهر بالمجاهدة باطنه عن الخبائث حتى ينتهي إلى رتبة إيمان

الصديق رضي الله عنه الذي لو وزن بإيمان العالمين لرجح كما شهد له سيد البشر صلى الله عليه وسلم فما عندي
أن ما يعتقده العامي ويرتبه المتكلم الذي لا يزيد على العامي إلا في صنعة الكلام ولأجله سميت صناعته
كلاما كان يعجز عنه عمر وعثمان وعلي وسائر الصحابة رضي الله عنهم حتى كان يفضلهم أبو بكر بالسر الذي
وقر في صدره والعجب ممن يسمع مثل هذه الأقوال من صاحب الشرع صلوات الله وسلامه عليه ثم يزدري ما
يسمعه على وفقه ويزعم أنه من ترهات الصوفية وأن ذلك غير معقول فينبغي أن تتئد في هذا فعنده ضيعت
رأس المال فكن حريصا على معرفة ذلك السر الخارج عن بضاعة الفقهاء والمتكلمين ولا يرشدك إليه إلا
حرصك في الطلب وعلى الجملة فأشرف العلوم وغايتها معرفة الله عز وجل وهو بحر لا يدرك منتهى غوره
وأقصى درجات البشر فيه رتبة الأنبياء ثم الأولياء ثم الذين يلونهم **وقد** روي أنه رؤي صورة حكيمين من الحكماء
المتقدمين في مسجد وفي يد أحدهما رقعة فيها إن أحسنت كل شيء فلا تظنن أنك أحسنت شيئا حتى تعرف الله
عز وجل وتعلم أنه مسبب الأسباب وموجد الأشياء وفي يد الآخر مكتوب كنت قبل أن أعرف الله أشرب وأظمأ
حتى إذا عرفته رويت بلا شرب **الوظيفة السابعة** أن يعرف السبب الذي به يدرك أشرف
العلوم وأن ذلك يراد به شيئان أحدهما شرف الثمرة والثاني وثاقة الدليل وقوته وذلك
كعلم الدين وعلم الطب فإن ثمرة أحدهما الحياة الأبدية وثمرة الآخر الحياة الفانية فيكون علم الدين أشرف
ومثل علم الحساب وعلم النجوم فإن علم الحساب أشرف لوثاقة أدلته وقوتها وإن نسب الحساب إلى الطب
كان الطب أشرف باعتبار ثمرته والحساب أشرف باعتبار أدلته وملاحظة الثمرة أولى ولذلك كان الطب
أشرف وإن كان أكثره بالتخمين **وبهذا** تبين أن أشرف العلوم العلم بالله عز وجل وملائكته وكتبه
ورسله والعلم بالطريق الموصل إلى هذه العلوم فإياك أن ترغب إلا فيه وأن تحرص إلا عليه
الوظيفة الثامنة أن يكون قصد المتعلم في الحال تحلية باطنه وتجميله بالفضيلة وفي المآل
القرب من الله عز وجل والترقي إلى جوار الملأ الأعلى من الملائكة والمقربين ولا يقصد به الرياسة والمال
ومماراة السفهاء ومباهاة الأقران وإذا كان هذا مقصده طلب لا محالة الأقرب إلى مقصوده
وهو علم الآخرة ومع هذا فلا ينبغي له أن ينظر بعين الحقارة إلى سائر العلوم أعني علم الفتاوى وعلم النحو
واللغة المتعلقين بالكتاب والسنة وغير ذلك مما أوردناه في المقدمات والمتممات من ضروب
العلوم التي هي فرض كفاية ولا تفهمن من غلونا في الثناء على علم الآخرة تهجين هذه العلوم
فالمتكفلون بالعلوم كالمتكفلين بالثغور والمرابطين بها والغزاة المجاهدين في سبيل الله فمنهم
المقاتل ومنهم الردء ومنهم الذي يسقيهم الماء ومنهم الذي يحفظ دوابهم ويتعهدهم ولا ينفك أحد منهم
عن أجر إذا كان قصده إعلاء كلمة الله تعالى دون حيازة الغنائم فكذلك العلماء قال الله تعالى
يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات **وقال** تعالى هم درجات عند الله والفضيلة
نسبية واستحقارنا الصيارفة عند قياسهم بالملوك لا يدل على حقارتهم إذا قيسوا بالكناسين
ولا تظنن أن ما نزل عن الرتبة القصوى ساقط القدر بل الرتبة العليا للأنبياء ثم العلماء الراسخين

ثم الطائفين على تفاوت درجاتهم وبالجملة من يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره
ومن فضل الله من رضا بالعلم أنه علم كل نفس وما عملت **الوظيفة التاسعة** علم نسبة العلوم
والمقصد ... ويجب أن يؤثر الأهم على غيره ومعنى المهم ما يهمك ولا يهمك إلا شأنك في
الدنيا والآخرة وإذا لم يمكنك الجمع بين ملاذ الدنيا ونعيم الآخرة كما نطق به القرآن وشهد له من نور البصائر
ما يجري مجرى العيان فالأهم ما يبقى أبد الآباد وعند ذلك تصير الدنيا منزلا والبدن مركبا والأعمال سعيا
إلى المقصد ولا مقصد إلا لقاء الله تعالى ففيه النعيم كله وإن كان لا يعرف في هذا العالم قدره إلا الأقلون
والعلوم بالإضافة إلى سعادة لقاء الله سبحانه والنظر إلى وجهه الكريم أعني النظر الذي طلبه الأنبياء
وفهموه دون ما يسبق إلى فهم العوام والمتكلمين على ثلاث مراتب تفهمها بالموازنة بمثال وهو
أن العبد لو علق عتقه وتمكينه من الملك بالحج وقيل له إن حججت وتممت وصلت إلى العتق
والملك جميعا وإن ابتدأت بطريق الحج والاستعداد له وعاقك في الطريق مانع ضروري فلك
العتق والخلاص من شقاء الرق فقط دون سعادة الملك فله ثلاثة أصناف من الشغل الأول
تهيئة الأسباب بشراء الناقة وخرز الراوية وإعداد الزاد والراحلة والثاني السلوك ومفارقة
الوطن بالتوجه إلى الكعبة منزلا بعد منزل والثالث الاشتغال بأعمال الحج ركنا بعد ركن
ثم بعد النزوع عن هيئة الإحرام وطواف الوداع استحق التعرض للملك والسلطنة وله في كل
مقام منزل من أول إعداد الأسباب إلى آخرها ومن أول سلوك البوادي إلى آخرها ومن أول أركان
الحج إلى آخرها وليس قرب من ابتدأ بأركان الحج من السعادة كقرب من هو بعد في إعداد الزاد
والراحلة ولا كقرب من ابتدأ بالسلوك بل هو أقرب منه فالعلوم أيضا ثلاثة أقسام **قسم**
يجري مجرى إعداد الزاد والراحلة وشراء الناقة وهو علم الطب والفقه وما يتعلق بمصالح البدن في
الدنيا **وقسم** يجري مجرى سلوك البوادي وقطع العقبات وهو تطهير الباطن عن كدورات الصفات
وطلوع تلك العقبات الشامخة التي عجز عنها الأولون والآخرون إلا الموفقين فهذا سلوك الطريق
وتحصيل علمه كتحصيل علم جهات الطريق ومنازله وكما لا يغني علم المنازل وعلم طرق البوادي
دون سلوكها فكذلك لا يغني علم تهذيب الأخلاق دون مباشرة التهذيب ولكن المباشرة دون العلم
غير ممكن **وقسم** ثالث يجري مجرى نفس الحج وأركانه وهو العلم بالله عز وجل وصفاته وملائكته
وأفعاله وجميع ما ذكرناه في تراجم علم المكاشفة وهاهنا النجاة والفوز بالسعادة والنجاة
حاصلة لكل سالك للطريق إذا كان غرضه المقصد وهو السلامة وأما الفوز بالسعادة
فلا يناله إلا العارفون بالله فهم المقربون المنعمون في جوار الله تعالى بالروح والريحان وجنة
النعيم وأما الممنوعون دون ذروة الكمال فلهم النجاة والسلامة كما قال الله تعالى فأما إن
كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم وأما إن كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين
وكل من لم يتوجه إلى المقصد ولم ينتهض له أو انتهض إلى جهته لا على قصد الامتثال

والعبودية بل لغرض عاجل فهو من أصحاب الشمال ومن الضالين فله نزل من حميم وتصلية جحيم **واعلم**
أن هذا هو حق اليقين عند العلماء الراسخين يعني أنهم أدركوه بمشاهدة من الباطن هي أقوى وأجلى
من مشاهدة الأبصار وترقوا فيه عن حد التقليد لمجرد السماع وحالهم حال من أخبر فصدق ثم شاهد فتحقق
وحال غيرهم حال من قبل بحسن التصديق والإيمان ولم يحظ بالمشاهدة والعيان فالسعادة وراء علم
المكاشفة وعلم المكاشفة وراء علم المعاملة التي هي سلوك طريق الآخرة وقطع عقبات الصفات
وسلوك طريق محو الصفات المذمومة وراء علم الصفات وعلم طريق المعالجة وكيفية السلوك في ذلك
وراء سلامة البدن ومساعدة أسباب الصحة وسلامة البدن بالاجتماع والتظاهر والتعاون الذي
يتوصل به إلى الملبس والمطعم والمسكن وهو منوط بالسلطان وقانونه في ضبط الناس على منهج
العدل والسياسة في ناحية الفقيه وأما أسباب الصحة ففي ناحية الطبيب ومن قال العلم علمان
علم الأبدان وعلم الأديان وأشار به إلى الفقه أراد به العلوم الظاهرة الشائعة لا العلوم العزيزة
الباطنة **فإن قلت** لم شبهت علم الطب والفقه بإعداد الزاد والراحلة **فاعلم**
أن الساعي إلى الله تعالى لينال قربه هو القلب دون البدن ولست أعني بالقلب اللحم المحسوس بل هو
سر من أسرار الله تعالى لا يدركه الحس ولطيفة من لطائفه تارة يعبر عنه بالروح وتارة بالنفس المطمئنة
والشرع يعبر عنه بالقلب لأنه المطية الأولى لذلك السر وبواسطته صار جميع البدن مطية وآلة لتلك
اللطيفة وكشف الغطاء عن ذلك السر من علم المكاشفة وهو مضنون به بل لا رخصة في ذكره وغاية
المأذون فيه أن يقال هو جوهر نفيس ودر عزيز أشرف من هذه الأجرام المرئية وإنما هو أمر إلهي
كما قال تعالى ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وكل المخلوقات منسوبة إلى الله تعالى
ولكن نسبته أشرف من نسبة سائر أعضاء البدن فلله الخلق والأمر جميعا والأمر أعلى من الخلق وهذه
الجوهرة النفيسة الحاملة لأمانة الله تعالى المتقدمة بهذه الرتبة على السموات والأرض والجبال
إذ أبين أن يحملنها وأشفقن منها من عالم الأمر ولا يفهم من هذا تعريض بقدمها فإن القائل بقدم الأرواح
مغرور جاهل لا يدري ما يقول ولنقبض عنان البيان عن هذا الفن فهو وراء ما نحن بصدده
والمقصود أن هذه اللطيفة هي الساعية إلى قرب الرب سبحانه لأنها من أمر الرب فمنه مصدرها وإليه
مرجعها **وأما البدن** فمطيتها التي تركبها وتسعى بواسطتها فالبدن لها في طريق الله تعالى
كالناقة للبدن في طريق الحج وكالراوية الحاملة للماء الذي يفتقر إليه البدن فكل علم مقصده
مصلحة البدن فهو من جملة مصالح المطية ولا يخفى أن الطب كذلك فإنه قد يحتاج إليه في حفظ الصحة
على البدن ولو كان الإنسان وحده لاحتاج إليه والفقه يفارقه في أنه لو كان الإنسان وحده ربما
كان يستغني عنه ولكنه خلق على وجه لا يمكنه أن يعيش وحده إذ لا يستقل بالسعي وحده في تحصيل
طعامه بالحراثة والزرع والخبز وفي تحصيل الملبس والمسكن وفي إعداد آلات ذلك كله فاضطر
إلى المخالطة والاستعانة ومهما اختلط الناس وثارت شهواتهم تجاذبوا أسباب الشهوات

وتنازعوا وتفانوا وحصلوا في فتنتهم منالهم بسبب الشافعي من خارج كما يحصل هلاكهم بسبب تضاد الأخلاط
من داخل والطب يحفظ الاعتدال في الأخلاط المتنازعة من داخل بالسياسة والعدل يحفظ الاعتدال في
الشافعي من خارج وعلم الطب في اعتدال الأخلاط من داخل وعلم الحق في اعتدال أحوال الناس في المعاملة
والأموال فهما علمان فقه وكل لا بد منه لحفظ الأبدان والمتجرد لعلم الفقه والطب إذا لم يعالج
نفسه ولم يطهر قلبه كالمتجرد لشراء الناقة وعلفها وشراء الراوية وخرزها إذا هو لم يسلك بادية الحج
والمتشمر في عمره في فنون الكلمات التي تجري في مجادلات الفقه كالمتشمر في عمره في دقائق الأسباب
التي بها تحكم الخيوط التي بها تخرز راوية الحج ونسبة هؤلاء إلى السالك للطريق المصلح لقلبه الموصل
إلى علم المكاشفة كنسبة أولئك إلى سالك طريق الحج أو ملابس أركانه فتأمل هذا أولا واقبل النصيحة
مجانا ممن قامت عليه غائلته ولم يصل إليه إلا بعد جهد شديد وجراءة تامة على مباينة الخلق [illegible] منه
[illegible] مع تقليدهم بمجرد الشهوة فهذا القدر كاف من وظائف المتعلم

بيان وظائف المرشد المعلم

اعلم أن للإنسان في علمه أربعة أحوال كحاله في اقتناء الأموال إذ لصاحب المال حال
استفادة فيكون مكتسبا وحال ادخار لما اكتسبه فيكون غنيا عن السؤال وحال إنفاق على نفسه فيكون
منتفعا به وحال بذل لغيره فيكون به سخيا متفضلا وهو أشرف أحواله فكذلك العلم يقتنى كما يقتنى المال
فله حال الطلب والاكتساب وحال التحصيل المغني عن السؤال وحال الاستبصار وهو التفكر في المحصل والتمتع
به وحال التبصير وهو أشرف الأحوال فمن علم وعمل وعلم فهو الذي يدعى عظيما في ملكوت السماء
فإنه كالشمس تضيء لغيرها وهي مضيئة في نفسها وكالمسك الذي يطيب غيره وهو طيب والذي يعلم
ولا يعمل به كالدفتر الذي يفيد غيره وهو خال عن العلم وكالمسن الذي يشحذ غيره ولا يقطع وكالإبرة
التي تكسو غيرها وهي عارية وكذبالة المصباح التي تضيء لغيرها وهي تحترق كما قيل

ما هو إلا ذبالة وقدت تضيء للناس وهي تحترق

ومهما اشتغل بالتعليم فقد تقلد أمرا عظيما وخطرا جسيما فليحفظ آدابه ووظائفه

الوظيفة الأولى الشفقة على المتعلمين وأن يجريهم مجرى بنيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
إنما أنا لكم مثل الوالد لولده بأن يقصد إنقاذهم من نار الآخرة وهو أهم من إنقاذ الوالدين ولدهما من
نار الدنيا ولذلك صار حق المعلم أعظم من حق الوالدين فإن الوالد سبب الوجود الحاضر والحياة
الفانية ولولا المعلم لانساق ما حصل من جهة الأب إلى الهلاك الدائم وإنما المعلم هو المفيد للحياة الأخروية
الدائمة أعني معلم علوم الآخرة أو علوم الدنيا على قصد الآخرة لا على قصد الدنيا فأما التعليم على
قصد الدنيا فهو هلاك وإهلاك نعوذ بالله منه وكما أن حق أبناء الرجل الواحد أن يتحابوا
ويتعاونوا على المقاصد كلها فكذلك حق تلامذة الرجل الواحد التحاب والتوادد ولا يكون إلا كذلك إن كان مقصدهم الآخرة
ولا يكون إلا التحاسد والتباغض إن كان مقصدهم الدنيا فإن العلماء وأبناء الآخرة مسافرون إلى الله تعالى

وسالكون الطريق إليه فالدنيا سنوها وشهورها منازل الطريق والترافق في الطريق بين المسافرين
إلى الأمصار سبب التوادد والتحاب فكيف السفر إلى الفردوس الأعلى والترافق في طريقه ولا ضيق في
سعادة الآخرة فلذلك لا يكون بين أبناء الآخرة تنازع ولا سعة في سعادة الدنيا فلذلك لا ينفك
عن ضيق التزاحم والعادلون إلى طلب الرياسة بالعلوم خارجون عن موجب قوله تعالى إنما
المؤمنون إخوة وداخلون في مقتضى قوله تعالى الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين

الوظيفة الثانية أن يقتدي بصاحب الشرع صلوات الله عليه فلا يطلب على إفادة العلم
أجرا ولا يقصد به جزاء ولا شكرا بل يعلم لوجه الله تعالى وطلبا للتقرب إليه ولا يرى لنفسه منة عليهم
وإن كانت المنة لازمة عليهم بل يرى الفضل لهم إذ هذبوا قلوبهم لأن تتقرب إلى الله تعالى بزراعة العلوم فيها
كالذي يعيرك الأرض لتزرع فيها لنفسك زراعة فمنفعتك بها تزيد على منفعة صاحب الأرض فكيف تقلده
منة وثوابك في التعليم أكثر من ثواب المتعلم عند الله ولولا المتعلم ما نلت هذا الثواب فلا تطلب الأجر
إلا من الله تعالى قال الله سبحانه ويا قوم لا أسألكم عليه مالا إن أجري إلا على الله فإن المال وما في الدنيا خادم للبدن والبدن مركب
النفس ومطيته والمخدوم هو العلم إذ به شرف النفس فمن طلب بالعلم المال كان كمن مسح أسفل مداسه
بوجهه لينظفه فجعل المخدوم خادما والخادم مخدوما وذلك هو الانتكاس على أم الرأس ومثله هو الذي
يقوم في العرض الأكبر مع المجرمين ناكسي رؤوسهم عند ربهم وعلى الجملة فالفضل والمنة للمعلم
فانظر كيف انتهى أمر الدين إلى قوم يزعمون أن مقصودهم التقرب إلى الله تعالى بما هم فيه من علم الفقه والكلام والتدريس
فيهما وفي غيرهما فإنهم يبذلون المال والجاه ويتحملون أصناف الذل في خدمة السلاطين لاستطلاق الجرايات
ولو تركوا ذلك لتركوا ولم يختلف إليهم ثم يتوقع المعلم من المتعلم أن يقوم له في كل نائبة وينصر وليه ويعادي عدوه
وينتهض حمارا له في حاجاته ومسخرا بين يديه في أوطاره فإن قصر في حقه ثار عليه وصار من
أعدى أعدائه فأخسس بعالم يرضى لنفسه بهذه المنزلة ثم يفرح بها ثم لا يستحيي من أن يقول غرضي
من التدريس نشر العلم تقربا إلى الله تعالى ونصرة لدينه فانظر إلى الأمارات حتى ترى ضروب الا
غترارات **الوظيفة الثالثة** أن لا يدع من نصح المتعلم شيئا وذلك بأن يمنعه من التصدي
لرتبة قبل استحقاقها والتشاغل بعلم خفي قبل الفراغ من الجلي ثم ينبهه على أن الغرض بطلب العلوم القرب
إلى الله تعالى دون الرياسة والمباهاة والمنافسة ويقدم تقبيح ذلك في نفسه بأقصى ما يمكن
فليس ما يصلحه العالم الفاجر بأكثر مما يفسده فإن علم من باطنه أنه لا يطلب العلم إلا للدنيا نظر إلى
العلم الذي يطلبه فإن كان هو علم الخلاف في الفقه والجدل في الكلام والفتاوى في الخصومات والأحكام
فيمنعه من ذلك فإن هذه العلوم ليست من علوم الآخرة ولا من العلوم التي قيل فيها تعلمنا العلم لغير الله فأبى العلم أن
يكون إلا لله وإنما ذلك علم التفسير وعلم الحديث وما كان الأولون يشتغلون به من علم الآخرة ومعرفة
أخلاق النفس وكيفية تهذيبها فإذا تعلمه الطالب وقصد به الدنيا فلا بأس أن يتركه فإنه يثمر له طمعا
في الوعظ والاستتباع ولكن ينتبه في أثناء الأمر أو آخره إذ فيه العلوم المخوفة من الله المحقرة للدنيا

الصحيحة للآخرة وذلك يوشك أن يؤدي إلى الصواب في الآخرة حتى يتعظ بما يعظ به غيره ويجري حب القبول والجاه مجرى الحب الذي ينثر حوالي الشبكة ليقتنص به الطير وقد فعل الله عز وجل ذلك بعباده إذ خلق الشهوة ليصل الخلق بها إلى بقاء النسل وخلق أيضاً حب الجاه ليكون سبباً لإحياء العلوم وهذا متوقع في هذه العلوم فأما الخلافيات المحضة ومجادلات الكلام ومعرفة التفاريع الغريبة فلا يزيد التجرد لها مع الإعراض عن غيرها إلا قسوة في القلب وغفلة عن الله سبحانه وتمادياً في الضلال وطلب الجاه إلا من تداركه الله تعالى برحمته أو مزج به غيره من العلوم الدينية ولا برهان على هذا كالتجربة والمشاهدة فانظر واعتبر واستبصر لتشاهد تحقيق ذلك في العباد والبلاد والله المستعان وقد رؤي سفيان الثوري حزيناً فقيل له مالك فقال صرنا متجراً لأبناء الدنيا يلزمنا أحدهم حتى إذا تعلم جعل عاملاً أو قاضياً أو قهرماناً

الوظيفة الرابعة وهي من دقائق صناعة التعليم أن يزجر المتعلم عن سوء الأخلاق بطريق التعريض ما أمكن ولا يصرح وبطريق الرحمة لا بطريق التوبيخ فإن التصريح يهتك حجاب الهيبة ويورث الجرأة على الهجوم بالخلاف ويهيج الحرص على الإصرار وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مرشد كل معلم لو منع الناس عن فت البعر لفتوه وقالوا ما نهينا عنه إلا وفيه شيء وينبهك على هذا قصة آدم وحواء صلى الله عليهما وما نهيا عنه فما ذكرت القصة معك لتكون سمراً بل لتتنبه بها على سبيل العبرة ولأن التعريض أيضاً يميل النفوس الفاضلة والأذهان الذكية إلى استنباط معانيه فيفيد فرح التفطن لمعناه رغبة في العلم به ليعلم أن ذلك مما لا يعزب عن فطنته

الوظيفة الخامسة أن المتكفل ببعض العلوم لا ينبغي أن يقبح في نفس المتعلم العلوم التي وراءه كمعلم اللغة إذ عادته تقبيح الفقه ومعلم الفقه عادته تقبيح علم الحديث والتفسير وأن ذلك نقل محض وسماع وهو شأن العجائز ولا نظر للعقل فيه ومعلم الكلام ينفر عن الفقه ويقول ذلك فروع وهو كلام في حيض النسوان فأين ذلك من الكلام في صفة الرحمن فهذه أخلاق مذمومة للمعلمين ينبغي أن تجتنب بل المتكفل بعلم واحد ينبغي أن يوسع على المتعلم طريق التعلم في غيره وإن كان متكفلاً بعلوم فينبغي أن يراعي التدريج في ترقية المتعلم من رتبة إلى رتبة

الوظيفة السادسة أن يقتصر بالمتعلم على قدر فهمه فلا يلقي إليه ما لا يبلغه عقله فينفره أو يخبط عليه عقله اقتداء في ذلك بسيد البشر صلى الله عليه وسلم حيث قال نحن معاشر الأنبياء أمرنا أن ننزل الناس منازلهم ونكلم الناس على قدر عقولهم فليبث إليه الحقيقة إذا علم أنه يستقل بفهمها وقال صلى الله عليه وسلم ما أحد يحدث قوماً بحديث لا تبلغه عقولهم إلا كان فتنة على بعضهم وقال علي رضي الله عنه وأشار إلى صدره إن ههنا لعلوماً جمة لو وجدت لها حملة وصدق رضي الله عنه فقلوب الأبرار قبور الأسرار فلا ينبغي أن يفشي العالم كل ما يعلم إلى كل أحد هذا إذا كان يفهمه المتعلم ولم يكن أهلاً للانتفاع به فكيف فيما لا يفهمه وقال عيسى عليه السلام لا تعلقوا الجوهر في أعناق الخنازير فإن الحكمة خير من الجوهر ومن كرهها فهو شر من الخنازير ولذلك قيل كل لكل عبد بمعيار عقله وزن له بميزان فهمه حتى تسلم منه وينتفع بك وإلا وقع الإنكار لتفاوت المعيار وسئل بعض العلماء عن شيء فلم يجب فقال السائل أما سمعت رسول الله

صلى الله عليه وسلم قال من كتم علماً نافعاً جاء يوم القيامة ملجماً بلجام من نار فقال اترك اللجام واذهب فإن جاء من يفقه فكتمته فليلجمني وقد قال الله عز وجل ولا تؤتوا السفهاء أموالكم تنبيهاً على أن حفظ العلم ممن يفسده ويضره أولى وليس الظلم في إعطاء غير المستحق بأقل من الظلم في منع المستحق

فمن منح الجهال علماً أضاعه ... ومن منع المستوجبين فقد ظلم

الوظيفة السابعة أن المتعلم القاصر ينبغي أن يلقى إليه الجلي اللائق به ولا يذكر له أن وراء هذا تدقيقاً وهو يدخره عنه فإن ذلك يفتر رغبته في الجلي ويشوش عليه قلبه ويوهم إليه البخل به عنه إذ يظن كل أحد أنه أهل لكل علم دقيق فما من أحد إلا وهو راض عن الله سبحانه في كمال عقله وأشدهم حماقة وأضعفهم عقلاً هو أفرحهم بكمال عقله وبهذا يعلم أن من تقيد من العوام بقيد الشرع ورسخت في نفسه العقائد المأثورة عن السلف من غير تشبيه ومن غير تأويل وحسنت مع ذلك سريرته ولم يحتمل عقله أكثر من ذلك فلا ينبغي أن يشوش عليه اعتقاده بل ينبغي أن يخلى وحرفته فإنه لو ذكر له تأويلات الظاهر انحل عنه قيد العوام ولم يتيسر قيده بقيد الخواص فيرتفع عنه السد الذي بينه وبين المعاصي وينقلب شيطاناً مريداً يهلك نفسه وغيره بل لا ينبغي أن يخاض بالعوام في حقائق العلوم الدقيقة بل يقتصر معهم على تعليم العبادات وتعليم الأمانة في الصناعات التي هم بصددها ويملأ قلوبهم من الرغبة والرهبة في الجنة والنار كما نطق به القرآن ولا يحرك عليهم شبهة فإنه ربما تعلقت الشبهة بقلبه ويعسر عليه حلها فيشقى ويهلك وبالجملة لا ينبغي أن يفتح للعوام باب البحث فإنه يعطل عليهم صناعاتهم التي بها قوام الخلق ودوام عيش الخواص

الوظيفة الثامنة أن يكون المعلم عاملاً بعلمه فلا يكذب قوله فعله لأن العلم يدرك بالبصائر والعمل يدرك بالأبصار وأرباب الأبصار أكثر فإذا خالف العمل العلم منع الرشد وكل من تناول شيئاً وقال للناس لا تتناولوه فإنه سم مهلك سخر الناس به واتهموه وزاد حرصهم على ما نهوا عنه فيقولون لولا أنه أطيب الأشياء وألذها لما كان يستأثر به ومثل المعلم المرشد من المسترشدين مثل النقش من الطين والظل من العود

فكيف ينتقش الطين بما لا نقش فيه ... ومتى استوى الظل والعود أعوج

ولذلك قيل

لا تنه عن خلق وتأتي مثله ... عار عليك إذا فعلت عظيم

وقال الله تعالى أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم ولذلك كان وزر العالم في معاصيه أكثر من وزر الجاهل إذ يزل بزلته عالم كثير ويقتدون به ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة ولذلك قال علي رضي الله عنه قصم ظهري رجلان عالم متهتك وجاهل متنسك فالجاهل يغر الناس بتنسكه والعالم يغرهم بتهتكه

الباب السادس في آفات العلم وبيان علامات علماء الآخرة وعلماء السوء

قد ذكرنا ما ورد من فضائل العلم والعلماء وقد ورد في العلماء السوء تشديدات عظيمة دلت على أنهم أشد الخلق عذاباً يوم القيامة فمن المهمات العظيمة معرفة العلامات الفارقة

من علماء الدنيا وعلماء الآخرة ونعني بعلماء الدنيا العلماء السوء الذين قصدهم من العلم التنعم بالدنيا والتوصل
إلى الجاه والمنزلة عند أهلها قال صلى الله عليه وسلم إن أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله
تعالى بعلمه وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال لا يكون المرء عالما حتى يكون بعلمه عاملا وقال صلى
الله عليه وسلم العلم علمان علم على اللسان فذلك حجة الله عز وجل على ابن آدم وعلم في القلب فذلك العلم النافع
وقال صلى الله عليه وسلم يكون في آخر الزمان عباد جهال وعلماء فسقة وقال صلى الله عليه وسلم
لا تتعلموا العلم لتباهوا به العلماء ولتماروا به السفهاء ولتصرفوا به وجوه الناس إليكم فمن فعل ذلك
فهو في النار وقال صلى الله عليه وسلم من كتم علما عنده ألجمه الله بلجام من نار وقال صلى الله عليه وسلم عليه
السلام لأنا من غير الدجال أخوف عليكم من الدجال فقيل وما ذاك فقال صلى الله عليه وسلم من الأئمة المضلين
وقال أيضا عليه السلام من ازداد علما ولم يزدد هدى لم يزدد من الله إلا بعدا وقال عيسى
صلى الله عليه وسلم إلى متى تصفون الطريق للمدلجين وأنتم مقيمون مع المتحيرين فهذا وغيره من الأخبار يدل
على عظيم خطر العلم وأن العالم إما متعرض لهلاك الأبد أو لسعادة الأبد وأنه بالخوض في العلم قد حرم
السلامة إن لم يدرك السعادة **وأما الآثار** فقد قال عمر رضي الله عنه إن أخوف ما
أخاف على هذه الأمة المنافق العليم قالوا وكيف يكون منافقا عليما قال عليم اللسان جاهل القلب
والعمل وقال الحسن لا تكن ممن يجمع علم العلماء وطرائف الحكماء ويجري في العمل مجرى السفهاء وقال
رجل لأبي هريرة أريد أن أتعلم العلم وأخاف أن أضيعه فقال كفى بترك العلم إضاعة له وقيل لإبراهيم بن عيينة
أي الناس أطول ندامة قال أما في عاجل الدنيا فصانع المعروف إلى من لا يشكره وأما عند الموت فعالم
مفرط وقال الخليل بن أحمد الرجال أربعة فرجل يدري ويدري أنه يدري فذلك عالم فاتبعوه ورجل
يدري ولا يدري أنه يدري فذلك نائم فأنبهوه ورجل لا يدري ويدري أنه لا يدري فذلك مسترشد فعلموه
ورجل لا يدري ولا يدري أنه لا يدري فذلك جاهل فارفضوه وقال الثوري يهتف العلم بالعمل فإن أجابه
وإلا ارتحل وقال ابن المبارك لا يزال المرء عالما ما طلب العلم فإذا ظن أنه قد علم فقد جهل وقال
الفضيل بن عياض إني لأرحم ثلاثة عزيز قوم ذل وغني قوم افتقر وعالما تلعب به الدنيا وأنشدوا

عجبت لمبتاع الضلالة بالهدى ۞ ومن يشتري دنياه بالدين أعجب
وأعجب من هذين من باع دينه ۞ بدنيا سواه فهو من ذين أعجب

وقال النبي صلى الله عليه وسلم إن العالم ليعذب عذابا يطيف به أهل النار استعظاما لشدة
عذابه وأراد به العالم الفاجر وقال أسامة بن زيد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يؤتى
بالعالم يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتابه فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى فيطيف به
أهل النار فيقولون ما لك فيقول كنت آمر بالخير ولا آتيه وأنهى عن الشر وآتيه وإنما يضاعف عذاب
العالم في معصيته لأنه عصى عن علم ولذلك قال عز وجل إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار لأنهم
جحدوا بعد العلم وجعل اليهود شرا من النصارى مع أنهم ما جعلوا لله سبحانه ولدا ولا قالوا إنه ثالث ثلاثة

نقل

وقال بعضهم عقوبة العلماء موت القلوب

ولكن أنكروا بعد المعرفة إذ قال الله تعالى يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وقال جل وعز فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به
وقال تعالى في قصة بلعم بن باعوراء واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها حتى قال فمثله كمثل الكلب
إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث وكذلك العالم الفاجر فإن بلعم أوتي كتاب الله عز وجل فأخلد إلى الشهوات
فشبه بالكلب أي سواء أوتي الحكمة أو لم يؤتها فهو يلهث إلى الشهوات وقال عيسى عليه السلام
مثل علماء السوء مثل صخرة وقعت على فم النهر لا هي تشرب الماء ولا هي تترك الماء يخلص إلى الزرع ومثل
علماء السوء كمثل قناة الحش ظاهرها جص وباطنها نتن ومثل القبور ظاهرها عامر وباطنها عظام
الموتى **فهذه** الأخبار والآثار تبين أن العالم الذي هو من أبناء الدنيا أخس حالا وأشد عذابا
من الجاهل وأن الفائزين المقربين هم علماء الآخرة ولهم علامات **فمنها** أن لا يطلب الدنيا
بعلمه فإن أقل درجات العالم أن يدرك حقارة الدنيا وخستها وكدورتها وانصرامها وعظم الآخرة
ودوامها وصفاء نعيمها وجلالة ملكها ويعلم أنهما متضادتان وأنهما كالضرتين مهما أرضيت إحداهما
أسخطت الأخرى وأنهما ككفتي الميزان مهما رجحت إحداهما خفت الأخرى وأنهما كالمشرق والمغرب
مهما قربت من أحدهما بعدت عن الآخر وأنهما كقدحين أحدهما مملوء وبقدر ما تصب منه في الآخر حتى يمتلئ
يفرغ الآخر فمن لا يعلم حقارة الدنيا وكدورتها وامتزاج لذتها بألمها ثم انصرام ما يصفو منها فهو فاسد
العقل فإن المشاهدة والتجربة ترشد إلى ذلك فكيف يكون من العلماء من لا عقل له ومن لا يعلم عظم أمر الآخرة
ودوامها فهو كافر مسلوب الإيمان فكيف يكون من العلماء من لا إيمان له ومن لا يعلم مضادة الدنيا للآخرة
وأن الجمع بينهما طمع في غير مطمع فهو جاهل بشرائع الأنبياء كلهم بل هو كافر بالقرآن كله من أوله إلى
آخره فكيف يعد من زمرة العلماء ومن علم هذا كله ثم لم يؤثر الآخرة على الدنيا فهو أسير الشيطان
قد أهلكته شهوته وغلبت عليه شقوته فكيف يعد من حزب العلماء من هذه درجته وفي
أخبار داود عليه السلام حكاية عن الله تعالى إن أدنى ما أصنع بالعالم إذا آثر شهوته على محبتي أن أحرمه لذيذ
مناجاتي يا داود لا تسأل عني عالما قد أسكرته الدنيا فيصدك عن طريق محبتي أولئك قطاع الطريق على
عبادي يا داود إذا رأيت لي طالبا فكن له خادما يا داود من رد إلي هاربا كتبته جهبذا
ومن كتبته جهبذا لم أعذبه أبدا ولذلك قال الحسن عقوبة العلماء موت القلب وموت القلب طلب الدنيا بعمل الآخرة
ولذلك قال يحيى بن معاذ إنما يذهب بهاء العلم والحكمة إذا طلب بهما الدنيا وقال سعيد بن المسيب
رضي الله عنه إذا رأيتم العالم يحب الدنيا فاتهموه على دينكم فإن كل محب يخوض فيما أحب وقال مالك بن
دينار قرأت في بعض الكتب السالفة إن الله تعالى يقول إن أهون ما أصنع بالعالم إذا أحب الدنيا أن أخرج
حلاوة مناجاتي من قلبه وكتب رجل إلى أخ له إنك قد أوتيت علما فلا تطفئن نور علمك بظلمة الذنوب
فتبقى في الظلمة يوم يسعى أهل العلم في نور علمهم وكان يحيى بن معاذ الرازي يقول لعلماء الدنيا يا أصحاب
العلم قصوركم قيصرية وبيوتكم كسروية وأثوابكم ظاهرية وأخفافكم جالوتية ومراكبكم قارونية
وأوانيكم فرعونية ومآثمكم جاهلية ومذاهبكم شيطانية فأين الشريعة المحمدية وأنشدوا

الآخرة على

رضي الله عنه

العلماء

وقيل

وراعي الشاة يحمي الذئب عنها ◆ فكيف إذا الرعاة لها ذئاب

يا معشر القراء يا ملح البلد ◆ ما يصلح الملح إذا الملح فسد

وقيل لبعض العارفين أترى أن من تكون المعاصي قرة عينه لا يعرف الله تعالى قال لا أشك أن من تكون الدنيا آثر عنده من الآخرة أنه لا يعرف الله تعالى وهو دون ذلك بكثير ولا تظنن أن ترك المال يكفي في اللحوق بعلماء الآخرة فإن الجاه أضر من المال ولذلك قال بشر حدثنا باب من أبواب الدنيا فإذا سمعت الرجل يقول حدثنا فإنما يقول أوسعوا لي ودفن بشر بن الحارث بضعة عشر ما بين قمطر وقوصرة من الكتب وكان يقول أنا أشتهي أن أحدث ولو ذهبت عني شهوة الحديث لحدثت وقال هو وغيره إذا اشتهيت أن تحدث فلا تحدث وإذا اشتهيت أن لا تحدث فحدث وهذا لأن التلذذ بجاه الإفادة ومنصب الإرشاد أعظم من كل نعيم في الدنيا فمن أجاب شهوته فيه فهو من أبناء الدنيا ولذلك قال الثوري فتنة الحديث أشد من فتنة الأهل والمال والولد وكيف لا تخاف فتنته وقد قيل لسيد البشر صلى الله عليه وسلم ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا وقال سهل العلم كله دنيا والآخرة منه العمل به والعمل كله هباء إلا الإخلاص وقال الناس موتى إلا العلماء والعلماء سكارى إلا العاملين والعاملون مغرورون إلا المخلصين والمخلصون على وجل حتى يختم لهم به وقال أبو سليمان الداراني إذا طلب الرجل الحديث أو تزوج أو سافر في طلب المعاش فقد ركن إلى الدنيا وإنما أراد به طلب الأسانيد العالية أو طلب الحديث الذي لا يحتاج إليه في طريق الآخرة وقال عيسى عليه السلام كيف يكون من أهل العلم من مسيره إلى آخرته وهو مقبل على دنياه وكيف يكون من أهل العلم من يطلب الكلام ليخبر به لا ليعمل به وقال صالح بن حسان البصري أدركت الشيوخ وهم يتعوذون بالله من الفاجر العالم بالسنة وروى أبو هريرة أنه صلى الله عليه وسلم قال من طلب علما مما يبتغى به وجه الله سبحانه ليصيب به عرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة وقد وصف الله سبحانه علماء السوء بأكل الدنيا بالعلم ووصف علماء الآخرة بالخشوع والزهد فقال في علماء الدنيا وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا وقال في علماء الآخرة وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم إلى قوله أولئك لهم أجرهم عند ربهم وقال بعض السلف العلماء يحشرون في زمرة الأنبياء والقضاة يحشرون في زمرة السلاطين وفي معنى القضاة كل فقيه قصده طلب الدنيا بعلمه وروى أبو الدرداء أنه صلى الله عليه وسلم قال أوحى الله تعالى إلى بعض الأنبياء قل للذين يتفقهون لغير الدين ويتعلمون لغير العمل ويطلبون الدنيا بعمل الآخرة يلبسون للناس مسوك الكباش وقلوبهم كقلوب الذئاب ألسنتهم أحلى من العسل وقلوبهم أمر من الصبر إياي يخادعون وبي يستهزئون لأتيحن لهم فتنة تذر الحليم حيران وروى الضحاك عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال علماء هذه الأمة رجلان رجل آتاه الله تعالى علما فبذله للناس ولم يأخذ عليه طمعا ولم يشتر به ثمنا فذلك تصلي عليه طير السماء وحيتان الماء ودواب الأرض والكرام الكاتبون يقدم على الله تعالى سيدا شريفا

حتى يرافق المرسلين ورجل آتاه الله علما في الدنيا فضن به على عباد الله تعالى وأخذ عليه طمعا واشترى به ثمنا فذلك يأتي يوم القيامة ملجما بلجام من نار ينادي مناد على رؤوس الخلائق هذا فلان بن فلان آتاه الله علما في الدنيا فضن به على عباده وأخذ عليه طمعا واشترى به ثمنا فيعذب حتى يفرغ من حساب الناس وأشد من هذا ما روي أن رجلا كان يخدم موسى عليه السلام فجعل يقول حدثني موسى صفي الله حدثني موسى نجي الله حدثني موسى كليم الله حتى أثرى وكثر ماله ففقده موسى صلى الله عليه وسلم فجعل يسأل عنه فلا يحس له خبرا حتى جاءه رجل ذات يوم وفي يده خنزير وفي عنقه حبل أسود فقال له موسى أتعرف فلانا قال نعم قال هو هذا الخنزير فقال موسى صلى الله عليه وسلم يا رب أسألك أن ترده إلى حاله حتى أسأله بم أصابه هذا فأوحى الله عز وجل إليه لو دعوتني بالذي دعاني به آدم فمن دونه ما أجبتك فيه ولكن أخبرك لم صنعت هذا به لأنه كان يطلب الدنيا بالدين وأغلظ من هذا ما روى معاذ بن جبل موقوفا ومرفوعا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من فتنة العالم أن يكون الكلام أحب إليه من الاستماع وفي الكلام تنميق وزيادة ولا يؤمن على صاحبه الخطأ وفي الصمت سلامة وعلم ومن العلماء من يخزن علمه فلا يحب أن يوجد عند غيره فذلك في الدرك الأول من النار ومن العلماء من يكون في علمه بمنزلة السلطان فإن رد عليه شيء من علمه أو تهوون بشيء من حقه غضب فذلك في الدرك الثاني من النار ومن العلماء من يجعل علمه وغرائب حديثه لأهل الشرف واليسار ولا يرى أهل الحاجة له أهلا فذلك في الدرك الثالث من النار ومن العلماء من ينصب نفسه للفتيا فيفتي بالخطأ والله تعالى يبغض المتكلفين فذلك في الدرك الرابع من النار ومن العلماء من يتكلم بكلام اليهود والنصارى ليغزر به علمه فذلك في الدرك الخامس من النار ومن العلماء من يتخذ علمه مروءة ونبلا وذكرا في الناس فذلك في الدرك السادس من النار ومن العلماء من يستفزه الزهو والعجب فإن وعظ عنف وإن وعظ أنف فذلك في الدرك السابع من النار فعليك بالصمت فبه تغلب الشيطان وإياك أن تضحك من غير عجب أو تمشي في غير أرب

وفي خبر آخر إن العبد لينشر له من الثناء ما يملأ ما بين المشرق والمغرب وما يزن عند الله جناح بعوضة وروي أن الحسن رحمه الله حمل إليه رجل من خراسان كيسا بعد انصرافه من مجلسه فيه خمسة آلاف درهم وعشرة أثواب من رقيق البز وقال يا أبا سعيد هذه نفقة وهذه كسوة فقال الحسن عافاك الله ضم إليك نفقتك وكسوتك فلا حاجة لنا بذلك إنه من جلس مثل مجلسي هذا وقبل من الناس مثل هذا لقي الله تعالى يوم القيامة ولا خلاق له وروي عن جابر مرفوعا وموقوفا أنه صلى الله عليه وسلم قال لا تجلسوا عند كل عالم إلا عالم يدعوكم من خمس إلى خمس من الشك إلى اليقين ومن الرياء إلى الإخلاص ومن الرغبة إلى الزهد ومن الكبر إلى التواضع ومن العداوة إلى النصيحة وقال تعالى فخرج على قومه في زينته إلى قوله وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن فعرف أهل العلم بإيثار الآخرة على الدنيا ومنها أن لا يخالف فعله قوله بل لا يأمر بالشيء ما لم يكن هو أول عامل به قال الله تعالى أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وقال تعالى كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون

وقال ... وقصة ... على نبيه عليه الصلاة والسلام ... [illegible] ... عنه وقال تعالى
واتقوا الله ويعلمكم الله واتقوا الله واعلموا ... وقال ... عيسى صلى الله عليه
وسلم ... [illegible] ... وقال صلى الله عليه وسلم
... [illegible] ... فقالوا انا كنا نامر بالخير ولا نفعله ...
... [illegible] ... وقال الاوزاعي ... [illegible] ... رضي الله تعالى عنه
... [illegible] ... وقال الفضيل ... [illegible] ... من العلماء ... [illegible] ... يوم القيامة
... [illegible] ... وقال ابو الدرداء ... [illegible] ... وقال الشعبي
... [illegible] ... من اهل الجنة الى قوم من اهل النار ... [illegible] ... وانما دخلنا الجنة ...
... [illegible] ... انا كنا نامر بالخير ولا نفعله وقال ... [illegible] ... اشد حسرة
... [illegible] ... وقال ... [illegible] ... ان العالم
... [illegible] ... وانشدوا

وقيل

يا واعظ الناس قد اصبحت متهما	اذ عبت منهم امورا انت تاتيها
لا تنه عن خلق وتاتي مثله	عار عليك اذا فعلت عظيم

وقال ابن ... [illegible] ... رضي الله عنه ... [illegible] ... عليه ... [illegible] ...
... [illegible] ... وقال ابن ... [illegible] ...
... [illegible] ... على ... [illegible] ...
... [illegible] ... وقال ابن ... [illegible] ... كلا ... [illegible] ...
... [illegible] ... وروي ... [illegible] ... رسول الله صلى الله عليه وسلم
... [illegible] ... رسول الله صلى الله عليه وسلم ... تعلموا ما شئتم ان تعلموا ... [illegible] ...
حتى تعملوا وقال الاوزاعي ... [illegible] ... وقال عيسى عليه السلام مثل الذي يتعلم
العلم ولا يعمل به مثل امراة ... [illegible] ... يوم
القيامة على رؤوس الاشهاد وقال معاذ ... [illegible] ... على السنتهم
وقال عمر ... [illegible] ... وقال ثلاث ... [illegible] ...
... [illegible] ... وقال ابن مسعود ... [illegible] ... القلوب ... [illegible] ...
... [illegible] ... مثل ... [illegible] ... عليها ... [illegible] ...
... [illegible] ... القلوب ... [illegible] ...
ينابيع الحكمة ... [illegible] ...
والعلم ... [illegible] ... القلوب ... [illegible] ...
... [illegible] ... وقال ... [illegible] ... لا تكلفوا ... [illegible] ...

حتى تعملوا بما علمتم وقال ... [illegible] ...
... [illegible] ... واعلم ان مثل العالم مثل ... [illegible] ... وقد قال صلى الله عليه وسلم ... [illegible] ...
... [illegible] ... وقال ... [illegible] ...
... [illegible] ... الدنيا ... [illegible] ...
... [illegible] ...
... [illegible] ... وقال ... [illegible] ...
... [illegible] ... صلى الله عليه وسلم ... [illegible] ... رسول الله ... [illegible] ...
... [illegible] ... العلم ... [illegible] ... وقال ... [illegible] ...
... [illegible] ... العلم ... [illegible] ...
... [illegible] ... وقال ... [illegible] ...
... [illegible] ... وقال ... [illegible] ... تعلموا ... [illegible] ...
... [illegible] ... وقال ... [illegible] ...
... [illegible] ... وقال ... [illegible] ...
... [illegible] ...
... [illegible] ...
... [illegible] ... وفي ... [illegible] ...
ومنها ان يكون ... [illegible] ...
... [illegible] ...
... [illegible] ...
... [illegible] ... وقد ... [illegible] ...
... [illegible] ... رسول الله صلى الله عليه وسلم ... [illegible] ...
... [illegible] ... صلى الله عليه وسلم ... [illegible] ...
... [illegible] ... صلى الله عليه وسلم ... [illegible] ...
... [illegible] ... صلى الله عليه وسلم ... [illegible] ... قال ... [illegible] ...
... [illegible] ...
... [illegible] ...
... [illegible] ...
... [illegible] ... قال ... [illegible] ...
... [illegible] ...

فإذا دخلت القبر دخل معي محبوبي فقال أحسنت يا حاتم **فما الثانية** فقال نظرت في قول الله عز وجل
وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى فعلمت أن قوله سبحانه هو الحق
فأجهدت نفسي في دفع الهوى حتى استقرت على طاعة الله سبحانه وتعالى **الثالثة** أني نظرت
إلى هذا الخلق فرأيت كل من معه شيء له قيمة عنده ومقدار رفعه وحفظه ثم نظرت إلى قول الله عز
وجل ما عندكم ينفد وما عند الله باق فكلما وقع معي شيء له مقدار وقيمة وجهته إلى الله ليبقى لي عنده
الرابعة أني نظرت إلى هذا الخلق فرأيت كل واحد منهم يرجع إلى المال وإلى الحسب والشرف والنسب
فنظرت فيها فإذا هي لا شيء ثم نظرت إلى قول الله عز وجل إن أكرمكم عند الله أتقاكم فعملت في التقوى حتى أكون عند
الله تقيا فعملت في التقوى حتى أكون عند الله عز وجل كريما **الخامسة** نظرت إلى هذا
الخلق وهم يطعن بعضهم في بعض ويلعن بعضهم بعضا وأصل هذا كله الحسد ثم نظرت إلى قول الله
عز وجل نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا فتركت الحسد واجتنبت الخلق وعلمت أن القسمة من عند
الله سبحانه فتركت عداوة الخلق عني **السادسة** نظرت إلى هذا الخلق يبغي بعضهم على بعض
ويقاتل بعضهم بعضا فرجعت إلى قول الله تعالى إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا فعاديته وحده
واجتهدت في أخذ حذري منه لأن الله تعالى شهد عليه أنه عدو لي فتركت عداوة الخلق **السابعة**
نظرت إلى هذا الخلق فرأيت كل واحد منهم يطلب هذه الكسرة فيذل فيها نفسه ويدخل فيما لا يحل له فنظرت
إلى قوله تعالى وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها فعلمت أني واحد من هذه الدواب التي على الله رزقها
فاشتغلت بما لله تعالى علي وتركت ما لي عنده **الثامنة** نظرت إلى هذا الخلق فرأيتهم متوكلين
هذا على ضيعته وهذا على تجارته وهذا على صناعته وهذا على صحة بدنه وكل مخلوق متوكل على مخلوق
فرجعت إلى قوله عز وجل ومن يتوكل على الله فهو حسبه فتوكلت عليه فهو حسبي **فقال شقيق**
وفقك الله يا حاتم فإني نظرت في علم التوراة والإنجيل والزبور والفرقان العظيم فوجدتها تدور على هذه الثماني
مسائل فمن استعملها فقد استعمل الكتب الأربعة فهذا الفن من العلم لا يهتم بإدراكه والتفطن له إلا علماء الآخرة
وأما علماء الدنيا فيشتغلون بما يتيسر به اكتساب المال والجاه ويهملون أمثال هذه العلوم التي بعث
الله بها الأنبياء كلهم **وقال** الضحاك بن مزاحم أدركتهم وما يتعلم بعضهم من بعض إلا الورع وهم اليوم
يتعلمون الكلام **ومنها** أن يكون غير مائل إلى الترفه في المطعم والمشرب والتنعم في الملبس
والتجمل في الأثاث والمسكن بل يؤثر الاقتصاد في جميع ذلك ويتشبه فيه بالسلف ويميل
إلى الاكتفاء بالأقل في جميع ذلك وكلما ازداد إلى جانب القلة ميله ازداد من الله سبحانه قربه
وارتفع في علماء الآخرة حزبه ويشهد لذلك ما حكي عن أبي عبد الله الخواص وكان من أصحاب حاتم
الأصم قال دخلت مع حاتم الري ومعنا ثلاثمائة وعشرون رجلا نريد الحج وعليهم الزرمانقات
وليس معهم جراب ولا طعام فدخلنا على رجل من التجار متقشف يحب المساكين فأضافنا تلك الليلة
فلما كان من الغد قال لحاتم ألك حاجة فإني أريد أن أعود فقيها لنا هو عليل فقال حاتم عيادة المريض

لها فضل والنظر إلى الفقيه عبادة وأنا أيضا أجيء معك وكان العليل محمد بن مقاتل قاضي الري فلما جئنا إلى
الباب فإذا باب مشرف حسن فبقي حاتم متفكرا يقول باب عالم على هذه الحال ثم أذن لهم فدخلوا فإذا
دار قوراء وإذا بزة وسعة وستور فبقي حاتم متفكرا ثم دخلوا إلى المجلس الذي هو فيه وإذا بفرش وطيئة
وهو راقد عليها وعند رأسه غلام وبيده مذبة فقعد الزائر وسأل وحاتم قائم فأومأ إليه أن اجلس
فقال لا أجلس فقال لعل لك حاجة فقال نعم فقال وما هي قال مسألة أسألك عنها قال سلني
قال قم فاستو جالسا حتى أسألك فاستوى فقال حاتم علمك هذا من أين أخذته قال من الثقات حدثوني به
قال عمن قال عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عمن قال عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال ورسول الله صلى الله عليه وسلم عمن قال عن جبريل عليه السلام عن الله تعالى قال
فقال حاتم ففيما أداه جبريل عليه السلام عن الله سبحانه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأداه رسول
الله صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه رضي الله عنهم وأصحابه إلى الثقات وأداه الثقات إليك هل سمعت فيه العلم
من كان في داره أميرا وكانت سعتها أكثر كانت له المنزلة عند الله أكثر قال لا قال فكيف سمعت قال سمعت
من زهد في الدنيا ورغب في الآخرة وأحب المساكين وقدم لآخرته كانت له عند الله المنزلة أكثر قال له حاتم
فأنت بمن اقتديت أبالنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه والصالحين رضي الله عنهم أم بفرعون ونمرود أول من بنى
بالجص والآجر يا علماء السوء مثلكم يراه الجاهل المتكالب على الدنيا الراغب فيها فيقول العالم على هذه
الحالة أفلا أكون أنا شرا منه وخرج من عنده فازداد ابن مقاتل مرضا وبلغ أهل الري ما جرى بينه وبين ابن مقاتل
فقالوا له إن الطنافسي بقزوين أكثر شيئا منه فسار حاتم متعمدا فدخل عليه فقال رحمك الله أنا رجل أعجمي
أحب أن تعلمني مبتدأ ديني ومفتاح صلاتي كيف أتوضأ للصلاة قال نعم وكرامة يا غلام هات إناء فيه ماء
فأتي به فقعد الطنافسي فتوضأ ثلاثا ثلاثا ثم قال هكذا فتوضأ فقال حاتم مكانك حتى أتوضأ بين يديك
فيكون أوكد لما أريد فقام الطنافسي وقعد حاتم فتوضأ وغسل الذراعين أربعا أربعا فقال له
الطنافسي يا هذا أسرفت قال له حاتم في ماذا قال غسلت ذراعيك أربعا فقال حاتم يا سبحان الله أنا في كف
ماء أسرفت وأنت في جميع هذا كله لم تسرف فعلم الطنافسي أنه قصد ذلك دون التعلم فدخل البيت فلم
يخرج إلى الناس أربعين يوما **فلما** دخل بغداد اجتمع إليه أهل بغداد فقالوا يا أبا عبد الرحمن أنت رجل ألكن
أعجمي ليس يكلمك أحد إلا قطعته **فقال** معي ثلاث خصال بهن أظهر على خصمي أفرح إذا أصاب
خصمي وأحزن إذا أخطأ وأحفظ نفسي أن لا أجهل عليه فبلغ ذلك أحمد بن حنبل رحمه الله فقال سبحان
الله ما أعقله قوموا بنا إليه فلما دخلوا عليه قال له يا أبا عبد الرحمن ما السلامة من الدنيا قال
يا أبا عبد الله لا تسلم من الدنيا حتى يكون معك أربع خصال تغفر للقوم جهلهم وتمنع جهلك منهم
وتبذل لهم شيئك وتكون من شيئهم آيسا فإذا كنت هكذا سلمت **ثم** سار إلى المدينة
فاستقبله أهل المدينة فقال يا قوم أية مدينة هذه قالوا مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال فأين قصر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أصلي فيه قالوا ما كان له قصر إنما كان له بيت لاطئ

قال ابن حبيب فضول اصحابه رضي الله عنهم قالوا اما كانت لم فضول انا كانت لم يوجد الطيب الا [illegible] فقال حاتم ديا
قوم فهل من مرية من عون ماضرة وذهبوا به الى السلطان وقالوا له سر اذا لا نحب نحول من مرية من عون
قال السلطان ولم ذلك قال حاتم لا تحمل علي انا رجل اعجمي غريب وخلفت اهلي فقلت مرية من عون فقالوا
مرية الرسول صلى الله عليه وسلم فقلت ان فيه وفيه القصة وقد قال الله تعالى لقد كان لكم في رسول الله
اسوة حسنة فانتم تاتيتم الرسول صلى الله عليه وسلم ام ابن عون اول من بنى بالجص والاجر فخلوا
عنه فتركوه [illegible] حكاية حاتم وسياتي من سيرة السلف في الزهادة وترك التجمل ما يشير لذلك
بمواضعه ان شاء الله **والتحقيق** فيه ان الحق بالمباح تيسيرا ما والاكثر الخوض فيه يوجب ذا الخوض
به حتى يشوبه كدر واشتراط الزينة لا تستنكر لطبائعهم انتشار به الغالب يلزم من مراعاتها امور منها
ارتكاب المعاصي للمداهنة ومراعاة الخلق من الاتيان وامور اخر من محظورة والحزم احتياط لدى ان لا
من خاض في الدنيا لا ينجو منها البتة ولو كانت السلامة منها ولتقدم الخوض لكان رسول الله صلى
الله عليه وسلم لا يبالغ في ترك الزينة حتى نزع القميص المطرز بالعلم ونزع خاتم الذهب في اثناء الخطبة
الى غيرة لها مما سياتي **فقد حكى** ابو يحيى بن يسل السكوني في كتاب الرملة انه الشيخ الشارح ابي
عبد الله محمد بن داود لا يصلي من يحيى بن يسل بن عثمان الملطي الرملي انه اما نهر فقر يلغني
انك تلبس الصوف وتاكل الخبز وتجلس على الارض وتجعل على بابك حاجبا وقد جلست مجلس العلم
وضربت اليك الطي وارتحل اليك الناس واتخذوك اماما ورضوا بقولك فاتق الله يا مالك
وعليك بالتواضع كتب اليك بالنصيحة مني كتابا ما اطلع عليه الا الله تعالى والسلام **وكتب**
اليه مالك بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد ملك الرملي ابي يحيى بن يسل سلام عليك اما بعد فقد وصل
الي كتابك موقعا فيه من النصيحة والشفقة والادب امتعك الله بالتقوى وجزاك بالنصيحة خيرا
واسال الله التوفيق ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فاما ما ذكرت لي اني اكل الرقاق
والبس الرقاق واحتجب واجلس على الوطا فنحن نفعل ذلك ونستغفر الله وقد قال الله تعالى قل من حرم
زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق واني لاعلم ان ترك ذلك خير من الدخول فيه ولا تدعنا
من كتابك فلسنا ندع كتابنا والسلام **فانظر** ابي انصاف مالك رحمه الله اذ اعترف
بان ترك ذلك خير وافتى بانه مباح وقد صرفوا ذلك جميعا ومثل مالك في منصبه اذ سمحت نفسه
بالانصاف والاعتراف بمثل هذه النصيحة فتقوى انطلاق نفسه على الوقوف على حدود المباح
حتى لا يحيد الى الغلو والمداهنة والتجاوز الى المكروهات واما غيره فلا يقدر عليه فانهم
على الشيء من المباح فهم فيه ومن بعده من الخوض والخشية وخاصة علماء الله سبحانه وخاصة
الخشية ايتاء من هذا الخطر **ومنها** ان يكون منقطعا عن السلاطين لا يدخل عليهم البتة
ما دام يجد الى الفرار عنهم سبيلا بل ينبغي ان يحترز من مخالطتهم وان جاؤوا اليه فان الدنيا حلوة خضرة
وزمامها بايدي السلاطين والمخالط لهم لا يخلو عن تكلف في طلب مرضاتهم واستمالة قلوبهم مع انهم ظلمة

وسبيل كل متدين ان ينكر عليهم ويضيق صدره بما ظهر من ظلمهم وقبح فعلهم فالداخل عليهم اما ان يلتفت الى
تجملهم فيزدري نعمة الله عليه او يسكت عن الانكار عليهم فيكون مداهنا او يتكلف في كلامه لمرضاتهم
وتحسين حالهم وذلك هو البهت الصريح او يطمع في ان ينال من دنياهم وذلك هو السحت وسياتي في كتاب
الحلال والحرام ما يجوز ان يؤخذ من اموال السلاطين وما لا يجوز من الادرار والجوائز وغيرها **وقال** النبي
صلى الله عليه وسلم مفتاح الشر ومرض وعلماء السوء لا يزالون يدخلون على الامراء **وقد قال** صلى الله عليه وسلم من سكن البادية
جفا ومن اتبع الصيد غفل ومن اتى السلطان افتتن **وقال** صلى الله عليه وسلم سيكون عليكم امراء تعرفون منهم
وتنكرون فمن انكر فقد برئ ومن كره فقد سلم ولكن من رضي وتابع ابعده الله قيل افلا نقاتلهم قال لا ما صلوا
وقال سفيان في جهنم واد لا يسكنه الا القراء الزوارون للملوك **وقال** حذيفة اياكم ومواقف الفتن
قيل وما هي قال ابواب الامراء يدخل احدكم على الامير فيصدقه بالكذب ويقول ما ليس فيه **وقال** صلى الله
عليه وسلم العلماء امناء الرسل على عباد الله سبحانه ما لم يخالطوا السلاطين فاذا فعلوا ذلك فقد خانوا
الرسل فاحذروهم واعتزلوهم رواه انس **وقيل** للاعمش لقد احييت العلم لكثرة من ياخذه عنك فقال لا
تعجلوا ثلث يموتون قبل الادراك وثلث يلزمون ابواب السلاطين فهم شر الخلق والثلث الباقي لا يفلح منهم الا
القليل **ولذلك** قال سعيد بن المسيب اذا رأيتم العالم يغشى الامراء فاحترزوا منه فانه لص **وقال**
الاوزاعي ما من شيء ابغض الى الله من عالم يزور عاملا **وقال** رسول الله صلى الله عليه وسلم شرار
العلماء الذين ياتون الامراء وخيار الامراء الذين ياتون العلماء **وقال** مكحول الدمشقي من تعلم القران
وتفقه في الدين ثم صحب السلطان تملقا اليه وطمعا فيما لديه خاض في بحر من نار جهنم بعدد خطاه **وقال** سمنون
ما اسمج بالعالم ان يؤتى الى مجلسه فلا يوجد فيسال عنه فيقال انه عند الامير قال وكنت اسمع انه
يقال اذا رايتم العالم يحب الدنيا فاتهموه على دينكم حتى جربت ذلك اذ ما دخلت قط على هذا السلطان
الا وحاسبت نفسي بعد الخروج فارى عليها الدرك مع ما اواجههم به من الغلظة والمخالفة
لهواهم **وقال** عبادة بن الصامت حب القراء والعباد للامراء نفاق وحب الامراء لهم رياء
وقال ابو ذر لسلمة يا سلمة لا تغش ابواب السلاطين فانك لا تصيب شيئا من دنياهم الا اصابوا من دينك افضل منه
وهذه فتنة عظيمة للعلماء وذريعة صعبة للشيطان عليهم لا سيما من له لهجة مقبولة وكلام حلو اذ لا يزال الشيطان يلقي اليه ان في وعظك لهم ودخولك عليهم ما يزجرهم عن الظلم ويقيم شعائر الشرع **وقال** الحسن
[illegible] قبلكم يطلبون [illegible] والسلام وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر [illegible]
[illegible] ابو [illegible] فقال الرشيد [illegible] منهم
[illegible] الحكمة والعزم [illegible] فقال [illegible] الله [illegible]
[illegible] فقالوا [illegible]
[illegible] الحسن [illegible]
وقال [illegible] السلطان [illegible]
[illegible] السلاطين [illegible]

تهمس مبتنى عظيمة للعلماء وذريعة صعبة للشيطان عليهم لا سيما لمن له نفس مقبولة وكلام حلو إذ لا بد أن
الشيطان يبلغ إليه ما يغيظه ويخوفه أليس ما يرحم من العلم ويفيض شيئا إلى الرياء الا يحيل الغيبة
ان الرسول عليهم من الوحي ثم إذا دخل لا يلبث أن يلطف به الكلام ويرائي ويخوض فيه الثناء والإطراء وفيه
قال الرب وكان يقول العلماء إذا علموا عملوا فإذا عملوا شغلوا فإذا شغلوا فقدوا فإذا فقدوا طلبوا
فإذا طلبوا هربوا وكتب عمر بن عبد العزيز إلى الحسن أما بعد فأشر علي بقوم
أستعين بهم على أمر الله تعالى فكتب إليه أما أهل الدين فلا يريدونك وأما أهل الدنيا فلا تريدهم
ولكن عليك بالأشراف فإنهم يصونون شرفهم أن يدنسوه بالخيانة هذا في عمر بن عبد العزيز وكان من
أزهد أهل زمانه فإذا كان أمر الدين يهرب منه فكيف بمن يطلب غيره وهذا كان دأب السلف مثل
الحسن والثوري وابن المبارك والفضيل وابن أدهم ويوسف بن أسباط رضي الله عنهم
يتكلمون به علماء الزمان أهل مكة والشام أهل المنابر الدنيا وهذا كله للشاطر ومنها
أن يكون مسارعا إلى الفتوى بل يكون متوقفا متحرزا ما وجد إلى الخلاص سبيلا فإن سئل عما يعلمه تحقيقا
بنص كتاب الله تعالى أو بنص حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم أو بإجماع أو قياس جلي أفتى وإن سئل عما
يشك فيه قال لا أدري وإن سئل عما يظنه باجتهاد وتخمين احتاط ودفع عن نفسه وأحال على غيره إن كان
في غيره غنية هذا هو الحزم لأن تقلد خطر الاجتهاد عظيم وفي الخبر العلم ثلاثة كتاب ناطق وسنة
قائمة ولا أدري وقال الشعبي لا أدري نصف العلم ومن سكت حيث لا يدري لله تعالى فليس بأقل أجرا ممن نطق
لأن الاعتراف بالجهل أشد على النفس وهكذا كانت عادة الصحابة والسلف كان ابن عمر رضي الله عنه
إذا سئل عن الفتوى قال اذهب إلى هذا الأمير الذي تقلد أمور الناس فضعها في عنقه وقال ابن مسعود
إن الذي يفتي الناس في كل ما يستفتونه لمجنون وقال جنة العالم لا أدري فإن أخطأها أصيبت مقاتله
وقال ابن أدهم ليس شيء أشد على الشيطان من عالم يتكلم بعلم ويسكت بعلم يقول انظروا إلى هذا
سكوته أشد علي من كلامه ووصف بعضهم الأبدال فقال أكلهم فاقة وكلامهم ضرورة إنما يتكلمون حتى
يسألوا وإذا سئلوا ووجدوا من يكفيهم سكتوا فإن اضطروا أجابوا وكانوا يعدون الابتداء قبل السؤال
من الشهوة الخفية للكلام ومر علي وعبد الله رضي الله عنهما برجل يتكلم على الناس فقال هذا يقول
اعرفوني وقال بعضهم إنما العالم الذي إذا سئل عن المسألة فكأنما يقلع ضرسه وكان ابن عمر يقول تريدون
أن تجعلونا جسرا تعبرون علينا إلى جهنم وقال أبو حفص النيسابوري العالم هو الذي يخاف عند السؤال
أن يقال له يوم القيامة من أين أجبت وكان إبراهيم التيمي إذا سئل عن مسألة يبكي ويقول لم تجدوا
غيري حتى احتجتم إلي وكان أبو العالية الرياحي وابن سيرين والشعبي وابن أدهم يتكلمون على
الاثنين والثلاثة والنفر اليسير فإذا كثروا انصرفوا وقال صلى الله عليه وسلم ما أدري أعزير نبي
أم لا وما أدري أتبع ملعون أم لا وذو القرنين نبي أم لا ولما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن خير البقاع وشرها قال صلى الله عليه وسلم لا أدري حتى نزل عليه جبريل عليه السلام فقال لا أدري

حتى سأله حتى علمه الله خير البقاع المساجد وشرها الأسواق وقال ابن عمر رضي الله عنه يسأل أحدكم عن عشر مسائل
فيجيب عن واحدة ويسكت عن تسع وكان ابن عباس رضي الله عنه يجيب عن تسع ويسكت عن واحدة وقال
بعض الفقهاء من يقول لا أدري أكثر ممن يقول أدري منهم سفيان الثوري ومالك بن أنس وأحمد بن حنبل والفضيل
ابن عياض وبشر بن الحارث وقال عبد الرحمن بن أبي ليلى أدركت في هذا المسجد مائة وعشرين من أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منهم من أحد يسأل عن حديث أو فتوى إلا ود أن أخاه كفاه ذلك وفي
لفظ آخر كانت المسألة تعرض على أحدهم فيردها إلى الآخر ويردها الآخر إلى الآخر حتى تعود إلى
الأول وروي أن أصحاب الصفة أهدي إلى واحد منهم رأس مشوي وهو في غاية الجوع فأهداه إلى
آخر وأهداه الآخر إلى آخر وهكذا دار بينهم حتى رجع إلى الأول فانظر الآن كيف انعكس الأمر في علماء
عصرنا فصار المهروب عنه مطلوبا والمطلوب مهروبا عنه ويشهد بحسن الاحتراز من تقلد الفتوى ما
روي مسندا أنه لا يفتي الناس إلا ثلاثة أمير أو مأمور أو متكلف وقال بعضهم كان الصحابة رضي الله
عنهم يتدافعون أربعة أشياء الإمامة والوديعة والوصية والفتوى وقال بعضهم كان أسرعهم
إلى الفتوى أقلهم علما وكان أشدهم دفعا لها أورعهم وكان شغل الصحابة والتابعين في خمسة
أشياء قراءة القرآن وعمارة المساجد وذكر الله تعالى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وذلك لما سمعوا من قوله
صلى الله عليه وسلم كل كلام ابن آدم عليه لا له إلا ثلاثة أمر بمعروف أو نهي عن منكر أو ذكر الله تعالى وقال الله
عز وجل لا خير في كثير من نجواهم الآية ورأى بعض العلماء بعض أصحاب الرأي من أهل الكوفة في المنام فقال ما رأيت
فيما كنت عليه من الفتوى والرأي فكره وجهه وقال ما وجدناه شيئا وما حمدنا عاقبته وقال أبو حصين
إن أحدهم ليفتي في مسألة لو وردت على عمر بن الخطاب لجمع لها أهل بدر فلم يزل السكوت دأب أهل
العلم إلا عند الضرورة وفي الخبر إذا رأيتم الرجل قد أوتي صمتا وزهدا فاقتربوا منه فإنه يلقى
الحكمة وقيل العالم إما عالم عامة وهو المفتي وهم أصحاب الأساطين وعالم خاصة وهو العالم
بالتوحيد وأعمال القلوب وهم أرباب الزوايا وأما أهل المعرفة وكان يقال مثل أحمد بن حنبل مثل دجلة كل
أحد يغترف منها ومثل بشر بن الحارث مثل بئر عذبة مغطاة لا يقصدها إلا واحد بعد واحد وكانوا
يقولون فلان عالم وفلان متكلم وفلان أكثر كلاما وفلان أكثر علما وقال أبو سليمان المعرفة إلى
السكوت أقرب منها إلى الكلام وقال بعضهم إذا كثر العلم قل الكلام وكتب سلمان إلى أبي
الدرداء وكان قد آخى بينهما رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أخي بلغني أنك قعدت طبيبا تداوي المرضى
فانظر فإن كنت طبيبا فتكلم فإن كلامك شفاء وإن كنت متطببا فالله الله لا تقتل مسلما فكان أبو الدرداء
يتوقف بعد ذلك إذا سئل وكان أنس رضي الله عنه يقول سلوا مولانا الحسن رضي الله عنه وابن عباس
يقول سلوا جابر بن زيد رضي الله عنهما وابن عمر يقول سلوا سعيد بن المسيب رضي الله عنهم وحكي
أنه روى صحابي في حضرة الحسن عشرين حديثا فسئل عن تفسيرها فقال ما عندي إلا ما رويت فأخذ الحسن يفسر
حديثا حديثا فتعجبوا من حسن تفسيره وحفظه فأخذ الصحابي كفا من حصى ورماهم به وقال

يشتغلون عن العلم ومن الخير عن الفهم ثم **ومنها** أن يكون أكثر اهتمامه بعلم الباطن ومراقبة القلب ومعرفة
طريق الآخرة وسلوكه وصدق الرجاء في انكشاف ذلك من المجاهدة والمراقبة فإن المجاهدة تفضي إلى المشاهدة
ودقائق علم القلب وتتفجر به ينابيع الحكمة من القلب أما الكتب والتعليم فلا يفي بذلك بل الحكمة الخارجة عن
الحصر والعد إنما تتفتح بالمجاهدة والمراقبة ومباشرة الأعمال الظاهرة والباطنة والجلوس مع الله عز
وجل في الخلوة مع حضور القلب بصافي الفكرة والانقطاع إلى الله عز وجل عما سواه فذلك مفتاح الإلهام
ومنبع الكشف فكم من متعلم طال تعلمه ولم يقدر على مجاوزة مسموعه بكلمة وكم من مقتصر على المهم في التعلم
ومتوفر على العمل ومراقبة القلب فتح الله عز وجل له من لطائف الحكمة ما تحار فيه عقول ذوي الألباب
وفي بعض الكتب
وكذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من عمل بما علم ورثه الله سبحانه علم ما لم يعلم
السالفة يا بني إسرائيل لا تقولوا العلم في السماء من ينزل به ولا في تخوم الأرض من يصعد به ولا من وراء البحار
من يعبر به العلم مجعول في قلوبكم تأدبوا بين يدي بآداب الروحانيين وتخلقوا بأخلاق الصديقين
أظهر العلم من قلوبكم حتى يغطيكم ويغمركم **وقال** سهل التستري خرج العلماء والعباد والزهاد
من الدنيا وقلوبهم مقفلة ولم تفتح إلا قلوب الصديقين والشهداء ثم تلا وعنده مفاتح الغيب ولولا
إدراك قلب من له قلب بالنور الباطن حاكم على علم الظاهر لما قال صلى الله عليه وسلم استفت قلبك
وإن أفتوك وأفتوك **وقال** عليه السلام فيما يرويه عن ربه لا يزال العبد يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه
فإذا أحببته كنت له سمعا وبصرا الحديث فكم من معان دقيقة من أسرار القرآن تخطر على قلب المتجرد للذكر
والفكر تخلو عنها كتب التفاسير ولا يطلع عليها أفاضل المفسرين وإنما ينكشف ذلك للمراقب ولو عرض على
المفسرين استحسنوه وعلموا أن ذلك من تنبيهات القلوب الزكية وألطاف الله تعالى بالهمم المتوجهة إليه
وكذلك في علوم المكاشفة وأسرار علوم المعاملة ودقائق خواطر القلوب فإن كل علم من هذه العلوم
بحر لا يدرك عمقه وإنما يخوضه كل طالب بقدر ما رزق وبحسب ما وفق له من حسن العمل **وفي** وصف
هؤلاء العلماء **قال** علي رضي الله عنه في حديث طويل القلوب أوعية وخيرها أوعاها للخير والناس
ثلاثة عالم رباني ومتعلم على سبيل نجاة وهمج رعاع أتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح لم يستضيئوا
بنور العلم ولم يلجؤوا إلى ركن وثيق العلم خير من المال العلم يحرسك وأنت تحرس المال والعلم يزكو
على الإنفاق والمال تنقصه النفقة محبة العالم دين يدان به ويكسب الطاعة في حياته
وجميل الأحدوثة بعد مماته العلم حاكم والمال محكوم عليه ومنفعة المال تزول بزواله مات خزان
الأموال وهم أحياء والعلماء باقون ما بقي الدهر ثم تنفس الصعداء وقال ها إن ههنا علما جما لو
وجدت له حملة بل أجد طالبا غير مأمون يستعمل آلة الدين في طلب الدنيا ويستطيل بنعم الله عز وجل
على أوليائه ويستظهر بحججه على خلقه أو منقادا لأهل الحق لكن ينزرع الشك في قلبه بأول عارض من شبهة
لا بصيرة له لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء أو منهوما باللذات سلس القياد في طلب الشهوات أو مغرى بجمع الأموال
والادخار منقادا لهواه أقرب شبها بهم الأنعام السائمة اللهم هكذا يموت العلم إذا مات حاملوه

بل أخلو الأرض من قائم لله بحجته إما ظاهر مكشوف وإما خائف مقهور لئلا تبطل حجج الله سبحانه وبيناته
وكم وأين أولئك هم الأقلون عددا الأعظمون قدرا أعيانهم مفقودة وأمثالهم في القلوب موجودة يحفظ الله
بهم حججه حتى يودعها نظراءهم ويزرعوها في قلوب أشباههم هجم بهم العلم على حقيقة الأمر فباشروا روح
اليقين فاستلانوا ما استوعره المترفون وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون صحبوا الدنيا
بأبدان أرواحها معلقة بالمحل الأعلى أولئك أولياء الله عز وجل من خلقه وأمناؤه في أرضه والدعاة إلى
دينه ثم بكى وقال واشوقاه إلى رؤيتهم **فهذا** الذي ذكره أخيرا هو وصف علماء الآخرة رضي الله
عنهم وهو العلم الذي يستفاد أكثره من العمل والمواظبة على المجاهدة **ومنها** أن يكون شديد
العناية بتقوية اليقين فإن اليقين هو رأس مال الدين **قال** صلى الله عليه وسلم اليقين الإيمان كله ولا بد من
تعلم علم اليقين أعني أوائله ثم ينفتح للقلب طريقه **ولذلك** قال صلى الله عليه وسلم تعلموا اليقين ومعناه
جالسوا الموقنين واسمعوا منهم علم اليقين وواظبوا على الاقتداء بهم ليقوى يقينكم كما قوي يقينهم
وقليل من اليقين خير من كثير من العمل **وقال** صلى الله عليه وسلم لما قيل له رجل حسن اليقين كثير الذنوب ورجل
مجتهد في العبادة قليل اليقين **فقال** صلى الله عليه وسلم ما من آدمي إلا وله ذنوب ولكن من كان غريزته
العقل وسجيته اليقين لم تضره الذنوب لأنه كلما أذنب تاب واستغفر وندم فتكفر ذنوبه ويبقى له
فضل يدخل به الجنة **ولذلك** قال صلى الله عليه وسلم من أقل ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر ومن أعطي
حظه منهما لم يبال ما فاته من قيام الليل وصيام النهار **وفي** وصية لقمان لابنه يا بني لا يستطاع
العمل إلا باليقين ولا يعمل المرء إلا بقدر يقينه ولا يقصر عامل حتى ينقص يقينه **وقال** يحيى بن معاذ
إن للتوحيد نورا وإن للشرك نارا وإن نور التوحيد أحرق لسيئات الموحدين من نار الشرك لحسنات
المشركين وأراد به اليقين وقد أشار القرآن إلى ذكر الموقنين في مواضع كثيرة دل بها على أن اليقين هو الرابطة
للخيرات والسعادات **فإن قلت** فما معنى اليقين وما معنى قوته وضعفه فلا بد من فهمه
أولا ثم الاشتغال بطلبه وتعلمه فإن ما لا تفهم صورته لا يمكن طلبه **فاعلم** أن اليقين لفظ مشترك
يطلقه فريقان بمعنيين مختلفين أما النظار والمتكلمون فيعبرون به عن عدم الشك إذ ميل النفس
إلى التصديق بالشيء له أربعة مقامات **الأول** أن يعتدل التصديق والتكذيب ويعبر عنه بالشك
كما إذا سئلت عن شخص معين أن الله تعالى يعاقبه أم لا وهو مجهول الحال عندك فإن نفسك لا تميل إلى الحكم فيه
بإثبات ولا نفي بل يستوي عندك إمكان الأمرين فيسمى هذا شكا **الثاني** أن تميل نفسك إلى أحد الأمرين
مع الشعور بإمكان نقيضه ولكنه إمكان لا يمنع ترجيح الأول كما إذا سئلت عن رجل تعرفه بالصلاح والتقوى
أنه بعينه لو مات على هذه الحالة هل يعاقب فإن نفسك تميل إلى أنه لا يعاقب أكثر من
ميلها إلى العقاب وذلك لظهور علامات الصلاح فيه ومع هذا فأنت تجوز اختفاء أمر موجب
للعقاب في باطنه وسريرته فهذا التجويز مساو لذلك الميل ولكنه غير دافع رجحانه فهذه الحالة
تسمى ظنا **الثالث** أن تميل النفس إلى التصديق بشيء بحيث يغلب عليها ولا يخطر بالبال

نقيضه ولو خطر بالبال نفرت النفس عن قبوله ولكن ليس ذلك عن معرفة محققة اذ لو احسن صاحب هذا المقام
التامل والاصغاء الى التشكيك والتجويز اتسعت نفسه للتجويز ويسمى هذا اعتقادا مقاربا لليقين وهو
اعتقاد العوام في الشرعيات كلها اذ رسخ في نفوسهم بمجرد السماع حتى ان كل فرقة تثق بصحة مذهبها
واصابة امامها ومتبوعها ولو ذكر لاحدهم امكان خطا امامه نفر عن قبوله **الرابع** المعرفة الحقيقية الحاصلة
بطريق البرهان الذي لا يشك فيه ولا يتصور التشكيك فيه فاذا امتنع وجود الشك وامكانه يسمى يقينا عند
هؤلاء **ومثاله** انه اذا قيل للعاقل هل في الوجود شيء هو قديم فلا يمكنه التصديق به بالبديهة
لان القديم غير محسوس لا كالشمس والقمر فانه يصدق بوجودهما بالحس وليس العلم بوجود شيء قديم
ازلي ضروري مثل العلم بان الاثنين اكثر من الواحد بل مثل العلم بان حدوث حادث بلا سبب محال فان هذا
ايضا ضروري فحق غريزة العقل ان تتوقف عن التصديق بوجود القديم على طريق الارتجال والبديهة
ثم من الناس من يسمع ذلك ويصدق به بالسماع تصديقا جازما ويستمر عليه وذلك هو الاعتقاد وهو حال
جميع العوام ومن الناس من يصدق به بالبرهان وهو ان يقال ان لم يكن في الوجود قديم فالموجودات
كلها حادثة وان كانت كلها حادثة فهي حادثة بلا سبب او فيها حادث بلا سبب وهو محال
والمؤدي الى المحال محال فيلزم في العقل التصديق بوجود شيء قديم بالضرورة لان الاقسام ثلاثة وهو ان
تكون الموجودات كلها قديمة او كلها حادثة او بعضها قديمة وبعضها حادثة فان كانت كلها قديمة
فقد حصل المطلوب اذ ثبت على الجملة قديم وان كان الكل حادثا فهو محال اذ يؤدي الى حدوث بغير سبب
فيثبت القسم الثالث او الاول وكل علم حصل على هذا الوجه يسمى يقينا سواء حصل بنظر مثل ما ذكرناه
او حصل بحس او بغريزة العقل كالعلم باستحالة حادث بلا سبب او بتواتر كالعلم بوجود مكة
او بتجربة كالعلم بان المطبوخ مسهل او بدليل كما ذكرناه فشرط اطلاق هذا الاسم عدم الشك فكل علم
لا شك فيه يسمى يقينا عند هؤلاء وعلى هذا لا يوصف اليقين بالضعف اذ لا تفاوت في نفي الشك
الاصطلاح الثاني للفقهاء والمتصوفة واكثر العلماء وهو ان لا يلتفت فيه الى اعتبار التجويز
والشك بل الى استيلائه وغلبته على القلب حتى يقال فلان ضعيف اليقين بالموت مع انه لا شك فيه
ويقال فلان قوي اليقين في اتيان الرزق مع انه قد يجوز انه لا ياتيه فمهما مالت النفس الى التصديق
بشيء وغلب ذلك على القلب واستولى حتى صار هو المتحكم والمتصرف في النفس بالتجويز والمنع
سمي ذلك يقينا ولا شك في ان الناس مشتركون في القطع بالموت والانفكاك عن الشك فيه ولكن
فيهم من لا يلتفت اليه ولا الى الاستعداد له وكانه غير موقن به ومنهم من استولى ذلك على قلبه حتى
استغرق جميع همه بالاستعداد له ولم يغادر فيه متسعا لغيره فيعبر عن مثل هذه الحالة بقوة اليقين
ولذلك قال بعضهم ما رايت يقينا لا شك فيه اشبه بشك لا يقين فيه من الموت **وعلى هذا**
الاصطلاح يوصف اليقين بالضعف والقوة ونحن انما اردنا بقولنا ان من شان علماء الآخرة صرف العناية
الى تقوية اليقين بالمعنيين جميعا وهو نفي الشك ثم تسليط اليقين على النفس حتى يكون هو الغالب المتحكم

وهو المتصرف فيها فاذا فهمت هذا علمت ان المراد من قولنا ان اليقين ينقسم ثلاثة اقسام بالقوة
والضعف والقلة والكثرة والخفاء والجلاء فاما بالقوة والضعف فعلى الاصطلاح الثاني
وذلك في الغلبة والاستيلاء على القلب ودرجات اليقين في القوة والضعف لا تتناهى وتفاوت الخلق
في الاستعداد للموت بحسب تفاوت اليقين بهذه المعاني **واما** التفاوت بالخفاء والجلاء فلا ينكر
ايضا فيما يتطرق اليه التجويز فلا ينكر ايضا فيما انتفى عنه الشك ايضا فانك
تدرك تفرقة بين تصديقك بوجود مكة ووجود فدك مثلا وبين تصديقك بوجود موسى
ويوشع عليهما السلام مع انك لا تشك في الامرين جميعا اذ مستندهما جميعا التواتر ولكن ترى احدهما
اجلى واوضح في قلبك من الثاني لان السبب في احدهما اقوى وهو كثرة المخبرين وكذلك يدرك الناظر هذا
في النظريات المعلومة بالادلة فانه ليس وضوح ما لاح له بدليل واحد كوضوح ما لاح له بالادلة الكثيرة مع تساويها
في نفي الشك وهذا قد ينكره المتكلم الذي ياخذ العلم من الكتب والسماع ولا يراجع نفسه فيما يدركه من تفاوت الا
حوال **واما** بالقلة والكثرة فذلك بكثرة متعلقات اليقين كما يقال فلان اكثر علما من فلان اي معلوماته اكثر
ولذلك قد يكون العالم قوي اليقين في جميع ما ورد الشرع به وقد يكون قوي اليقين في بعضه
فان قلت قد فهمت اليقين وقوته وضعفه وكثرته وقلته وجلاءه وخفاءه بمعنى نفي
الشك وبمعنى الاستيلاء على القلب فما متعلقات اليقين ومجاريه وفيماذا يطلب اليقين فاني ما لم اعرف ما
يطلب فيه اليقين لم اقدر على طلبه **فاعلم** ان جميع ما ورد به الانبياء عليهم السلام من اوله الى آخره
هو من مجاري اليقين فان اليقين عبارة عن معرفة مخصوصة متعلقة بالمعلومات التي وردت بها الشرائع
فلا مطمع في احصائها ولكني اشير الى بعض امهاتها **فمن ذلك** التوحيد وهو ان يرى الاشياء
كلها من مسبب الاسباب ولا يلتفت الى الوسائط بل يرى الوسائط مسخرة لا حكم لها فالمصدق بهذا
موقن فان انتفى عن قلبه مع الايمان امكان الشك فهو موقن باحد المعنيين فان غلب على قلبه غلبة ازالت عنه الغضب
على الوسائط والرضا عنها والشكر لها ونزل الوسائط في قلبه منزلة القلم واليد في حق المنعم بالتوقيع فانه
لا يشكر القلم ولا اليد ولا يغضب عليهما بل يراهما آلتين مسخرتين وواسطتين فقد صار موقنا بالمعنى الثاني وهو الاشرف
وهو ثمرة اليقين الاول وروحه وفائدته ومهما تحقق ان الشمس والقمر والنجوم والجمادات والنبات والحيوان
وكل مخلوق فهي مسخرات بامره حسب تسخير القلم في يد الكاتب وان القدرة الازلية هي المصدر للكل استولى
على قلبه غلبة التوكل والرضا والتسليم وصار بريئا من الغضب والحقد والحسد وسوء الخلق فهذا احد ابواب
اليقين **ومن ذلك** الثقة بضمان الله سبحانه بالرزق في قوله تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها
واليقين بان ذلك ياتيه وان ما قدر له سيساق اليه ومهما غلب ذلك على قلبه كان مجملا في الطلب
ولم يشتد حرصه وشرهه وتاسفه على ما فاته واثمر هذا اليقين ايضا جملة من الطاعات والاخلاق
الحميدة **ومن ذلك** ان يغلب على قلبه ان من يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل
مثقال ذرة شرا يره وهو اليقين بالثواب والعقاب حتى يرى نسبة الطاعات الى الثواب كنسبة الخبز

من الشبع ونشأة النعاس [illegible] كثير الهموم وأما [illegible] على تحصيل الخير
طالب الشبع [illegible] قليله وكثيره [illegible] على الطاعة قليلها وكثيرها [illegible] قليل الهموم وكثيرها
فمن الجنب قليل النعاس وكثيره [illegible] وصغيرها وكبيرها والتعبير بالمعنى الأول [illegible] العموم
وأما بالمعنى الثاني فيختص [illegible] من التعبير [illegible] الحركات والسكنات [illegible]
[illegible] وكلما كان التعبير أغلب [illegible]

ومن ذلك التعبير بأن الله تعالى مطلع عليه في كل حال [illegible]

[illegible]

ومنها [illegible]

[illegible]

قال [illegible]

[illegible]

وفي [illegible]

[illegible]

ليحفظ عنه علماء الآخرة انهم يتعلمون القرآن للعمل لا للدراسة وقال ابن عمر رضي الله عنه لقد عشنا
برهة من الدهر وان احدنا يؤتى الايمان قبل القرآن فتنزل السورة فيتعلم حلالها وحرامها وامرها وزاجرها وما
ينبغي ان يوقف عنده منها ولقد رايت رجالا يؤتى احدهم القرآن قبل الايمان فيقرا ما بين فاتحته الى خاتمته
وما يدري ما امره ولا زاجره وما ينبغي ان يوقف عنده وينثره نثر الدقل وفي خبر اخر بمثل معناه كنا اصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم اوتينا الايمان قبل القرآن وسياتي بعدكم قوم يؤتون القرآن قبل الايمان يقيمون حروفه
ويضيعون حدوده يقولون قرانا فمن اقرا منا ومن اعلم منا فذلك حظهم وفي لفظ اخر اولئك شرار
هذه الامة وقيل خمس من اخلاق علماء الاخرة مفهومة من خمس ايات
الخشية والخشوع والتواضع وحسن الخلق وايثار الاخرة على الدنيا وهو الزهد فاما الخشية ففي
قوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء واما الخشوع فمن قوله تعالى خاشعين لله لا يشترون بايات
الله ثمنا قليلا واما التواضع فمن قوله تعالى واخفض جناحك للمؤمنين واما حسن الخلق
فمن قوله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم واما الزهد فمن قوله تعالى وقال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير
لمن امن ولما تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله عز وجل فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام
قيل ما هذا الشرح فقال ان النور اذا قذف في القلب انشرح له الصدر وانفسح قيل فهل لذلك من علامة
قال نعم التجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله **ومنها**
ان يكون اكثر بحثه عن علم الاعمال وعما يفسد الاعمال ويشوش القلوب ويهيج الوسواس ويثير الشر فان
اصل الدين التوقي من الشر ولذلك قيل

عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه ... ومن لا يعرف الشر من الناس يقع فيه

ولان الاعمال الفعلية قريبة واقصاها المواظبة على ذكر الله تعالى بالقلب واللسان وانما الشان في معرفة ما
يفسدها ويشوشها وهذا مما يكثر شعبه ويطول تفريعه وكل ذلك مما يغلب مسيس الحاجة اليه
وتعم به البلوى في سلوك طريق الاخرة واما علماء الدنيا فانهم يتبعون غرائب التفريعات في الحكومات
والاقضية ويتعبون في وضع صور تنقضي الدهور ولا تقع وان وقعت فانما تقع لغيرهم لا لهم واذا
وقعت كان فيها القائمون بها كثرة ويتركون ما يلازمهم ويتكرر عليهم اناء الليل والنهار في خواطرهم ووساوسهم
واعمالهم وما ابعد عن السعادة من باع مهم نفسه اللازم بمهم غيره النادر ايثارا للتقرب والقبول
من الخلق على التقرب من الله عز وجل وشرها في ان يسميه البطالون من ابناء الدنيا فاضلا محققا عالما
بالدقائق وجزاؤه من الله تعالى ان لا ينتفع في الدنيا بقبول الخلق بل يتكدر عليه صفوه بنوائب الزمان
ثم يرد القيامة مفلسا متحسرا على ما يشاهده من ربح العاملين وفوز المقربين وذلك هو الخسران المبين
ولقد كان الحسن البصري رحمه الله اشبه الناس كلاما بكلام الانبياء واقربهم هديا من الصحابة
اتفقت الكلمة في حقه على ذلك وكان اكثر كلامه في خواطر القلوب وفساد الاعمال ووساوس
النفوس والصفات الخفية الغامضة وقد قيل له يا ابا سعيد انك تتكلم بكلام لا يسمع من غيرك

من اين اخذته فقال من حذيفة بن اليمان وقيل لحذيفة نراك تتكلم بكلام لا يسمع من غيرك من الصحابة فمن اين اخذته
قال خصني به رسول الله صلى الله عليه وسلم كان الناس يسالونه عن الخير وكنت اسأله عن الشر مخافة ان اقع فيه
وعلمت ان الخير لا يسبقني وقال مرة فعلمت ان من لا يعرف الشر لا يعرف الخير وفي لفظ اخر كان الناس
يقولون يا رسول الله ما لمن عمل كذا وكذا يسألونه عن فضائل الاعمال وكنت اقول يا رسول الله ما يفسد
كذا وكذا فلما رآني اسأل عن آفات الاعمال خصني بهذا العلم وكان حذيفة ايضا قد خص بعلم المنافقين
وافرد بمعرفة علم النفاق واسبابه ودقائق الفتن فكان عمر وعثمان واكابر الصحابة رضي الله عنهم يسألونه عن
الفتن العامة والخاصة وكان يسأل عن المنافقين فيخبر بعدد من بقي منهم ولا يخبر باسمائهم وكان عمر رضي الله
عنه يسأله عن نفسه هل يعلم فيه شيئا من النفاق فبرأه من ذلك وكان عمر رضي الله عنه اذا دعي الى جنازة
نظر فان حضر حذيفة صلى عليها والا ترك وكان يسمى صاحب السر فالعناية بمقامات القلب واحواله
دأب علماء الاخرة لان القلب هو الساعي الى قرب الله تعالى وقد صار هذا الفن غريبا مندرسا واذا تعرض العالم
لشيء منه استغرب واستبعد وقيل هذا تزويق المذكرين فاين التحقيق ويرون التحقيق في دقائق المجادلات
ولقد صدق من قال

الطرق شتى وطرق الحق مفردة ... والسالكون طريق الحق افراد
لا يعرفون ولا تدرى مقاصدهم ... فهم على مهل يمشون قصاد
والناس في غفلة عما يراد بهم ... فجلهم عن سبيل الحق رقاد

وعلى الجملة لا يميل اكثر الخلق الا الى الاسهل والاوفق لطباعهم فان الحق مر والوقوف عليه صعب
وادراكه شديد وطريقه مستوعر ولا سيما معرفة صفات القلب وتطهيره عن الاخلاق المذمومة فان ذلك نزع
للروح على الدوام وصاحبه ينزل منزلة الشارب للدواء يصبر على مرارته رجاء الشفاء ومنزلة من جعل مدة العمر
صومه فهو يقاسي الشدائد ليكون فطره عند الموت ومتى تكثر الرغبة في هذا الطريق ولذلك قيل انه كان في البصرة
مائة وعشرون متكلما في الوعظ والتذكير ولم يكن من يتكلم في علم اليقين واحوال القلوب وصفات الباطن
الا ثلاثة منهم سهل التستري والصبيحي وعبد الرحيم وكان يجلس الى اولئك الخلق الكثير الذي لا يحصى والى
هؤلاء عدد يسير قلما يجاوز العشرة لان النفيس العزيز لا يصلح الا لاهل الخصوص وما يبذل للعموم
فامره قريب **ومنها** ان يكون اعتماده في علومه على بصيرته وادراكه بصفاء قلبه لا على الصحف
والكتب ولا على تقليد ما يسمعه من غيره وانما المقلد صاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه فيما امر به وقاله
وانما يقلد الصحابة رضي الله عنهم من حيث ان فعلهم يدل على سماعهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اذا قلد
صاحب الشرع صلوات الله وسلامه عليه في تلقي اقواله وافعاله بالقبول فينبغي ان يكون حريصا على فهم
اسراره فان المقلد انما يفعل الفعل لان النبي عليه السلام فعله ولا بد ان يكون في فعله سر فينبغي ان يكون
شديد البحث عن اسرار الاعمال والاقوال فانه ان اكتفى بحفظ ما يقال
كان وعاء للعلم ولا يكون عالما ولذلك كان يقال فلان من اوعية العلم فلا يسمى عالما اذا كان شأنه الحفظ [illegible]

من غير اطلاع على الحكم والاسرار ومن كشف عن قلبه الغطاء واستنار بنور الهداية صار في نفسه متبوعا مقتدى فلا
ينبغي ان يقلد غيره ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنه ما من احد الا يؤخذ من علمه ويترك الا رسول الله صلى
الله عليه وسلم وقد كان تعلم من زيد بن ثابت الفقه وقرا على ابي بن كعب ثم خالفهما في الفقه والقراءة جميعا وقال
بعض السلف ما جاءنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلناه على الراس والعين وما جاءنا عن الصحابة رضي الله عنهم
فناخذ منه ونترك وما جاءنا عن التابعين فهم رجال ونحن رجال وانما فضل الصحابة رضي الله عنهم لمشاهدتهم قرائن الاحوال
من رسول الله صلى الله عليه وسلم واعتلاق قلوبهم امورا ادركت بالقرائن فسددهم ذلك الى الصواب من حيث لا يدخل
في الرواية والعبارة اذ فاض عليهم من نور النبوة ما يحرسهم في الاكثر عن الخطا واذا كان الاعتماد على المسموع
من الغير تقليدا غير مرضي فالاعتماد على الكتب والتصانيف ابعد بل الكتب والتصانيف محدثة لم يكن شيء منها
في زمن الصحابة وصدر التابعين وانما حدثت بعد سنة مائة وعشرين من الهجرة وبعد وفاة جميع الصحابة
رضي الله عنهم وجلة التابعين وبعد وفاة سعيد بن المسيب والحسن وخيار التابعين بل كان الاولون يكرهون
كتب الاحاديث وتصنيف الكتب لئلا يشتغل الناس بها عن الحفظ وعن القرآن وعن التدبر والتذكر
وقالوا احفظوا كما كنا نحفظ ولذلك كره ابو بكر رضي الله عنه وجماعة من الصحابة رضي الله عنهم كتب القرآن
في مصحف وقالوا كيف نفعل شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم وخافوا اتكال الناس على المصاحف
وقالوا نترك القرآن يتلقاه بعضهم من بعض بالتلقين والاقراء ليكون هذا شغلهم وهمهم حتى اشار
عمر رضي الله عنه وبقية الصحابة رضي الله عنهم بكتب القرآن خوفا من تخاذل الناس وتكاسلهم وحذرا من ان يقع
نزاع فلا يوجد اصل يرجع اليه في كلمة او قراءة من المتشابهات فانشرح صدر ابي بكر رضي الله عنه لذلك
فجمع القرآن في مصحف واحد وكان احمد بن حنبل ينكر على مالك في تصنيفه الموطا ويقول ابتدع ما لم
تفعله الصحابة وقيل اول كتاب صنف في الاسلام كتاب ابن جريج في الآثار وحروف التفاسير
عن مجاهد وعطاء واصحاب ابن عباس بمكة ثم كتاب معمر بن راشد الصنعاني باليمن جمع فيه سننا منثورة
نبوية ثم كتاب الموطا بالمدينة لمالك بن انس ثم جامع سفيان الثوري ثم في القرن الرابع حدثت
مصنفات الكلام وكثر الخوض في الجدال والخوض في ابطال المقالات ثم مال الناس الى القصص
والوعظ بها واخذ علم اليقين في الاندراس من ذلك الزمان فصار بعد ذلك يستغرب علم القلوب والتفتيش
عن صفات النفس ومكايد الشيطان واعرض عن ذلك الا الاقلون فصار يسمى المجادل المتكلم عالما والقاص
المزخرف كلامه بالعبارات المسجعة عالما وهذا لان العوام هم المستمعون اليهم فكان لا يتميز لهم
حقيقة العلم من غيره ولم تكن سيرة الصحابة رضي الله عنهم وعلومهم ظاهرة عندهم حتى كانوا يعرفون
بها مباينة هؤلاء لهم فاستمر عليهم اسم العلماء وتوارث اللقب خلف عن سلف واصبح علم الآخرة
مطويا وغاب عنهم الفرق بين العلم والكلام الا عن الخواص منهم كان اذا قيل لهم فلان اعلم ام فلان فقالوا فلان
اكثر علما وفلان اكثر كلاما فكان الخواص يدركون الفرق بين العلم وبين القدرة على الكلام
هكذا ضعف الدين في قرون سالفة فكيف الظن بزمانك هذا وقد انتهى الامر الى ان مظهر الانكار

مشتهر بالنسبة الى الجنون فالاولى ان يشتغل الانسان بنفسه ويسكت **ومنها** ان يكون شديد
التوقي من محدثات الامور وان اتفق عليها الجمهور فلا يغرنه اطباق الخلق على ما احدث بعد الصحابة
رضي الله عنهم وليكن حريصا على التفتيش عن احوال الصحابة وسيرتهم واعمالهم وما كان فيه اكثر همهم اكان
في التدريس والتصنيف والمناظرة والقضاء والولاية وتولي الاوقاف والوصايا واكل مال الايتام و
مخالطة السلاطين ومجاملتهم في العشرة او في الخوف والحزن والتفكر والمجاهدة ومراقبة الظاهر
والباطن واجتناب دقيق الاثم وجليله والحرص على ادراك خفايا شهوات النفس ومكايد الشيطان
الى غير ذلك من علوم الباطن واعلم تحقيقا ان اعلم اهل الزمان واقربهم الى الحق اشبههم بالصحابة رضي الله عنهم
واعرفهم بطريق السلف فمنهم اخذ الدين ولذلك قال علي رضي الله عنه خيرنا اتبعنا لهذا الدين لما
قيل له خالفت فلانا فلا ينبغي ان يكترث بمخالفة اهل العصر في موافقة اهل عصر رسول الله صلى
الله عليه وسلم فان الناس راوا رايا فيما هم فيه لميل طباعهم اليه ولم تسمح نفوسهم بالاعتراف بان ذلك سبب
الحرمان من الجنة فادعوا انه لا سبيل الى الجنة سواه ولذلك قال الحسن رضي الله عنه
محدثان احدثا في الاسلام رجل ذو راي سيء زعم ان الجنة لمن راى مثل رايه ومترف يعبد الدنيا لها يغضب
ولها يرضى واياها يطلب فارفضوهما الى النار وان رجلا اصبح في هذه الدنيا بين مترف يدعوه الى دنياه
وصاحب هوى يدعوه الى هواه وقد عصمه الله تعالى منهما يحن الى السلف الصالح يسال عن افعالهم ويقتص آثارهم
متعرض لاجر عظيم فكذلك فكونوا وقد روي عن ابن مسعود موقوفا ومسندا
انه قال انما هما اثنتان الكلام والهدي فاحسن الكلام كلام الله تعالى واحسن الهدي هدي محمد
صلى الله عليه وسلم الا واياكم ومحدثات الامور فان شر الامور محدثاتها وان كل محدثة بدعة وان كل بدعة
ضلالة الا لا يطولن عليكم الامد فتقسو قلوبكم الا كل ما هو آت قريب الا ان البعيد ما ليس بآت
وفي خطبة النبي صلى الله عليه وسلم طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس وانفق من مال اكتسبه
من غير معصية وخالط اهل الفقه والحكمة طوبى لمن ذل في نفسه وحسنت خليقته وصلحت سريرته وعزل
عن الناس شره طوبى لمن عمل بعلمه وانفق الفضل من ماله وامسك الفضل من قوله ووسعته
السنة ولم يعدها الى بدعة وكان ابن مسعود يقول حسن الهدي في آخر الزمان خير من كثير من العمل
وقال انتم في زمان خيركم فيه المسارع في الامور وسياتي بعدكم زمان يكون خيرهم فيه المتثبت المتوقف
لكثرة الشبهات ومن لم يتثبت في هذا الزمان ووافق الجماهير فيما هم عليه وخاض فيما خاضوا
فيه هلك كما هلكوا وقال حذيفة اعجب من هذا ان معروفكم اليوم منكر زمان قد مضى وان منكركم اليوم
معروف زمان قد اتى وانكم لا تزالون بخير ما عرفتم الحق وكان العالم فيكم غير مستخف به ولقد صدق
فان اكثر معروفات هذه الاعصار منكرات في عصر الصحابة اذ من غرر المعروفات في زماننا تزيين
المساجد وتنجيدها وانفاق الاموال العظيمة في دقائق عمارتها وفرش البسط الرفيعة فيها ولقد
كان يعد فرش البواري في المسجد بدعة وقيل انه من محدثات الحجاج فقد كان الاولون قلما يجعلون

بينهم وبين النساء حاجز وكذلك الاشتغال برقيق الغزل وانشاد الشعر من اجل علوم الزمان وبين يحمون انهم اعلم
الغرباء وغير ذلك من المنكرات ومن ذلك التطريب بالاذان والقرآن ومن ذلك التصفيق في السماع في
والوسوسة في الطهارة وتقديم الشباب المعجبين في قراءة القرآن مع انتشار بدعة حال الاهل وغير بها
من نقائص ذلك وحضر صوفي ابن منصور حيث قال انكم اليوم في زمان الهوى فيه تابع العلم وسيأتي
عليكم زمان يكون العلم فيه تابعا للهوى وقال احمد يقول تركوا العلم واقبلوا على الغرائب ما اقل الفقه
فيهم والله المستعان وقال مالك انس رضي الله عنه لم يكن الناس فيما مضى يسألون عن هذه الامور كما
يسأل الناس اليوم ولم يكن العلماء يقولون حرام ولا حلال ادركتهم يقولون مكروه ومستحب معناه انهم
كانوا يتقون ويهابون الكراهة والاستحباب واما الحلال والحرام هكذا تعيينه هاهنا وقال مالك رحمه الله يقول
اتسألوني اليوم عما احدثوا فاتوا فعرفوا العوائد فلا تسألوهم عن السنة فانهم لا يعرفونها وقال ابن
سليمان الداراني يقول لا ينبغي لمن الهم شيئا من الخير ان يعمله حتى يسمع به في الاثر فيحمد الله اذ وافق
ما في نفسه وانما قال هذا لان ما ابتدع من الامور فرع من الاجماع وعلو بالعقول في باطن ترجيعه القلب فيحصل
بسببه البلاء فقال يحتاط فيه بالاستظهار بشهادة الاثار وسئل لما احدث مروان المنبر في صلاة
العيد منبر فصلى قام اليه ابو سعيد الخدري فقال يا مروان ما هذه البدعة فقال انها ليست ببدعة انها خير
مما تعلم ان الناس قد كثروا فاردت ان ابلغهم بالصوت فقال ابو سعيد والله لا تأتون بخير مما اعلم ابدا
والله لا صليت وراءك اليوم وانما انكره لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتوكأ في خطبة العيدين
والاستسقاء على قوس او عصا لا على المنبر وفي الحديث المشهور من احدث في ديننا ما ليس فيه
فهو رد عليه وفي خبر اخر من غش امتي فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين قيل يا رسول الله
وما غش امتك قال ان يبتدع بدعة يحمل الناس عليها وقال صلى الله عليه وسلم ان لله عند كل بدعة
كل يوم من فاتته سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تقبل شفاعته ومثل الجالس على الرهبة بانواع ما ابتدع
السنة بالسنة التي هي بدعة ذنبا شاء من عصى المطيع قبلا ولقد بالسنة التي هي خلاف ما السلف
بعزمة معينة وذلك من بعضهم واما قلب الدولة فلا وقال بعض العلماء ما تكلم فيه السلف فالسكوت
عنه جفاء وما سكت عنه السلف فالسكوت فيه تكلف وقال الاوزاعي اصبر نفسك من جاوز الحد فقد وقف
عنه تحير ومن وقف عندك انتهى وقال صلى الله عليه وسلم عليكم بالحسنة واياكم وشكاة الامر جميع الغبائن
ويقع الشر انتشار وقال ابن عباس رضي الله عنهما ان الضلالة لها حلاوة في قلوب اهلها قال الله تعالى
وذر الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا وقال تعالى افمن زين له سوء عمله فراه حسنا فتحصل مما احدث
بعد الصحابة رضي الله عنهم مما جاوز قدر الضرورة والحاجة مهوم من اللعب واللهو وحكي عن بعضهم
انه قال انكم تبعث جنون في وقت الصحابة رضي الله عنهم لو نظروا الى خياركم لقالوا مجانين فقالوا
ما راينا مثل هؤلاء ما نصيب منهم شيئا فلو نظروا الى شراركم لقالوا ما يؤمن هؤلاء عليهم وشهرة
شر لهم ولا شيء بعد قوم تنالون منهم ما ينالهم فلما جاء الناس بعث جنون من بعد الله منكم

فقالوا اما اليوم اصحاب محمد نصيب منهم الشيء بعد ان كان من ... والاستغفار
فقال ... الشيخ ارشادا ... اتباعهم سنة نبيهم ولا كسل
سيا ... من فوق ... عليكم تعلمون ... تعودون ... استغفروا ... لعلكم
والتوبة ... فقال ... حيث ... والتوبة ... النوع
فاشتغلوا والتردد ... الشيعة ... والتوبة ... فصل ... حيث شاء
فان قلت من اين عرفنا ان هذا ما فعلوه حيث الناس ... **فاعلم**
ان اهل العلوم كانوا يشعرون بان الملكوت قد ... يعرفه ... انهم على ما ... عليهم
حيث يعلمون ويلقون على سبيل الرؤيا الصادقة ... على سبيل ... مشاهدة
مما يكون في المنام ومنام على ... وهي من الدرجات النبوة ... الرؤيا الصادقة
من ... او من نبوة ... ان يكون ... ما جاوز ... فضول ...
... من العلماء ... ان اهل العلوم العقلية ... عقل ...
... الانكار على الاولياء ... وكان ...
وقال الجنيد ... انقطع ... حرمة ...
... العلماء ... بالله تعالى ... وقال سهل التستري
من اعظم المعاصي الجهل بالجهل والنظر الى العامة واستماع كلام اهل الغفلة وكل عالم خاض في الدنيا
فلا ينبغي ان يصغى الى قوله بل ينبغي ان يتهم في كل ما يقول لان كل انسان يحب ما احب ويعادي فيه
ما ... ولا ... عمل ... رسوله ... من ...
... شعرها ... الا انه ...
... ومثل ... من العلوم ...
... قال ... الذنوب ...
... الناس ... فقال ... وقال
... كتاب ... وقال ...
... ان ...
... الناس ... غيبة او سكوت على منكر ... ولو تامل علم
... الدنيا ...
... الشيطان ...
... السلف ...
... **تنبيه** ... الثاني عشر ...
...

بما وإياك أن تكون الثالث فتلبس على نفسك بالتلبيس الذي ذكرنا بالنبيه وسيرة السلف الصالحين العلماء الراعين [illegible]
والتحق بجملتهم وانكار لجهلهم [illegible] الذين يفوز بالدم من حزع الشيطان فيما ملك الجمهور وبفضل الله تعالى
يجعلنا ممن انتفع في الحياة الدنيا والآخرة بالله التوفيق

الباب السابع في العقل وشرفه وحقيقته وأقسامه

بيان شرف العقل

اعلم أن مما احتاج الى تكلف في اظهار [illegible] سيما وقد ظهر شرف العلم من قبل والعقل منبع العلم ومطلعه وأساسه والعلم يجري منه مجرى الثمر من الشجر والنور من الشمس والرؤية من العين وكيف لا يشرف ما
هو وسيلة السعادة في الدنيا والآخرة أو كيف يستراب فيه والبهيمة مع قصور تمييزها تحتشم العقل حتى ان أعظم البهائم بدنا وأشدها ضراوة وأقواها سطوة اذا رأى صورة الانسان احتشمه وهابه لشعوره
باستيلائه عليه لاختصاصه بادراك الحيل [illegible] ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الشيخ في قومه كالنبي في أمته
وليس ذلك لكثرة ماله ولا لكبر شخصه ولا لزيادة قوته بل لزيادة تجربته التي هي ثمرة عقله ولذلك ترى [illegible]
والأكراد وأجلاف العرب مع قرب [illegible] من البهائم يوقرون المشايخ بالطبع ولذلك فضل كثير من [illegible]
رسول الله صلى الله عليه وسلم لما وقعت أعينهم عليه وانجلوا بغرته [illegible] عليه ما يلوح من باطنه [illegible]
عن باطنه وجهه من نور النبوة وان كان ذلك باطنا في نفسه بعضون العقل [illegible] العقل من [illegible] بالضرورة
وإنما القصد الآن نورد ما وردت به الأخبار والآيات في ذكر شرفه وقد سماه الله سبحانه وتعالى نورا في قوله عز
وجل الله نور السموات والأرض [illegible] وجعله [illegible] تعالى وكذلك [illegible]
[illegible] فقال أو من كان ميتا فأحييناه وحيث ذكر النور والظلمة أراد به العلم والجهل كقوله عز وجل
يخرجهم من الظلمات الى النور **وقد** قال صلى الله عليه وسلم يا أيها الناس اعقلوا عن ربكم وتواصوا بالعقل
تعرفوا به ما أمرتم به وما نهيتم عنه واعلموا أنه ينجدكم عند ربكم واعلموا أن العاقل من أطاع الله سبحانه [illegible]
وان كان [illegible] حقير الخطر [illegible] وان الجاهل من عصى الله تعالى وان كان جميل
المنظر عظيم الخطر [illegible] فصيحا نطوقا [illegible] والقردة والخنازير أعقل عند الله ممن عصاه
ولا تغتروا بتعظيم أهل الدنيا اياكم فانهم من الخاسرين **وقد** قال صلى الله عليه وسلم أول ما خلق الله العقل
فقال له أقبل فأقبل ثم قال له أدبر فأدبر ثم قال عز وجل وعزتي وجلالي ما خلقت خلقا أكرم علي منك بك آخذ
وبك أعطي وبك أثيب وبك أعاقب **فان قلت** هذا العقل ان كان عرضا فكيف خلق قبل الأجسام
وان كان جوهرا فكيف يكون جوهر قائم بنفسه ولا يتحيز **فاعلم** أن هذا من علم المكاشفة
فلا يليق ذكره بعلم المعاملة وغرضنا الآن ذكر علوم المعاملة **و**عن أنس رضي الله عنه قال أثنى قوم على رجل
عند النبي صلى الله عليه وسلم حتى بالغوا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف عقل الرجل فقالوا نحن
نخبرك عن اجتهاده في العبادة وأصناف الخير وتسألنا عن عقله فقال صلى الله عليه وسلم ان الأحمق يصيب بجهله

أعظم من فجور الفاجر وانما يرتفع العباد غدا في الدرجات الزلفى من ربهم على قدر عقولهم **و**عن عمر رضي الله عنه عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال ما اكتسب رجل مثل فضل عقل يهدي صاحبه الى هدى ويرده عن ردى وما تم ايمان عبد
ولا استقام دينه حتى يكمل عقله **وقال** صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم
ولا يتم لرجل حسن خلقه حتى يتم عقله فعند ذلك تم ايمانه وأطاع ربه وعصى عدوه ابليس **و**عن أبي سعيد
الخدري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لكل شيء دعامة ودعامة المؤمن عقله فبقدر عقله تكون عبادته [illegible]
[illegible] قول الفجار لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير **و**عن عمر رضي الله عنه أنه قال لتميم الداري
ما السؤدد فيكم قال العقل قال صدقت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم كما سألتك فقال كما قلت
ثم قال سألت جبريل عليه السلام ما السؤدد فقال العقل **و**عن البراء [illegible] اجتمعوا على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله من أعلم الناس [illegible] وأعظم [illegible] بالحجة أفضلكم عقلا **و**عن ابن عمر
رضي الله عنه قال لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة أحد سمع الناس يقولون كان فلان أشجع من فلان
وفلان أبلى ما لم يبل فلان ونحو هذا فقال النبي صلى الله عليه وسلم أما هذا فلا علم لكم به قالوا وكيف ذلك يا
رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انهم قاتلوا على قدر ما قسم الله لهم من العقل وكانت نصرتهم
ونيتهم على قدر عقولهم فأصيب منهم من أصيب على منازل شتى فاذا كان يوم القيامة اقتسموا المنازل
على قدر نياتهم وقدر عقولهم **و**عن البراء بن عازب أنه صلى الله عليه وسلم قال اجتهد الملائكة واجتهدوا في طاعة الله
تعالى بالعقل وجد المؤمنون من بني آدم على قدر عقولهم فأعملهم بطاعة الله أوفرهم عقلا **و**عن
عائشة رضي الله عنها أنها قالت قلت يا رسول الله بم يتفاضل الناس في الدنيا قال بالعقل قلت وفي الآخرة
قال بالعقل قلت أليس انما يجزون بأعمالهم فقال صلى الله عليه وسلم يا عائشة وهل عملوا الا بقدر ما أعطاهم
الله عز وجل من العقل فبقدر ما أعطوا من العقل كانت أعمالهم وبقدر ما عملوا يجزون **و**عن ابن عباس
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل شيء آلة وعدة وان آلة المؤمن العقل ولكل شيء مطية ومطية
المرء العقل ولكل شيء دعامة ودعامة الدين العقل ولكل شيء غاية وغاية العباد العقل ولكل قوم راع
وراعي العابدين العقل ولكل تاجر بضاعة وبضاعة المجتهدين العقل ولكل أهل بيت قيم وقيم بيوت
الصديقين العقل ولكل خراب عمارة وعمارة الآخرة العقل ولكل امرئ عقب ينسب اليه ويذكر به وعقب الصديقين
الذي ينسبون اليه ويذكرون به العقل ولكل سفر فسطاط وفسطاط المؤمن العقل **وقال** صلى الله
عليه وسلم ان أحب المؤمنين الى الله عز وجل من نصب في طاعته ونصح لعباده وكمل عقله ونصح نفسه
فأبصر وعمل به أيام حياته فأفلح وأنجح **وقال** صلى الله عليه وسلم أتمكم عقلا أشدكم لله تعالى خوفا
وأحسنكم فيما أمر به ونهى عنه نظرا وان كان أقلكم تطوعا

بيان حقيقة العقل وأقسامه

اعلم أن الناس اختلفوا في حد العقل وحقيقته وذهل الأكثرون عن كون هذا الاسم مطلقا على معان مختلفة فصار ذلك سبب اختلافهم **و**الحق الكاشف

للعقلاء مبدا العقل الخ مشترك بعلوم الاشتراك على رتبة معا كما يعلوم اليم مثلا علمها عرك وما يحسن
من الجن ولا يعني — يطلب لجميع اقسام مصروا واجريل بل وكل فنى بالكشف عند **فالاول** وصف الله
تعالى ولانسا نيه شارك النبهايم وهو الذي به استعد لقبول العلوم النظرية وتدبير الصناعات الخفية الفكرية
ومعنى الذي اراده الحارث المحاسبي حيث قال هو من العقل غريزة يتهيا بها درك العلوم النظرية وكانه
نور يقذف في القلب به يستعد لادراك الاشياء ولم ينصف من انكر هذا ورد العقل الى مجرد العلوم الضرورية
فان الغافل عن العلوم والنائم يسميان عاقلين باعتبار وجود هذه الغريزة مع فقد العلم وكما ان الحياة غريزة
بها يتهيا الجسم للحركات الاختيارية والادراكات الحسية فكذلك العقل غريزة بها يتهيا بعض الحيوانات
للعلوم النظرية ولو جاز ان يسوى بين الانسان والحمار في الغريزة ويقال لا فرق الا ان الله تعالى بحكم
اجرى العادة يخلق في الانسان علوما وليس يخلقها في الحمار والبهائم لجاز ان يسوى بين الحمار والجماد
في الحياة ويقال لا فرق الا ان الله تعالى اجرى العادة بخلق في الحمار حركات مخصوصة فلو قدر الحمار
جمادا ميتا لوجب ان يقول ان كل حركة تشاهد منه فالله سبحانه قادر على خلقها فيه على الترتيب المشاهد
وكما وجب ان يقال لم يكن مفارقته للجماد في الحركات الا بغريزة اختصت به عبر عنها بالحياة فكذلك يعد مفارقة
البهيمة في ادراك العلوم النظرية بغريزة يعبر عنها بالعقل وهي كالمراة التي تفارق غيرها من الاجسام
في حكاية الصور والالوان بصفة اختصت بها وهي الصقالة وكذلك العين تفارق الجبهة في صفات
وصفات بها استعدت للرؤية فنسبة هذه الغريزة الى العلوم كنسبة العين الى الرؤية ونسبة القرآن
والشرع الى هذه الغريزة في سياقها الى انكشاف العلوم بها كنسبة نور الشمس الى البصر كذا ينبغي ان
تفهم هذه الغريزة **الثاني** هو العلوم التي تخرج الى الوجود في ذات الطفل المميز بجواز
الجائزات واستحالة المستحيلات كالعلم بان الاثنين اكثر من الواحد وان الشخص الواحد لا يكون في مكانين
وهو الذي عناه بعض المتكلمين حيث قال في حد العقل انه بعض العلوم الضرورية بجواز الجائزات
واستحالة المستحيلات وهو ايضا صحيح في نفسه لان هذه العلوم موجودة وتسميتها عقلا ظاهر
وانما الفاسد ان ينكر تلك الغريزة ويقال لا موجود الا هذه العلوم **الثالث** علوم تستفاد من التجارب
بمجاري الاحوال فان من حنكته التجارب وهذبته المذاهب يقال انه عاقل في العادة ومن لا يتصف بها فيقال
انه غبي غمر جاهل فهذا نوع اخر من العلوم يسمى عقلا **الرابع** ان تنتهي قوة تلك الغريزة الى
ان يعرف عواقب الامور ويقمع الشهوة الداعية الى اللذة العاجلة ويقهرها فاذا حصلت هذه القوة
سمي صاحبها عاقلا من حيث ان اقدامه واحجامه بحسب ما يقتضيه النظر في العواقب لا بحكم الشهوة العاجلة
وهذا ايضا من خواص الانسان التي بها يتميز عن سائر الحيوان فالاول هو الاس والسنخ والمنبع والثاني
هو الفرع الاقرب اليه والثالث فرع الاول والثاني اذ بقوة الغريزة والعلوم الضرورية تستفاد
علوم التجارب والرابع هو الثمرة الاخيرة وهو الغاية القصوى فالاولان بالطبع والاخيران بالاكتساب
ولذلك قال علي رضي الله عنه

رايت العقل عقلين فمطبوع ومسموع ❖ ولا ينفع مسموع اذا لم يك مطبوع
كما لا تنفع الشمس وضوء العين ممنوع

والاول هو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم ما خلق الله خلقا اكرم عليه من العقل والاخير هو المراد بقوله صلى الله
عليه وسلم اذا تقرب الناس بابواب البر فتقرب انت بعقلك وهو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم لابي الدرداء
ازدد عقلا تزدد من ربك قربا فقال بابي انت وامي وكيف لي بذلك فقال صلى الله عليه وسلم اجتنب محارم الله
تعالى وادّ فرائض الله سبحانه تكن عاقلا واعمل بالصالحات من الاعمال تزدد في عاجل الدنيا رفعة وكرامة وتنل
بها من ربك القرب والعز **و**عن سعيد بن المسيب ان عمر وابي بن كعب وابا هريرة رضي الله عنهم دخلوا على رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله من اعلم الناس فقال صلى الله عليه وسلم العاقل فقالوا فمن اعبد الناس
فقال صلى الله عليه وسلم العاقل فقالوا فمن افضل الناس فقال صلى الله عليه وسلم العاقل فقالوا اليس العاقل
من تمت مروءته وظهرت فصاحته وجادت كفه وعظمت منزلته فقال صلى الله عليه وسلم وان كل ذلك لما
متاع الحياة الدنيا والاخرة عند ربك للمتقين ان العاقل هو المتقي وان كان في الدنيا خسيسا ذليلا **و**قال
صلى الله عليه وسلم في حديث اخر انما العاقل من امن بالله وصدق رسله وعمل بطاعته
ويشبه ان يكون اصل الاسم في اصل اللغة لتلك الغريزة وكذا في الاستعمال وانما اطلق على العلوم من حيث انها ثمرتها
كما يعرف الشيء بثمرته فيقال العلم هو الخشية والعالم من يخشى الله فان الخشية ثمرة العلم فيكون
كالمجاز لغير تلك الغريزة ولكن ليس الغرض البحث عن اللغة **و**المقصود ان هذه الاقسام الاربعة موجودة
والاسم يطلق على جميعها ولا خلاف في وجود جميعها الا في القسم الاول والصحيح وجودها بل هي
الاصل **و**هذه العلوم كانها مضمنة في تلك الغريزة بالفطرة ولكن تظهر في الوجود اذا جرى سبب
يخرجها الى الوجود حتى كان هذه العلوم ليست بشيء وارد عليها من خارج وكانها كانت مستكنة فيها
فظهرت ومثاله الماء في الارض فانه يظهر بحفر البئر ويجتمع ويتميز بالحس لا بان يساق اليها شيء جديد وكذلك
الدهن في اللوز وماء الورد في الورد ولذلك قال تعالى واذ اخذ ربك من بني ادم من ظهورهم ذريتهم
واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى فالمراد به اقرار نفوسهم لا اقرار الالسنة فانهم انقسموا في اقرار
الالسنة حيث وجدت الالسنة والاشخاص ولذلك قال تعالى ولئن سالتهم من خلقهم ليقولن الله
معناه ان اعتبرت احوالهم شهدت بذلك نفوسهم وبواطنهم فطرة الله التي فطر الناس عليها اي كل ادمي فطر
على الايمان بالله عز وجل بل على معرفة الاشياء على ما هي عليه اعني انها كالمضمنة فيها لقرب استعدادها
للادراك ثم لما كان الايمان مركوزا في النفوس بالفطرة انقسم الناس الى قسمين الى من اعرض فنسي وهم الكفار والى من
جال خاطره فتذكر فكان كمن حمل شهادة فنسيها بغفلة ثم تذكرها ولذلك قال تعالى لعلهم يتذكرون وليتذكر
اولو الالباب واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر
وتسمية هذا النمط تذكرا ليس ببعيد وكان التذكر ضربان احدهما ان يذكر صورة كانت حاضرة الوجود
في قلبه ولكن غابت بعد الوجود والاخر ان يكون عن صورة كانت مضمنة فيه بالفطرة وهذه حقائق ظاهرة

للناظر بنور البصيرة ثقيلة على من يقتصر على السماع والتقليد دون الكشف والعيان ولذلك تراه يتخبط فيه
مثل معاني الآيات ويتعسف في تأويل الذكر وأمثال النفوس بأنواع التعسفات وكذلك في الأخبار
والآيات ضربا من التعسفات وربما يغلب ذلك عليه حتى ينظر إليها بعين الضعف ويعتقد فيها التناقض
ومثاله مثال أعمى يدخل دارا أقيمت فيها الأواني فيعثر بها فيقول ما لهذه الأواني
لا ترفع من الطريق وترد إلى مواضعها فيقال إنها في مواضعها وإنما الخلل في بصرك وكذلك خلل البصيرة
يجري مجراه أو أطم منه وأعظم إذ النفس كالفارس والبدن كالفرس وعمى الفارس أضر من عمى الفرس ولمشابهة
بصيرة الباطن لبصيرة الظاهر قال الله تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى وقال تعالى وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات
والأرض وليكون من الموقنين وسمى ضده عمى فقال تعالى فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور
وقال تعالى ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا وهذه الأمور التي كشفت للأنبياء عليهم
السلام بعضها كان بالبصر وبعضها كان بالبصيرة وسمى الكل رؤية وبالجملة من لم تكن بصيرته الباطنة
نافذة لم يعلق به من الدين إلا قشوره وأمثلته دون لبابه وحقائقه فهذه أقسام ما ينطلق اسم العقل
عليه

بيان تفاوت الناس في العقل

اختلف الناس في تفاوت العقل ولا معنى للاشتغال بنقل كلام من قل تحصيله بل الأولى والأهم المبادرة إلى التصريح
بالحق والحق فيه أن التفاوت يتطرق إلى الأقسام الأربعة سوى القسم الثاني وهو العلم الضروري بجواز
الجائزات واستحالة المستحيلات فإن من عرف أن الاثنين أكثر من الواحد عرف أيضا استحالة كون الشخص
في مكانين وكون الشيء الواحد قديما حادثا وكذا سائر النظائر وكل ما يدركه إدراكا محققا من غير شك
وأما الأقسام الثلاثة فالتفاوت يتطرق إليها أما الرابع وهو استيلاء القوة على قمع
الشهوات فلا يخفى تفاوت الناس فيه بل لا يخفى تفاوت أحوال الشخص الواحد فيه وهذا التفاوت يكون
تارة لتفاوت الشهوة إذ قد يقدر العاقل على ترك بعض الشهوات دون بعض ولكن غير مقصور عليه
فإن الشاب قد يعجز عن ترك الزنا فإذا كبر وتم عقله قدر عليه وشهوة الرياء والرياسة تزداد قوة بالكبر
لا ضعفا وقد يكون سببه التفاوت في العلم المعرف لغائلة الشهوة ولهذا يقدر الطبيب على الاحتماء
عن بعض الأطعمة المضرة وقد لا يقدر عليه من يساويه في العقل إذا لم يكن طبيبا وإن كان يعتقد على الجملة
فيه مضرة ولكن إذا كان علم الطبيب أتم كان خوفه أشد فيكون الخوف جندا للعقل وعدة في قمع الشهوات
وكسرها وكذلك قد يكون العالم أقدر على ترك المعاصي من الجاهل لقوة علمه بضرر المعاصي وأعني به
العالم الحقيقي دون أرباب الطيالسة وأصحاب الهذيان فإن كان التفاوت من جهة الشهوة لم يرجع
إلى تفاوت العقل وإن كان من جهة العلم فقد سمينا هذا الضرب من العلم عقلا فإنه يقوي غريزة العقل
فيكون التفاوت فيما رجعت التسمية إليه وقد يكون بمجرد التفاوت في غريزة العقل فإنها إذا كانت
أقوى كان قمعها للشهوة لا محالة أشد وأما القسم الثالث وهو علوم التجارب فيتفاوت
الناس فيها فإنهم يتفاوتون بكثرة الإصابة وسرعة الإدراك ويكون سببه إما تفاوتا في الغريزة

وإما تفاوتا في الممارسة وأما الأول وهو الأصل أعني الغريزة فالتفاوت فيه لا سبيل إلى جحده فإنه مثل
نور يشرق على النفس ويطلع صبحه ومبادي إشراقه عند سن التمييز ثم لا يزال ينمو ويزداد نموا خفي التدريج
إلى أن يتكامل بقرب الأربعين سنة ومثاله نور الصبح فإن أوائله يخفى خفاء يشق إدراكه ثم يتدرج إلى الزيادة إلى
أن يكمل بطلوع قرص الشمس وتفاوت نور البصيرة كتفاوت نور البصر فالفرق مدرك بين الأعمش وبين حاد
البصر بل سنة الله تعالى جارية في جميع خلقه بالتدريج في الإيجاد حتى إن غريزة الشهوة لا تظهر في الصبي
عند البلوغ دفعة وبغتة بل تظهر شيئا فشيئا على التدريج وكذلك جميع القوى والصفات ومن أنكر تفاوت الناس
في هذه الغريزة فكأنه منخلع عن ربقة العقل ومن ظن أن عقل النبي صلى الله عليه وسلم مثل عقل آحاد السوادية
وأجلاف البوادي فهو أخس في نفسه من آحاد السوادية وكيف ينكر تفاوت الغريزة ولولاه لما اختلف الناس في
فهم العلوم ولما انقسموا إلى بليد لا يفهم بالتفهيم إلا بعد تعب طويل من المعلم وإلى ذكي يفهم بأدنى رمز
وإشارة وإلى كامل تنبعث من نفسه حقائق الأمور دون التعليم كما قال تعالى يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار وذلك مثل
الأنبياء عليهم السلام إذ يتضح لهم في بواطنهم أمور غامضة من غير تعلم وسماع ويعبر عن ذلك بالإلهام وعن مثله
عبر النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال إن روح القدس نفث في روعي أحبب من أحببت فإنك مفارقه وعش ما
شئت فإنك ميت واعمل ما شئت فإنك مجزي به وهذا النمط من تعريف الملائكة للأنبياء عليهم السلام
يخالف الوحي الصريح الذي هو سماع الصوت بحاسة الأذن ومشاهدة الملك بحاسة البصر ولذلك أخبر عن هذا
بالنفث في الروع ودرجات الوحي كثيرة والخوض فيها لا يليق بعلم المعاملة بل هو من علم المكاشفة ولا تظنن
أن معرفة درجات الوحي تستدعي منصب الوحي إذ لا يبعد أن يعرف الطبيب المريض درجات الصحة
ويعلم العالم الفاسق درجات العدالة وإن كان خاليا عنها فالعلم شيء ووجود المعلوم شيء آخر فلا كل من عرف
النبوة والولاية كان نبيا ووليا ولا كل من عرف التقوى والورع ودقائقه كان تقيا وانقسام الناس
إلى من يتنبه من نفسه ويفهم وإلى من لا يفهم إلا بتنبيه وتعليم وإلى من لا ينفعه التعليم أيضا ولا التنبيه كانقسام
الأرض إلى ما يجتمع فيه الماء فيقوى فيتفجر بنفسه عيونا وإلى ما يحتاج إلى الحفر ليخرج إلى القنوات
وإلى ما لا ينفع فيه الحفر وهو اليابس وذلك لاختلاف جواهر الأرض في صفاتها فكذلك اختلاف
النفوس في غريزة العقل ويدل على تفاوت العقل من جهة النقل ما روي أن ابن سلام سأل رسول
الله صلى الله عليه وسلم في حديث طويل في آخره وصف عظم العرش وأن الملائكة قالت يا رب هل خلقت
شيئا أعظم من العرش قال نعم العقل قالوا وما بلغ من قدره قال هيهات لا يحاط بعلمه هل لكم علم بعدد
الرمل قالوا لا قال الله عز وجل فإني خلقت العقل أصنافا شتى كعدد الرمل فمن الناس من أعطي حبة ومنهم
من أعطي حبتين ومنهم من أعطي الثلاث والأربع ومنهم من أعطي فرقا ومنهم من أعطي وسقا ومنهم من أعطي
أكثر من ذلك فإن قلت فما بال أقوام من المتصوفة يذمون العقل والمعقول فاعلم
أن السبب فيه أن الناس نقلوا اسم العقل والمعقول إلى المجادلة والمناظرة بالمناقضات والإلزامات
وهو صنعة الكلام فلم يقدروا على أن يقرروا عندهم أنكم أخطأتم في التسمية إذ كان ذلك لا ينمحي عن قلوبهم بعد

[illegible] الباطنة التي بها يعرف الله تعالى ويعرف صدق رسله فكيف يتصور ذمه وقد أثنى الله تعالى عليه وإن ذم فما الذي بعده يحمد فإن كان المحمود هو الشرع فبم علم صحة الشرع فإن علم بالعقل المذموم الذي لا يوثق به فيكون الشرع أيضا مذموما ولا يلتفت إلى من يقول إنه يدرك بعين اليقين ونور الإيمان لا بالعقل فإنا نريد بالعقل ما يريده بعين اليقين ونور الإيمان وهي الصفة الباطنة التي تميز بها الآدمي عن البهائم حتى أدرك بها حقائق الأمور وأكثر هذه التخبطات إنما ثارت من جهل أقوام طلبوا الحقائق من الألفاظ فتخبطوا فيها لتخبط اصطلاحات الناس في الألفاظ وهذا القدر كاف في بيان العقل والله أعلم. تم كتاب العلم والحمد لله وحده وصلى الله على محمد نبيه وعلى آله وصحبه وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم — صلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليما

كتاب قواعد العقائد

وفيه أربعة فصول الفصل الأول في ترجمة عقيدة أهل السنة في كلمتي الشهادة التي هي أحد مباني الإسلام

الحمد لله المبدئ المعيد الفعال لما يريد ذي العرش المجيد والبطش الشديد الهادي صفوة العبيد إلى المنهج الرشيد والمسلك السديد المنعم عليهم بعد شهادة التوحيد بحراسة عقائدهم عن ظلمات التشكيك والترديد السالك بهم إلى اتباع رسوله المصطفى صلى الله عليه وسلم واقتفاء آثار صحبه الأكرمين المكرمين بالتأييد والتسديد المتجلي لهم في ذاته وأفعاله بمحاسن أوصافه التي لا يدركها إلا من ألقى السمع وهو شهيد المعرف إياهم أنه في ذاته واحد لا شريك له فرد لا مثيل له صمد لا ضد له منفرد لا ند له وأنه واحد قديم لا أول له أزلي لا بداية له مستمر الوجود لا آخر له أبدي لا نهاية له قيوم لا انقطاع له دائم لا انصرام له لم يزل ولا يزال موصوفا بنعوت الجلال لا يقضى عليه بالانقضاء والانفصال بتصرم الآباد وانقراض الآجال بل هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم

التنزيه وأنه ليس بجسم مصور ولا جوهر محدود مقدر وأنه لا يماثل الأجسام لا في التقدير ولا في قبول الانقسام وأنه ليس بجوهر ولا تحله الجواهر ولا بعرض ولا تحله الأعراض بل لا يماثل موجودا ولا يماثله موجود ليس كمثله شيء ولا هو مثل شيء وأنه لا يحده المقدار ولا تحويه الأقطار ولا تحيط به الجهات ولا تكتنفه الأرضون ولا السموات وأنه مستو على العرش على الوجه الذي قاله وبالمعنى الذي أراده استواء منزها عن المماسة والاستقرار والتمكن والحلول والانتقال لا يحمله العرش بل العرش وحملته محمولون بلطف قدرته ومقهورون في قبضته وهو فوق العرش والسماء وفوق كل شيء إلى تخوم الثرى فوقية لا تزيده قربا إلى العرش والسماء كما لا تزيده بعدا عن الأرض والثرى بل هو رفيع الدرجات عن العرش والسماء كما أنه رفيع الدرجات عن الأرض والثرى وهو مع ذلك قريب من كل موجود وهو أقرب إلى العبد من حبل الوريد وهو على كل شيء شهيد إذ لا يماثل قربه قرب الأجسام كما لا تماثل ذاته ذات الأجسام وأنه لا يحل في شيء ولا يحل فيه شيء تعالى عن أن يحويه مكان كما تقدس عن أن يحده زمان بل كان قبل أن خلق الزمان والمكان وهو الآن على ما عليه كان وأنه بائن عن خلقه بصفاته ليس في ذاته سواه ولا في سواه ذاته وأنه مقدس عن التغير والانتقال

[illegible] مقدس عن التغير ... وأنه مرئي الذات بالأبصار نعمة منه ولطفا بالأبرار في دار القرار وإتماما منه للنعيم بالنظر إلى وجهه الكريم

القدرة وأنه حي قادر جبار قاهر لا يعتريه قصور ولا عجز ولا تأخذه سنة ولا نوم ولا يعارضه فناء ولا موت وأنه ذو الملك والملكوت والعزة والجبروت له السلطان والقهر والخلق والأمر والسموات مطويات بيمينه والخلائق مقهورون في قبضته وأنه المنفرد بالخلق والاختراع المتوحد بالإيجاد والإبداع خلق الخلق وأعمالهم وقدر أرزاقهم وآجالهم لا يشذ عن قبضته مقدور ولا يعزب عن قدرته تصاريف الأمور لا تحصى مقدوراته ولا تتناهى معلوماته

العلم وأنه عالم بجميع المعلومات محيط بما يجري من تخوم الأرضين إلى أعلى السموات لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء بل يعلم دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء ويدرك حركة الذر في جو الهواء ويعلم السر وأخفى ويطلع على هواجس الضمائر وحركات الخواطر وخفيات السرائر بعلم قديم أزلي لم يزل موصوفا به في أزل الآزال لا بعلم متجدد حاصل في ذاته بالحلول والانتقال

الإرادة وأنه تعالى مريد للكائنات مدبر للحادثات فلا يجري في الملك والملكوت قليل أو كثير صغير أو كبير خير أو شر نفع أو ضر إيمان أو كفر عرفان أو نكر فوز أو خسران زيادة أو نقصان طاعة أو عصيان إلا بقضائه وقدره وحكمته ومشيئته فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن لا يخرج عن مشيئته لفتة ناظر ولا فلتة خاطر بل هو المبدئ المعيد الفعال لما يريد لا راد لأمره ولا معقب لقضائه ولا مهرب لعبد عن معصيته إلا بتوفيقه ورحمته ولا قوة له على طاعته إلا بمشيئته وإرادته فلو اجتمع الإنس والجن والملائكة والشياطين على أن يحركوا في العالم ذرة أو يسكنوها دون إرادته ومشيئته لعجزوا عن ذلك وأن إرادته قائمة بذاته في جملة صفاته لم يزل كذلك موصوفا بها مريدا في أزله لوجود الأشياء في أوقاتها التي قدرها فوجدت في أوقاتها كما أراده في أزله من غير تقدم ولا تأخر بل وقعت على وفق علمه وإرادته من غير تبدل ولا تغير دبر الأمور لا بترتيب أفكار ولا تربص زمان فلذلك لم يشغله شأن عن شأن

السمع والبصر وأنه تعالى سميع بصير يسمع ويرى لا يعزب عن سمعه مسموع وإن خفي ولا يغيب عن رؤيته مرئي وإن دق ولا يحجب سمعه بعد ولا يدفع رؤيته ظلام يرى من غير حدقة وأجفان ويسمع من غير أصمخة وآذان كما يعلم بغير قلب ويبطش بغير جارحة ويخلق بغير آلة إذ لا تشبه صفاته صفات الخلق كما لا تشبه ذاته ذوات الخلق

الكلام وأنه تعالى متكلم آمر ناه واعد متوعد بكلام أزلي قديم قائم بذاته لا يشبه كلام الخلق فليس بصوت يحدث من انسلال هواء أو اصطكاك أجرام ولا بحرف ينقطع بإطباق شفة أو تحريك لسان وأن القرآن والتوراة والإنجيل والزبور كتبه المنزلة على رسله عليهم السلام وأن القرآن مقروء بالألسنة مكتوب في المصاحف محفوظ في القلوب وأنه مع ذلك قديم قائم بذات الله تعالى لا يقبل الانفصال والافتراق بالانتقال إلى القلوب والأوراق وأن موسى عليه السلام سمع كلام الله تعالى بغير صوت ولا حرف كما يرى الأبرار ذات الله تعالى من غير جوهر

[illegible]

الأفعال

[illegible]

معنى الكلمة الثانية

[illegible]

[illegible]

الفصل الثاني في وجه التدريج إلى الإرشاد وترتيب درجات الاعتقاد

اعلم أن ما ذكرناه في ترجمة العقيدة [illegible]

[illegible]

بالعبادات مما أنا أعتقد عقيدة أهل الصلاح والتقوى من عوام الناس بعقيدة أهل التقليد والجمود لمن يرى
اعتقاد العامي في الثبات كالنقوش الثابتة في الحجر لا تحركه الرواعد والصواعق وعقيدة المتكلم الحارس
اعتقاده بتقسيمات الجدل كخيط مرسل في الهواء تفيئه الرياح مرة هكذا ومرة هكذا إلا من سمع منهم دليل
الاعتقاد فتلقفه تقليدا كما تلقف نفس الاعتقاد تقليدا إذ لا فرق في التقليد بين تعلم الدليل وتعلم
المدلول فتلقن الدليل شيء والاستدلال بالنظر شيء آخر بعيد عنه ثم الصبي إذا وقع نشوه
على هذه العقيدة إن اشتغل بكسب الدنيا لم ينفتح له غيرها ولكنه يسلم في الآخرة باعتقاد أهل الحق إذ لم يكلف
الشرع أجلاف العرب أكثر من التصديق الجازم بظاهر هذه العقائد فأما البحث والتفتيش وتكلف
نظم الأدلة فلم يكلفوه أصلا وإن أراد أن يكون من سالكي طريق الآخرة وساعده التوفيق حتى اشتغل
بالعمل ولازم التقوى ونهى النفس عن الهوى واشتغل بالرياضة والمجاهدة انفتحت له أبواب
من الهداية تكشف له عن حقائق هذه العقيدة بنور إلهي يقذف في قلبه بسبب المجاهدة تحقيقا
لوعده عز وجل إذ قال والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وهو الجوهر النفيس الذي هو غاية
إيمان الصديقين والمقربين وإليه الإشارة بالسر الذي وقر في صدر أبي بكر الصديق رضي الله عنه حيث فضل به
الخلق وانكشاف ذلك السر بل تلك الأسرار له درجات بحسب درجات المجاهدة ودرجات الباطن
في النظافة والطهارة عما سوى الله تعالى وفي الاستضاءة بنور اليقين وذلك كتفاوت الخلق في
أسرار الطب والفقه وسائر العلوم إذ يختلف ذلك باختلاف الاجتهاد واختلاف الفطرة في الذكاء
والفطنة وكما لا تنحصر تلك الدرجات فكذلك هذه **مسألة** فإن قلت فعلم الجدل
والكلام مذموم كعلم النجوم أو هو مباح أو مندوب إليه **فاعلم** أن للناس في هذا غلوا وإسرافا في
أطراف فمن قائل إنه بدعة وحرام وإن العبد أن يلقى الله بكل ذنب سوى الشرك خير
له من أن يلقاه بالكلام ومن قائل إنه واجب وفرض إما على الكفاية وإما على الأعيان وإنه أفضل الأعمال
وأعلى القربات فإنه تحقيق لعلم التوحيد ونضال عن دين الله وإلى التحريم ذهب الشافعي ومالك
وأحمد بن حنبل وسفيان وجميع أهل الحديث من السلف رضي الله عنهم قال ابن عبد الأعلى سمعت الشافعي
يوم ناظر حفصا الفرد وكان من متكلمي المعتزلة يقول لأن يلقى الله العبد بكل ذنب ما خلا الشرك
خير له من أن يلقاه بشيء من الكلام ولقد سمعت من حفص كلاما لا أقدر أن أحكيه وقال أيضا قد اطلعت
من أهل الكلام على شيء ما ظننته قط ولأن يبتلى العبد بكل ما نهى الله عنه ما عدا الشرك
خير له من أن ينظر في الكلام **وحكى** الكرابيسي أن الشافعي رضي الله عنه سئل عن شيء من الكلام
فغضب وقال سل عن هذا حفصا الفرد وأصحابه أخزاهم الله ولما مرض الشافعي دخل عليه حفص
فقال له من أنا فقال حفص الفرد لا حفظك الله ولا رعاك حتى تتوب مما أنت فيه وقال أيضا لو علم الناس
ما في الكلام من الأهواء لفروا منه فرارهم من الأسد وقال أيضا إذا سمعت الرجل يقول الاسم هو المسمى
أو غير المسمى فاشهد بأنه من أهل الكلام ولا دين له وقال الزعفراني قال الشافعي حكمي في أصحاب الكلام

[...] ويطاف بهم في القبائل والعشائر ويقال هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأخذ في الكلام
وقال أحمد بن حنبل لا يفلح صاحب الكلام أبدا ولا تكاد ترى أحدا نظر في الكلام إلا وفي قلبه دغل
وبالغ في ذمه حتى هجر الحارث المحاسبي مع زهده وورعه بسبب تصنيفه كتابا في الرد على المبتدعة
وقال ويحك ألست تحكي بدعتهم أولا ثم ترد عليهم ألست تحمل الناس بتصنيفك على مطالعة البدعة
والتفكر في تلك الشبهات فيدعوهم ذلك إلى الرأي والبحث وقال أحمد علماء الكلام زنادقة وقال
مالك أرأيت إن جاءه من هو أجدل منه أيدع دينه كل يوم لدين جديد يعني أن أقوال المتجادلين تتفاوت
وقال مالك لا تجوز شهادة أهل البدع والأهواء فقال بعض أصحابه في تأويله إنه أراد
بأهل الأهواء أهل الكلام على أي مذهب كانوا وقال أبو يوسف من طلب العلم بالكلام تزندق
وقال الحسن لا تجادلوا أهل الأهواء ولا تجالسوهم ولا تسمعوا منهم وقد اتفق أهل الحديث من السلف
على هذا ولا ينحصر ما نقل عنهم من التشديدات فيه وقالوا ما سكت عنه الصحابة مع أنهم أعرف بالحقائق
وأفصح بترتيب الألفاظ من غيرهم إلا لعلمهم بما يتولد منه من الشر ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم هلك
المتنطعون هلك المتنطعون هلك المتنطعون أي المتعمقون في البحث والاستقصاء واحتجوا
أيضا بأن ذلك لو كان من الدين لكان ذلك أهم ما يأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعلم طريقه ويثني عليه
وعلى أربابه فقد علمهم الاستنجاء وندبهم إلى حفظ الفرائض وأثنى عليهم ونهاهم عن الكلام في القدر وقال
أمسكوا وعلى هذا استمر الصحابة رضي الله عنهم فالزيادة على الأستاذ طغيان وظلم وهم الأستاذون
والقدوة ونحن الأتباع والتلامذة **وأما** الفرقة الأخرى فاحتجوا بأن المحذور من الكلام
إن كان هو لفظ الجوهر والعرض وهذه الاصطلاحات الغريبة التي لم تعهدها الصحابة رضي الله
عنهم فالأمر فيه قريب إذ ما من علم إلا وقد أحدث فيه اصطلاحات لأجل التفهيم كالحديث والتفسير
والفقه ولو عرض عليهم عبارة النقض والكسر والتركيب والتعدية وفساد الوضع لما كانوا يفهمونه
فإحداث عبارة للدلالة بها على مقصود صحيح كإحداث آنية على هيئة جديدة لاستعمالها في مباح
وإن كان المحذور هو المعنى فنحن لا نعني به إلا معرفة الدليل على حدوث العالم ووحدانية الخالق وصفاته
كما جاء به الشرع فمن أين تحرم معرفة الله بالدليل وإن كان المحذور هو التشعب والتعصب والعداوة
والبغضاء وما يفضي إليه الكلام فذلك محرم ويجب الاحتراز عنه كما أن الكبر والرياء وطلب الرياسة
مما يفضي إليه علم الحديث والتفسير والفقه وهو محرم يجب الاحتراز عنه ولكن لا يمنع من العلم لأجل
أدائه إليه وكيف يكون ذكر الحجة والمطالبة بها والبحث عنها محظورا وقد قال الله تعالى قل هاتوا برهانكم
[...] وقال عز وجل ليهلك من هلك عن بينة وقال تعالى هل عندكم من سلطان بهذا أي حجة وبرهان وقال
تعالى قل فلله الحجة البالغة وقال تعالى ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه إلى قوله فبهت الذي
كفر إذ ذكر احتجاج إبراهيم ومجادلته وإفحامه خصمه في معرض الثناء عليه وقال تعالى وتلك حجتنا
آتيناها إبراهيم على قومه وقال تعالى قالوا يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا وقال عز وجل

بقصة فرعون وما رب العالمين الى قوله اولو جئتك بشيء مبين وبالجملة فالقران من اوله الى اخره
محاجة مع الكفار فعمدة ادلة المتكلمين في التوحيد قوله تعالى لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا وفي البعث
قوله تعالى قل يحييها الذي انشاها اول مرة الى غير ذلك من الادلة ولم يزل الرسل عليهم السلام يحاجون
المنكرين ويجادلونهم قال عز وجل وجادلهم بالتي هي احسن والصحابة رضي الله عنهم ايضا كانوا يحاجون
المنكرين ويجادلون عند الحاجة وكانت الحاجة اليه قليلة في زمانهم واول من سن دعوة المبتدعة بالمجادلة الى الحق
علي رضي الله عنه اذ بعث ابن عباس رضي الله عنه الى الخوارج فكلمهم فقال ما تنقمون على امامكم قالوا
قاتل ولم يسب ولم يغنم فقال ذلك في قتال الكفار ارايتم لو سبيت عائشة رضي الله عنها في يوم الجمل فوقعت
في سهم احدكم اكنتم تستحلون منها ما تستحلون من ملككم وهي امكم في نص الكتاب فقالوا لا فرجع منهم
الى الطاعة بمجادلته الفان وروي ان الحسن ناظر قدريا فرجع عن القدر وناظر علي رضي الله عنه رجلا
من القدرية وناظر عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يزيد بن عميرة في الايمان قال عبد الله لو قلت اني مؤمن
لقلت اني في الجنة فقال له يزيد بن عميرة يا صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه زلة منك وهل الايمان
الا ان تؤمن بالله وملائكته ورسله والبعث والميزان وتقيم الصلاة والصوم والزكاة ولنا ذنوب
لو نعلم انها تغفر لنا لعلمنا انا من اهل الجنة فمن اجل ذلك نقول انا مؤمنون ولا نقول انا من اهل الجنة
فقال ابن مسعود صدقت والله انها مني زلة فيقتضي ان يقال كان خوضهم فيه قليلا لا كثيرا وقصيرا لا
طويلا وعند الحاجة لا بطريق التصنيف والتدريس واتخاذه صناعة فيقال اما قلة خوضهم فيه فكان
لقلة الحاجة اذ لم تكن البدعة تظهر في ذلك الزمان واما القصر فقد كان العادة افحام الخصم واعترافه
وانكشاف الحق وازالة الشبهة فلو طال اشكال الخصم او لجاجه لطال لا محالة الزامهم وما كانوا يقدرون قدر الحاجة
بميزان ولا مكيال بعد الشروع فيه واما عدم تصديهم للتصنيف والتدريس فهكذا كان عادتهم في الفقه
والتفسير والحديث ايضا فان جاز تصنيف الفقه ووضع الصور النادرة التي لا تتفق الا على الندور
اما ادخارا ليوم وقوعها وان كان نادرا او تشحيذا للخواطر فنحن ايضا نرتب طرق المجادلة لتوقع وقوع
الحاجة بثوران شبهة او هيجان مبتدع او لتشحيذ الخاطر او لادخار الحجة حتى لا يعجز عند الحاجة اليها على البديهة
والارتجال كمن يعد السلاح قبل القتال ليوم القتال فهذا ما يمكن ان يذكر للفريقين فان قلت
فما المختار فيه فاعلم ان الحق فيه ان اطلاق القول بذمه في كل حال او بحمده في كل حال خطا بل لا بد
فيه من تفصيل فاعلم اولا ان الشيء قد يحرم لذاته كالخمر والميتة واعني بقولي لذاته ان علة
تحريمه وصف في ذاته وهو الاسكار والموت وهذا اذا سئلنا عنه اطلقنا القول بانه حرام ولا يلتفت
الى اباحة الميتة عند الاضطرار واباحة تجرع الخمر اذا غص الانسان بلقمة ولم يجد ما يسيغها سوى
الخمر والى ما يحرم لغيره كالبيع على بيع اخيك المسلم في وقت الخيار والبيع وقت النداء وكاكل الطين فانه يحرم
لما فيه من الاضرار وهذا ينقسم الى ما يضر قليله وكثيره فيطلق القول عليه بانه حرام كالسم الذي
يقتل قليله وكثيره والى ما يضر عند الكثرة فيطلق القول عليه بالاباحة كالعسل فان كثيره

يضر بالمحرور وكان اطلاق التحليل على العسل والتحريم على الخمر التفاتا الى اغلب الاحوال
فان تصدى شيء تقابلت فيه الاحوال فالاولى والابعد عن الالتباس ان يفصل فنعود الى علم الكلام ونقول
ان فيه منفعة وفيه مضرة فهو باعتبار منفعته في وقت الانتفاع حلال او مندوب او واجب كما يقتضيه الحال
وهو باعتبار مضرته في وقت الاستضرار ومحله حرام اما مضرته فاثارة الشبهات وتحريك
العقائد وازالتها عن الجزم والتصميم فذلك مما يحصل بالابتداء ورجوعها بالدليل مشكوك فيه ويختلف
فيه الاشخاص فهذا ضرره في الاعتقاد الحق وله ضرر في تاكيد اعتقاد المبتدعة للبدعة وتثبيتها في صدورهم
بحيث تنبعث دواعيهم ويشتد حرصهم عليه ولكن هذا الضرر بواسطة التعصب الذي يثور من الجدل
ولذلك ترى المبتدع العامي يمكن ان يزول اعتقاده باللطف في اسرع زمان الا اذا كان نشوه في بلد يظهر فيها الجدل
والتعصب فانه لو اجتمع عليه الاولون والاخرون لم يقدروا على نزع البدعة من صدره بل الهوى والتعصب
وبغض خصوم المجادلين وفرقة المخالفين يستولي على قلبه ويمنعه من ادراك الحق حتى لو قيل له هل تريد
ان يكشف الله تعالى لك الغطاء فيريك بالعيان ان الحق مع خصمك لكره ذلك خيفة من ان يفرح به خصمه
وهذا هو الداء العضال الذي استطار في البلاد والعباد وهو نوع فساد اثاره المجادلون بالتعصب فهذا ضرره
واما منفعته فقد يظن ان فائدته كشف الحقائق ومعرفتها على ما هي عليه وهيهات فليس في
الكلام وفاء بهذا المطلب الشريف ولعل التخبيط والتضليل فيه اكثر من الكشف والتعريف وهذا اذا سمعته
من محدث او حشوي ربما خطر ببالك ان الناس اعداء ما جهلوا فاسمع هذا ممن خبر الكلام ثم قلاه بعد
حقيقة الخبرة وبعد التغلغل فيه الى منتهى درجة المتكلمين وجاوز ذلك الى التعمق في علوم اخر تناسب علم
الكلام وتحقق ان الطريق الى حقائق المعرفة من هذا الوجه مسدود ولعمري لا ينفك الكلام عن كشف
وايضاح وتعريف لبعض الامور ولكن على الندور في امور جلية تكاد تفهم قبل التعمق في صنعة الكلام
بل منفعته شيء واحد وهو حراسة العقيدة التي ترجمناها على العوام وحفظها عن تشويشات المبتدعة
بانواع الجدل فان العامي ضعيف يستفزه جدل المبتدع وان كان فاسدا ومعارضة الفاسد بالفاسد
تدفعه والناس متعبدون بهذه العقيدة التي قدمناها اذ ورد الشرع بها لما فيها من صلاح دينهم ودنياهم
واجمع السلف الصالح عليها والعلماء متعبدون بحفظها على العوام من تلبيسات المبتدعة كما تعبد السلاطين
بحفظ اموالهم عن تهجم الظلمة والغصاب واذا وقعت الاحاطة بضرره ومنفعته فينبغي ان يكون
كالطبيب الحاذق في استعمال الدواء الخطر اذ لا يضعه الا في موضعه وذلك في وقت الحاجة وعلى قدر
الحاجة وتفصيله ان العوام المشتغلين بالحرف والصناعات يجب ان يتركوا على سلامة عقائدهم التي اعتقدوها
مهما تلقنوا الاعتقاد الحق الذي ذكرناه فان تعليمهم الكلام ضرر محض في حقهم اذ ربما يثير لهم شكا ويزلزل
عليهم الاعتقاد ولا يمكن القيام بعد ذلك بالاصلاح واما العامي المعتقد للبدعة فينبغي ان يدعى
الى الحق بالتلطف لا بالتعصب وبالكلام اللطيف المقنع للنفس المؤثر في القلب القريب من سياق
ادلة القران والحديث الممزوج بفن من الوعظ والتحذير فان ذلك انفع من الجدل الموضوع على شرط المتكلمين

إذ العامي إذا سمع ذلك اعتقد أنه نوع صنعة تعلمها المتكلم ليستدرج الناس إلى اعتقاده فإن عجز عن الجواب
قدر أن المجادل من مذهبه أيضا يقدر على دفعه فالجدل مع هذا ومع الأول حرام وكذا مع من وقع له
شك إذ يجب إزالته باللطف والوعظ والأدلة المقبولة القريبة البعيدة عن تعمق الكلام واستقصاء
الجدل وإنما ينفع في موضع واحد وهو أن يفرض عامي اعتقد البدعة بنوع جدل سمعه فيقابل ذلك الجدل
بمثله فيعود إلى اعتقاد الحق وذلك فيمن ظهر له من الأنس بالمجادلة ما يمنعه عن القناعة بالمواعظ والتحذيرات
العامية فقد انتهى هذا إلى حالة لا يشفيه منها إلا دواء الجدل فجاز أن يلقى إليه وأما في بلاد تقل فيها
البدعة وتختلف فيها المذاهب فيقتصر فيها على ترجمة الاعتقاد الذي ذكرناه ولا يتعرض للأدلة
ويتربص وقوع شبهة فإن وقعت ذكر بقدر الحاجة فإن كانت البدعة شائعة وكان يخاف على الصبيان أن
يخدعوا فلا بأس أن يعلموا القدر الذي أودعناه كتاب الرسالة القدسية ليكون ذلك سببا لدفع تأثير مجادلات
المبتدعة إن وقعت إليهم وهذا مقدار مختصر وقد أودعناه هذا الكتاب لاختصاره فإن كان فيه ذكاء وتنبه
بذكائه لموضع سؤال أو ثارت في نفسه شبهة فقد بدت العلة وظهر الداء فلا بأس أن يرقى منه إلى
القدر الذي ذكرناه في كتاب الاقتصاد في الاعتقاد وهو مقدار خمسين ورقة وليس فيه خروج عن النظر في
قواعد العقائد إلى غير ذلك من مباحث المتكلمين فإن أقنعه ذلك كف عنه وإن لم يقنعه ذلك فقد صارت
العلة مزمنة والداء غالبا والمرض ساريا فليتلطف به الطبيب بقدر إمكانه وينتظر قضاء الله تعالى
فيه إلى أن ينكشف له الحق بتنبيه من الله تعالى أو يستمر على الشك والشبهة إلى ما قدر له فالقدر الذي يحويه
ذلك الكتاب وجنسه من المصنفات هو الذي يرجى نفعه فأما الخارج منه فقسمان أحدهما بحث عن غير
قواعد العقائد كالبحث عن الاعتمادات وعن الأكوان وعن الإدراكات والخوض في الرؤية هل لها ضد يسمى
منعا أو عمى وإن كان فهو واحد وهو منع عن جميع ما لا يرى أو يثبت لكل مرئي يمكن رؤيته
منع بحسب عدده إلى غير ذلك من الترهات المضلة والقسم الثاني زيادة تقرير لتلك الأدلة في غير
تلك القواعد وزيادة أسئلة وأجوبة وذلك أيضا استقصاء لا يزيد إلا ضلالا وجهلا في حق من لم يقنعه
ذلك القدر فرب كلام يزيده الإطناب والتقرير غموضا ولو قال قائل البحث عن حكم الإدراكات والا
عتمادات فيه فائدة تشحيذ الخاطر والخاطر آلة الدين كالسيف آلة الجهاد فلا بأس بتشحيذه كان كقوله
لعب الشطرنج يشحذ الخاطر فهو من الدين وذلك هوس فإن الخاطر يتشحذ بسائر علوم الشرع ولا يخاف
منها مضرة فقد عرفت بهذا القدر المذموم والقدر المحمود من الكلام والحال التي فيها يذم
والحال التي فيها يحمد والشخص الذي ينتفع به والشخص الذي لا ينتفع به فإن قلت مهما اعترفت
بالحاجة إليه في دفع المبتدع فالآن قد ثارت البدع وعمت البلوى وأرهقت الحاجة فلا بد أن يصير
القيام بهذا العلم من فروض الكفايات كالقيام بحراسة الأموال وسائر الحقوق بالقضاء والولاية وغيرهما
وما لم يشتغل العلماء بنشر ذلك والتدريس فيه والبحث عنه لا يدوم ولو ترك بالكلية لاندرس
وليس في مجرد الطباع كفاية لحل شبه المبتدعة ما لم يتعلم فينبغي أن يكون التدريس فيه أيضا من فروض الكفاية

بخلاف زمن الصحابة رضي الله عنهم فإن الحاجة ما كانت ماسة إليه فاعلم أن الحق أنه لا بد
في كل بلد من قائم بهذا العلم مستقل بدفع شبه المبتدعة التي ثارت في تلك البلدة وذلك يدوم بالتعليم
ولكن ليس من الصواب تدريسه على العموم كتدريس الفقه والتفسير فإن هذا مثل الدواء والفقه
مثل الغذاء وضرر الغذاء لا يحذر وضرر الدواء محذور لما ذكرناه فيه من أنواع الضرر والعالم ينبغي أن
يخصص بتعليم هذا العلم من فيه ثلاث خصال إحداها التجرد للعلم والحرص عليه فإن المحترف يمنعه
الشغل عن الاستتمام وإزالة الشكوك إذا عرضت والثانية الذكاء والفطنة والفصاحة فإن البليد
لا ينتفع بفهمه والفدم لا ينتفع بحجاجه فيخاف عليه من ضرر الكلام ولا يرجى فيه نفعه والثالثة أن
يكون في طبعه الصلاح والديانة والتقوى ولا تكون الشهوات غالبة عليه فإن الفاسق بأدنى
شبهة ينخلع عن الدين فإن ذلك يحل عنه الحجر ويرفع السد بينه وبين الملاذ فلا يحرص على إزالة الشبهة
بل يغتنمها ليتخلص من أعباء التكليف فيكون ما يفسده مثل هذا المتعلم أكثر مما يصلحه وإذا عرفت
هذه الانقسامات اتضح لك أن الحجة المحمودة في الكلام إنما هي من جنس حجج القرآن من الكلمات
اللطيفة المؤثرة في القلوب المقنعة للنفوس دون التغلغل في التقسيمات والتدقيقات التي
لا يفهمها أكثر الناس وإذا فهموها اعتقدوا أنها شعوذة وصناعة تعلمها صاحبها للتلبيس فإذا
قابله مثله في الصنعة قاومه وعرفت أن الشافعي وكافة السلف رحمهم الله إنما منعوا عن الخوض
فيه والتجرد له لما فيه من الضرر الذي نبهنا عليه وأن ما نقل عن ابن عباس رضي الله عنه من مناظرة الخوارج
وما نقل عن علي رضي الله عنه من المناظرة في القدر وغيره كان من الكلام الجلي الظاهر وفي محل الحاجة وذلك محمود في كل
حال نعم قد تختلف الأعصار في كثرة الحاجة وقلتها فلا يبعد أن يختلف الحكم لذلك فهذا حكم
العقيدة التي تعبد بها الخلق وحكم طريق النضال عنها وحفظها فأما إزالة الشبهة و
كشف الحقائق ومعرفة الأشياء على ما هي عليه وإدراك الأسرار التي يترجمها ظاهر ألفاظ هذه العقيدة
فلا مفتاح له إلا المجاهدة وقمع الشهوات والإقبال بالكلية على الله تعالى وملازمة الفكر الصافي عن شوائب
المجادلات وهي رحمة من الله عز وجل تفيض على من يتعرض لنفحاتها بقدر الرزق وبحسب التعرض
وبحسب قبول المحل وطهارة القلب وذلك البحر الذي لا يدرك غوره ولا يبلغ ساحله مسألة
فإن قلت هذا الكلام مشير إلى أن هذه العلوم لها ظواهر وأسرار وبعضها جلي يبدو أولا وبعضها
خفي يتضح بالمجاهدة والرياضة والطلب الحثيث والفكر الصافي والسر الخالي عن كل شيء من أشغال
الدنيا سوى المطلوب وهذا يكاد يكون مخالفا للشرع إذ ليس للشرع ظاهر وباطن وسر وعلن
بل الظاهر والباطن والسر والعلن واحد فيه فاعلم أن انقسام هذه العلوم إلى خفية وجلية
لا ينكرها ذو بصيرة وإنما ينكرها القاصرون الذين تلقفوا في أوائل الصبا شيئا وجمدوا عليه فلم يكن لهم ترق
إلى شأو العلاء ومقامات العلماء والأولياء وذلك ظاهر من أدلة الشرع قال النبي صلى الله عليه وسلم
إن للقرآن ظاهرا وباطنا وحدا ومطلعا وقال علي رضي الله عنه وأشار إلى صدره إن ههنا علوما جمة لو وجدت لها حملة

وقال صلى الله عليه وسلم نحن معاشر الأنبياء أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم وقال صلى الله عليه وسلم ما حدث أحد قوما بحديث لم تبلغه عقولهم إلا كان فتنة عليهم وقال تعالى وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون وقال صلى الله عليه وسلم إن من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه إلا العالمون بالله الحديث إلى آخره كما أوردناه في كتاب العلم وقال صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا فليت شعري إن لم يكن ذلك سرا منع من إفشائه لقصور الأفهام عن دركه أو لمعنى آخر فلم لم يذكره لهم ولا شك أنهم كانوا يصدقونه لو ذكره لهم وقال ابن عباس في قوله عز وجل الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن لو ذكرت تفسيره لرجمتموني وفي لفظ آخر لقلتم إنه كافر وقال صلى الله عليه وسلم ما فضلكم أبو بكر بكثرة صيام ولا صلاة ولكن بسر وقر في صدره ولا شك في أن ذلك السر كان متعلقا بقواعد الدين غير خارج منها وما كان من قواعد الدين لم يكن خافيا بظواهره على غيره وقال سهل التستري رضي الله عنه للعالم ثلاثة علوم علم ظاهر يبذله لأهل الظاهر وعلم باطن لا يسعه إظهاره إلا لأهله وعلم هو بينه وبين الله تعالى لا يظهره لأحد وقال بعض العارفين إفشاء سر الربوبية كفر وقال بعضهم للربوبية سر لو أظهر لبطلت النبوة وللنبوة سر لو كشف لبطل العلم وللعلماء بالله سر لو أظهروه لبطلت الأحكام وهذا القائل إن لم يرد بذلك بطلان النبوة في حق الضعفاء لقصور فهمهم فما ذكره ليس بحق بل الصحيح أنه لا تناقض فيه وأن الكامل من لا يطفئ نور معرفته نور ورعه وملاك الورع النبوة

مسئلة فإن قلت هذه الآيات والأخبار يتطرق إليها تأويلات فبين لنا كيفية اختلاف الظاهر والباطن فإن الباطن إن كان مناقضا للظاهر ففيه إبطال الشرع وهو قول من قال إن الحقيقة خلاف الشريعة وهو كفر لأن الشريعة عبارة عن الظاهر والحقيقة عبارة عن الباطن وإن كان لا يناقضه ولا يخالفه فهو هو فيزول به الانقسام ولا يكون للشرع سر لا يفشى بل يكون الخفي والجلي واحدا

فاعلم أن هذا السؤال يحرك خطبا عظيما وينجر إلى علوم المكاشفة ويخرج عن مقصود علم المعاملة وهو غرض هذا الكتاب فإن العقائد التي ذكرناها من أعمال القلوب وقد تعبدنا بتلقيها بالقبول والتصديق بعقد القلب عليها لا بأن نتوصل إلى أن ينكشف لنا حقائقها فإن ذلك لم يكلف به كافة الخلق ولولا أنه من الأعمال لما أوردناه في هذا الكتاب ولولا أنه عمل ظاهر القلب لا عمل باطنه لما أوردناه في الشطر الأول من الكتاب وإنما الكشف الحقيقي هو صفة سر القلب وباطنه ولكن إذا انجر الكلام إلى تحريك خيال في مناقضة الظاهر للباطن فلا بد من كلام وجيز في حله فمن قال إن الحقيقة تخالف الشريعة أو الباطن يناقض الظاهر فهو إلى الكفر أقرب منه إلى الإيمان بل الأسرار التي يختص بها المقربون بدركها ولا يشاركهم الأكثرون في علمها ويمتنعون عن إفشائها إليهم ترجع إلى خمسة أقسام

القسم الأول أن يكون الشيء في نفسه دقيقا تكل أكثر الأفهام عن دركه فيختص بدركه الخواص وعليهم أن لا يفشوه إلى غير أهله فيصير ذلك فتنة عليهم حيث تقصر أفهامهم عن الدرك وإخفاء سر الروح وكف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بيانه من هذا القسم فإن حقيقته مما تكل الأفهام عن دركه وتقصر الأوهام عن تصور كنهه ولا تظنن أن ذلك لم يكن مكشوفا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فإن من لم يعرف الروح فكأنه لم يعرف نفسه فكيف يعرف ربه سبحانه ولا يبعد أن يكون

ذلك مكشوفا لبعض الأولياء والعلماء وإن لم يكونوا أنبياء ولكنهم يتأدبون بأدب الشرع فيسكتون عما سكت عنه بل في صفات الله تعالى من الخفايا ما تقصر أفهام الجماهير عن دركه ولم يذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم منها إلا الظواهر للأفهام من العلم والقدرة وغيرهما حتى فهمها الخلق بنوع مناسبة توهموها إلى علمهم وقدرتهم إذ كان لهم من الأوصاف ما يسمى علما وقدرة فيتوهمون ذلك بنوع مقايسة ولو ذكر من صفاته ما ليس للخلق مما يناسبه بعض المناسبة شيء لم يفهموه بل لذة الجماع إذا ذكرت للصبي أو العنين لم يفهمها إلا بمناسبة إلى لذة المطعوم الذي يدركه ولا يكون ذلك فهما على التحقيق والمخالفة بين علم الله تعالى وقدرته وعلم الخلق وقدرتهم أكثر من المخالفة بين لذة الجماع والأكل وبالجملة فلا يدرك الإنسان إلا نفسه وصفات نفسه مما هي حاضرة له في الحال أو مما كانت له من قبل ثم بالمقايسة إليه يفهم ذلك لغيره ثم قد يصدق بأن بينهما تفاوتا في الشرف والكمال فليس في قوة البشر إلا أن يثبت لله تعالى ما هو ثابت لنفسه من الفعل والعلم والقدرة وغيرها من الصفات مع التصديق بأن ذلك أكمل وأشرف فيكون معظم تحويمه على صفات نفسه لا على ما اختص الرب تعالى به من الجلال ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك وليس المعنى أني عجزت عن التعبير عما أدركته بل هو اعتراف بالقصور عن إدراك كنه جلاله ولذلك قال بعضهم ما عرف الله بالحقيقة سوى الله عز وجل وقال الصديق رضي الله عنه الحمد لله الذي لم يجعل للخلق سبيلا إلى معرفته إلا بالعجز عن معرفته **ولنقبض** عنان الكلام عن هذا النمط ولنرجع إلى الغرض وهو أن أحد الأقسام ما تكل الأفهام عن إدراكه ومن جملته الروح ومن جملته بعض صفات الله تعالى ولعل مثل هذا المعنى هو المشار إليه بقوله صلى الله عليه وسلم إن لله سبحانه سبعين حجابا من نور لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه كل من أدركه بصره

القسم الثاني من الخفيات التي يمتنع الأنبياء والصديقون عن ذكرها ما هو مفهوم في نفسه لا يكل الفهم عنه ولكن ذكره يضر بأكثر المستمعين ولا يضر بالأنبياء والصديقين وسر القدر الذي منع أهل العلم من إفشائه من هذا القسم فلا يبعد أن يكون ذكر بعض الحقائق مضرا ببعض الخلق كما يضر نور الشمس بأبصار الخفافيش وكما تضر رياح الورد بالجعل وكيف يبعد هذا وقولنا إن الكفر والزنا والمعاصي والشرور كله بقضاء الله تعالى وإرادته ومشيئته حق في نفسه وقد أضر سماعه بقوم إذ أوهم ذلك عندهم أنه دلالة على السفه ونقيض الحكمة والرضا بالقبيح والظلم وقد ألحد ابن الراوندي وطائفة من المخذولين بمثل ذلك وكذلك سر القدر لو أفشي لأوهم عند أكثر الخلق عجزا إذ تقصر أفهامهم عن إدراك ما يزيل ذلك الوهم عنهم ولو قال قائل إن القيامة لو ذكر ميقاتها وأنها بعد ألف سنة أو أكثر أو أقل لكان مفهوما ولكن لم يذكر لمصلحة العباد وخوفا من الضرر فلعل المدة إليها بعيدة فيطول الأمد وإذا استبطأت النفوس وقت العقاب قل اكتراثها ولعلها كانت قريبة في علم الله سبحانه ولو ذكرت لعظم الخوف وأعرض الناس عن الأعمال وخربت الدنيا فهذا المعنى لو اتجه وصح فيكون مثالا لهذا القسم

القسم الثالث أن يكون الشيء بحيث لو ذكر صريحا لفهم ولم يكن فيه ضرر ولكن يكنى عنه على سبيل الاستعارة والرمز ليكون وقعه في قلب المستمع أغلب وله مصلحة في أن يعظم

وفهم ذلك الكلام في قلبه كما حوفا [illegible] فلانا يقبل [illegible] عنا وخنازير يكنى به عن فحشا العلم وبث
حكمة [illegible] يتمتع [illegible] لمن يفهم كلامه والمعموره الظلم وعلمه [illegible]
معرفة ولا كان [illegible] فهو [illegible] الناس [illegible] قول الشاعر

رجلا [illegible] متقابلات على [illegible] الاول
ما زال ينبح [illegible] وشيخ [illegible] الفضل

[illegible] هذا النوع [illegible] التعبير عن المعنى
بالصورة التي تنطق عن المعنى ومثله **ومنه** قوله صلى الله عليه وسلم [illegible]
[illegible] ومعناه [illegible] ومعناه
[illegible] المعنى [illegible] وكذلك قوله
صلى الله عليه وسلم [illegible] الرحمان [illegible]
[illegible] المعنى [illegible]
[illegible] ومعنى [illegible]
[illegible] المعنى [illegible]
[illegible] **اما** [illegible]
[illegible] الكلام [illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible]
[illegible]
[illegible] **ومن** [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] **واما** [illegible] الكلام [illegible]
[illegible] الكلام [illegible] قوله تعالى [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

القسم الرابع [illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible] الكلام [illegible]
[illegible]
[illegible] الاحوال ثلاثة [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

القسم الخامس [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible]

وقد [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible] وقالوا ان [illegible] بصوت [illegible] الله تعالى [illegible] بعد كل

[illegible] متى [illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible]

[illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible] اصابع الرحمن [illegible]

[illegible]

[illegible] من التاويل [illegible]

[illegible] الاقتصاد [illegible]

[illegible]

[illegible] معلوم والكيفية مجهولة [illegible] واجب [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] المأكولات والمشروبات والمنكوحات والملاذ المحسوسة [illegible]

[illegible]

[illegible]

القسط الثالث من كتاب قواعد العقائد ولوامع الادلة للعضد الدين [illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليما

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

الركن الاول

[illegible] ذات الله تعالى [illegible] عشرة اصول [illegible]

الركن الثاني

[illegible]

الركن الثالث

[illegible] افعال الله تعالى [illegible]

[illegible]

[illegible]

الركن الرابع

[illegible] السمعيات [illegible]

[illegible]

الركن الاول

الاصل الاول

[illegible]

[illegible]

الآيات وادار نظره على عجائب خلق الارض والسموات وبدائع فطرة الحيوان والنبات ان هذا الامر العجيب والترتيب المحكم لا يستغني عن صانع يدبره وفاعل يحكمه ويقدره بل تكاد فطرة النفوس تشهد بكونها مقهورة تحت تسخيره ومصرفة بمقتضى تدبيره ولذلك قال الله تعالى افي الله شك فاطر السموات والارض ولهذا بعث الانبياء صلوات الله عليهم لدعوة الخلق الى التوحيد ليقولوا لا اله الا الله وما امروا ان يقولوا لنا اله وللعالم اله فان ذلك كان مجبولا في فطرة عقولهم من مبدا نشوهم وفي عنفوان شبابهم ولذلك قال عز وجل ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله وقال تعالى فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم فاذا في فطرة الانسان وشواهد القرآن ما يغني عن اقامة البرهان ولكنا على سبيل الاستظهار والاقتداء بالعلماء النظار نقول من بداية العقول ان الحوادث لا يستغني في حدوثه عن سبب يحدثه والعالم حادث فاذا لا يستغني في حدوثه عن سبب اما قولنا الحادث لا يستغني في حدوثه عن سبب فجلي فان كل حادث فهو مختص بوقت يجوز في العقل تقديمه وتاخيره فاختصاصه بوقته دون ما قبله وما بعده يفتقر بالضرورة الى مخصص واما قولنا العالم حادث فبرهانه ان اجسام العالم لا تخلو عن الحركة والسكون وهما حادثان وما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث ففي هذا البرهان ثلاث دعاوى الاولى ان الاجسام لا تخلو عن الحركة والسكون وهي مدركة بالبديهة والاضطرار فلا يحتاج فيه الى تامل وافتكار فان من عقل جسما لا ساكنا ولا متحركا كان لمتن الجهل راكبا وعن نهج العقل ناكبا الثانية قولنا انهما حادثان ويدل على ذلك تعاقبهما ووجود البعض منهما بعد البعض وذلك مشاهد في جميع الاجسام ما شوهد منها وما لم يشاهد فما من ساكن الا والعقل قاض بجواز حركته وما من متحرك الا والعقل قاض بجواز سكونه فالطارئ منهما حادث لطريانه والسابق حادث لعدمه لانه لو ثبت قدمه لاستحال عدمه على ما سياتي بيانه وبرهانه في اثبات بقاء الصانع تعالى وتقدس الثالثة قولنا ما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث وذلك انه لو لم يكن كذلك لكان قبل كل حادث حوادث لا اول لها ولو لم تنقض تلك الحوادث بجملتها لا تنتهي النوبة الى وجود الحادث الحاضر في الحال وانقضاء ما لا نهاية له محال ولانه لو كان للفلك دورات لا نهاية لها لكان لا يخلو عددها من ان يكون شفعا او وترا او شفعا ووترا جميعا او لا شفعا ولا وترا ومحال ان يكون شفعا ووترا جميعا او لا شفعا ولا وترا فان ذلك جمع بين النفي والاثبات اذ في اثبات احدهما نفي الآخر وفي نفي احدهما اثبات الآخر ومحال ان يكون شفعا لان الشفع يصير وترا بزيادة واحد فكيف يعوز ما لا نهاية له واحد ومحال ان يكون وترا لان الوتر يصير شفعا بواحد فكيف يعوزها واحد مع انه لا نهاية لاعدادها فقد حصل من هذا ان العالم لا يخلو عن الحوادث وما لا يخلو عن الحوادث فهو اذا حادث واذا ثبت حدوثه كان افتقاره الى المحدث من المدركات بالضرورة

الأصل الثاني العلم بان الباري تعالى قديم لم يزل ازلي ليس لوجوده اول بل هو اول كل شيء وقبل كل ميت وحي وبرهانه انه لو كان حادثا ولم يكن قديما لافتقر هو ايضا الى محدث وافتقر محدثه الى محدث وتسلسل ذلك الى غير نهاية وما تسلسل لم يتحصل او ينتهي الى محدث قديم هو الاول وذلك هو المطلوب الذي سميناه صانع العالم وبارئه ومحدثه ومبدعه

الأصل الثالث العلم بانه مع كونه ازليا ابدي ليس لوجوده آخر فهو الاول والآخر والظاهر والباطن لان ما ثبت قدمه استحال عدمه وبرهانه انه لو انعدم لم يخل اما ان ينعدم بنفسه او بمعدم يضاده ولو جاز ان ينعدم شيء يتصور دوامه بنفسه لجاز ان يوجد شيء يتصور عدمه بنفسه فكما يحتاج طريان الوجود الى سبب فكذلك يحتاج طريان العدم الى سبب وباطل ان ينعدم بمعدم يضاده لان ذلك المعدم لو كان قديما لما تصور الوجود معه وقد ظهر بالاصلين السابقين وجوده وقدمه فكيف كان وجوده في القدم ومعه ضده وان كان الضد المعدم حادثا كان محالا اذ ليس الحادث في مضادته للقديم حتى يقطع وجوده باولى من القديم في مضادته للحادث حتى يدفع وجوده بل الدفع اهون من القطع والقديم اقوى من الحادث

الأصل الرابع العلم بانه ليس بجوهر متحيز بل يتعالى ويتقدس عن مناسبة الحيز وبرهانه ان كل جوهر متحيز فهو مختص بحيزه ولا يخلو من ان يكون ساكنا فيه او متحركا عنه فلا يخلو عن الحركة والسكون وهما حادثان وما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث ولو تصور جوهر متحيز قديم لكان يعقل قدم جواهر العالم فان سماه مسم جوهرا ولم يرد به المتحيز كان مخطئا من حيث اللفظ لا من حيث المعنى

الأصل الخامس العلم بانه تعالى ليس بجسم مؤلف من جواهر اذ الجسم عبارة عن المؤلف من الجواهر واذا بطل كونه جوهرا مخصوصا بحيز بطل كونه جسما لان كل جسم مختص بحيز ومركب من جوهر فالجوهر يستحيل خلوه عن الافتراق والاجتماع والحركة والسكون والهيئة والمقدار وهذه سمات الحدوث ولو جاز ان يعتقد ان صانع العالم جسم لجاز ان تعتقد الالهية للشمس والقمر او لشيء آخر من اقسام الاجسام فان تجاسر متجاسر على تسميته تعالى جسما من غير ارادة التاليف من الجواهر كان ذلك غلطا في الاسم مع الاصابة في نفي معنى الجسم

الأصل السادس العلم بانه تعالى ليس بعرض قائم بجسم او حال في محل لان العرض ما يحل في الجسم وكل جسم فهو حادث ويكون محدثه موجودا قبله فكيف يكون حالا في الجسم وقد كان موجودا في الازل وحده وما معه غيره ثم احدث الاجسام والاعراض بعده ولانه عالم قادر مريد خالق كما سياتي بيانه وهذه الاوصاف تستحيل على الاعراض بل لا تعقل الا لموجود قائم بنفسه مستقل بذاته وقد تحصل من هذه الاصول انه موجود قائم بنفسه ليس بجوهر ولا جسم ولا عرض وان العالم كله جواهر واعراض واجسام فاذا لا يشبه شيئا ولا يشبهه شيء بل هو الحي القيوم الذي ليس كمثله شيء وانى يشبه المخلوق خالقه والمقدور مقدره والمصور مصوره والاجسام والاعراض كلها من خلقه وصنعه فاستحال القضاء عليها بمماثلته ومشابهته

الأصل السابع العلم بان الله سبحانه منزه الذات عن الاختصاص بالجهات فان الجهة اما فوق واما اسفل واما يمين واما شمال او قدام او خلف وهذه الجهات هو الذي خلقها واحدثها بواسطة خلق الانسان اذ خلق له طرفين احدهما يعتمد على الارض ويسمى

فحدث اسم الفوق لما يلي جهة الرأس واسم السفل لما يلي جهة الرجل حتى ان النملة التي تدب منكسة تحت السقف تنقلب جهة الفوق في حقها تحتا وان كان في حقنا فوقا وخلق للانسان اليدين واحداهما اقوى من الاخرى في الغالب فحدث اسم اليمين للاقوى واسم الشمال لما يقابله وتسمى الجهة التي تلي اليمين يمينا والاخرى شمالا وخلق له جانبين يبصر من احدهما ويتحرك اليه فحدث اسم القدام للجهة التي يتقدم اليها بالحركة واسم الخلف لما يقابلها فالجهات حادثة بحدوث الانسان ولو لم يخلق الانسان بهذه الخلقة بل خلق مستديرا كالكرة لم يكن لهذه الجهات وجود البتة فكيف كان في الازل مختصا بجهة والجهة حادثة او كيف صار مختصا بجهة بعد ان لم يكن له ابان خلق العالم فوقه ويتعالى عن ان يكون له فوق اذ تعالى ان يكون له رأس والفوق عبارة عما يكون جهة الرأس او خلق العالم تحته فتعالى عن ان يكون له تحت اذ تعالى عن ان يكون له رجل والتحت عبارة عما يلي جهة الرجل وكل ذلك مما يستحيل في العقل ولان المعقول من كونه مختصا بجهة انه مختص بحيز اختصاص الجواهر او مختص بالجواهر اختصاص العرض وقد ظهر استحالة كونه جوهرا او عرضا فاستحال كونه مختصا بالجهة وان اريد بالجهة غير هذين المعنيين كان غلطا في الاسم مع المساعدة على المعنى ولانه لو كان فوق العالم لكان محاذيا له وكل محاذ لجسم فاما ان يكون مثله او اصغر منه او اكبر وكل ذلك تقدير محوج بالضرورة الى مقدر ويتعالى عنه الخالق الواحد المدبر فاما رفع الايدي عند السؤال الى جهة السماء فهو لانها قبلة الدعاء وفيه ايضا اشارة الى ما هو وصف للمدعو من الجلال والكبرياء تنبيها بقصد جهة العلو على صفة المجد والعلاء فانه تعالى فوق كل موجود بالقهر والاستيلاء

الأصل الثامن

العلم بانه تعالى مستو على عرشه بالمعنى الذي اراده الله تعالى بالاستواء وهو الذي لا ينافي وصف الكبرياء ولا يتطرق اليه سمات الحدوث والفناء وهو الذي اريد بالاستواء الى السماء حيث قال في القرآن ثم استوى الى السماء وهي دخان وليس ذلك الا بطريق القهر والاستيلاء كما قال الشاعر

قد استوى بشر على العراق ❖ من غير سيف ودم مهراق

واضطر اهل الحق الى هذا التأويل كما اضطر اهل الباطل الى تأويل قوله تعالى وهو معكم اينما كنتم اذ حمل ذلك بالاتفاق على الاحاطة والعلم وحمل قوله صلى الله عليه وسلم قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن على القدرة والقهر وحمل قوله صلى الله عليه وسلم الحجر الاسود يمين الله في ارضه على التشريف والاكرام لانه لو ترك على ظاهره للزم منه المحال فكذا الاستواء لو ترك على الاستقرار والتمكن لزم منه كون المتمكن جسما مماسا للعرش اما مثله او اكبر منه او اصغر وذلك محال وما يؤدي الى المحال فهو محال

الأصل التاسع

العلم بانه تعالى مع كونه منزها عن الصورة والمقدار مقدسا عن الجهات والاقطار مرئي بالاعين والابصار في الدار الآخرة دار القرار لقوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ولا يرى في الدنيا تصديقا لقوله عز وجل لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار ولقوله تعالى في خطاب موسى عليه السلام لن تراني وليت شعري كيف عرف المعتزلي من صفة رب الارباب ما جهله موسى عليه السلام وكيف سأل موسى عليه السلام الرؤية مع كونها محالا ولعل الجهل بذوي البدع والاهواء من الجهلة والاغبياء اولى من الجهل بالانبياء صلوات الله عليهم وسلامه

واما وجه اجراء آية الرؤية على الظاهر فهو انه غير مؤد الى المحال فان الرؤية نوع كشف وعلم الا انه اتم واوضح من العلم واذا جاز تعلق العلم به وليس في جهة جاز تعلق الرؤية به وليس بجهة وكما يجوز ان يرى الله تعالى الخلق وليس في مقابلتهم جاز ان يراه الخلق من غير مقابلة وكما جاز ان يعلم من غير كيفية وصورة جاز ان يرى كذلك

الأصل العاشر

العلم بانه عز وجل واحد لا شريك له فرد لا ند له انفرد بالخلق والابداع واستبد بالايجاد والاختراع لا مثل له يساهمه ويساويه ولا ضد له فينازعه ويناويه وبرهانه قوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وبيانه انه لو كانا اثنين واراد احدهما امرا فالثاني ان كان مضطرا الى مساعدته كان هذا الثاني مقهورا عاجزا ولم يكن الها قادرا وان كان قادرا على مخالفته ومدافعته كان الثاني قويا قاهرا والاول ضعيفا قاصرا ولم يكن الها قادرا

الركن الثاني

الأصل الأول

العلم بان صانع العالم قادر وانه في قوله تعالى وهو على كل شيء قدير صادق لان العالم محكم في صنعته مترتب في خلقته ومن رأى ثوبا من ديباج حسن النسج والتأليف متناسب التطريز والتطريف ثم توهم صدور نسجه من ميت لا استطاعة له او من انسان لا قدرة له كان منخلعا عن غريزة العقل ومنخرطا في سلك اهل الغباوة والجهل

الأصل الثاني

العلم بانه تعالى عالم بجميع الموجودات ومحيط بكل المخلوقات لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الارض ولا في السماوات صادق في قوله تعالى وهو بكل شيء عليم ومرشد الى صدقه بقوله تعالى الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ارشدك الى الاستدلال بالخلق على العلم لانك لا تستريب في دلالة الخلق اللطيف والصنع المزين بالترتيب والتأليف ولو في الشيء الحقير الضعيف على علم الصانع بكيفية الترتيب والترصيف وما ذكره الله تعالى هو المنتهى في الهداية والتعريف

الأصل الثالث

العلم بكونه عز وجل حيا فان من ثبت علمه وقدرته ثبت بالضرورة حياته ولو تصور قادر وعالم فاعل مدبر دون ان يكون حيا لجاز ان يشك في حياة الحيوانات عند ترددها في الحركات والسكنات بل في حياة ارباب الحرف والصناعات وذلك انغماس في غمرة الجهالات

الأصل الرابع

العلم بكونه تعالى مريدا لافعاله فلا موجود الا وهو مستند الى مشيئته وصادر عن ارادته فهو المبدئ المعيد والفعال لما يريد وكيف لا يكون مريدا وكل فعل صدر منه امكن ان يصدر منه ضده وما لا ضد له امكن ان يصدر منه ذلك بعينه قبله او بعده والقدرة تناسب الضدين والوقتين مناسبة واحدة فلا بد من ارادة صارفة للقدرة الى احد المقدورين ولو اغنى العلم عن الارادة في تخصيص المعلوم حتى يقال انما وجد في الوقت الذي سبق العلم بوجوده لجاز ان يغني عن القدرة حتى يقال وجد بغير قدرة لانه سبق العلم بوجوده

الأصل الخامس

انه تعالى سميع بصير لا يعزب عن رؤيته هواجس الضمير وخفايا الوهم والتفكير ولا يشذ عن سمعه صوت دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء على الصخرة الصماء وكيف لا يكون سميعا بصيرا والسمع والبصر كمال لا محالة وليس بنقص فكيف يكون المخلوق اكمل من الخالق والمصنوع اسنى واتم من الصانع وكيف تعتدل القسمة مهما وقع النقص في جهته والكمال

في خلقه وصنعته أو كيف تستقيم حجة إبراهيم صلى الله عليه وسلم على أبيه إذ قال [illegible]

[illegible] ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا [illegible]

[illegible]

الأصل السادس

[illegible] الكلام [illegible] الأصوات [illegible]

[illegible]

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما ❖ جعل اللسان على الفؤاد دليلا

[illegible]

الأصل السابع

[illegible]

الأصل الثامن

[illegible]

الأصل التاسع

[illegible]

الأصل العاشر

[illegible]

الركن الثالث

الأصل الأول

[illegible]

الأصل الثاني

[illegible]

من جهة أخرى ... متصوّر ... يكون محصوصاً ...

... يكون خلقاً للعبد وهو ... من ...

... المقتضية ... عقلاً ...

... من ضرورة ... يكون ...

... كانت متعلقة ...

... مخصوصاً ...

الأصل الثالث ... كان كسباً للعبد ...

... والقيام والقعود ... والأكل والشرب ...

... والطاعة والعصيان ...

[illegible]

وبيان ...

[illegible]

فصل ... **قلنا** ...

[illegible]

والأصل الرابع ...

[illegible]

... إذ ... التكليف ... من وجوه ...

... مفهوم ... لمصلحة العباد ...

... مصلحة العباد ...

الأصل الخامس ...

... على الله سبحانه أن يكلف ... ما لا طاقة لنا به ...

... يتصرف ...

الأصل السادس ...

[illegible]

الأصل السابع ...

[illegible]

فصل ... **قلنا** ...

[illegible]

[illegible]

الأصل الثامن

[illegible] الطاعة [illegible] العقل [illegible] الشهوات [illegible] الطاعة والمعصية [illegible] الخالق والمخلوق [illegible]

فإن قيل

[illegible] الرسول

قلنا

[illegible]

الأصل التاسع

[illegible]

الأصل العاشر

[illegible]

الركن الرابع

الأصل الأول

[illegible]

الأصل الثاني

[illegible]

الأصل الثالث

[illegible]

الأصل الرابع

[illegible]

الأصل الخامس

[illegible] ومن بعض [illegible] جميع [illegible] ومن الشيع [illegible]

[illegible] في الجحيم [illegible] منقولون [illegible]

الأصل السادس

[illegible] السموات [illegible] للتغير [illegible] تعالى

[illegible] على الاخبار [illegible]

الأصل السابع

[illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] رضي الله عنهم [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم

[illegible] نصب [illegible] على الخيبر [illegible]

[illegible] الصحابة [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible]

[illegible] الاجماع [illegible] اعتقاد أهل السنة [illegible] جميع الصحابة

رضي الله عنهم [illegible] الله سبحانه وتعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم عليهم [illegible] معاوية

رضي الله عنهما [illegible] الاجتهاد [illegible] معاوية [illegible]

رضي الله عنهم [illegible] الامامة [illegible]

[illegible] معاوية [illegible] مع عظم [illegible]

[illegible] مصيب [illegible] المصيب [illegible] رضي الله عنه

الأصل الثامن

[illegible] الصحابة [illegible] الامامة [illegible] حقيقة [illegible]

[illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] الشافعي [illegible]

[illegible] الاحوال [illegible] التفصيل [illegible]

[illegible]

الأصل التاسع

[illegible] الامامة [illegible]

[illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible]

[illegible] الامام [illegible]

الأصل العاشر

[illegible]

[illegible] الامامة [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] الامامة عن الحاجة والضرورة فهذه [illegible]

من فوائد [illegible] أهل السنة [illegible]

[illegible] الرسالة القدسية [illegible]

الفصل الرابع

[illegible] الايمان والاسلام [illegible]

[illegible] **مقدمة** [illegible] الاسلام [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] بالعموم [illegible]

فصول

[illegible] مباحث [illegible]

[illegible] والثالث [illegible]

البحث الأول

[illegible] اللغة [illegible]

[illegible] والاسلام [illegible] التسليم [illegible]

[illegible] وأما التسليم [illegible] القلب [illegible]

[illegible] تصديق [illegible]

[illegible] الايمان [illegible]

البحث الثاني

[illegible] الاسلام [illegible] تسليم [illegible] تسليم [illegible]

[illegible]

أما [illegible]

[illegible] تعالى [illegible]

[illegible] **وأما** [illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible] الاسلام [illegible] صلى الله عليه وسلم

[illegible] **وأما** [illegible] تعالى [illegible]

[illegible] الايمان [illegible]

[illegible] الاسلام [illegible] **وفي** حديث [illegible] عليه السلام [illegible]

[illegible] بالله وملائكته وكتبه ورسله وبالبعث [illegible]

[illegible] الاسلام [illegible] بالاسلام [illegible]

[illegible] **وفي** حديث [illegible] عليه السلام [illegible]

[illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible]

[illegible] صلى الله عليه وسلم **و** [illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible]

[illegible] الاسلام [illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible]

وهو اوفق بمقتضى اللغة الايمان عمل من الاعمال وهو افضلها والاسلام هو تسليم اما بالقلب
واما باللسان واما بالجوارح وافضلها الذي بالقلب وهو التصديق الذي يسمى ايمانا والاستعمال لهما على
سبيل الاختلاف وعلى سبيل الترادف وعلى سبيل التداخل غير خارج عن سبيل التجوز في اللغة

واما الاختلاف فهو ان يجعل الايمان عبارة عن التصديق بالقلب فقط وهو موافق للغة
والاسلام عبارة عن التسليم ظاهرا وهو ايضا موافق للغة فان التسليم بعض ما ان التسليم ينطلق عليه

[illegible]

واما [illegible]

واما [illegible]

البحث الثالث [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

فإن قلت

[illegible]

فأقول

[illegible]

فإن قلت

[illegible]

قلنا

[illegible]

مسألة

[illegible]

فأقول

[illegible]

فإن قلت

[illegible]

فأقول

[illegible]

فنقول

[illegible]

في القلب ومن الايرك الا مراقب احوال الغيب في اوقات المواظبة على العبادة والعجز لها بعض انظر
مع اوقات الفتور وادرك التفاوت في السكون [illegible]

[illegible]

الاطلاق الثاني

[illegible]

الاطلاق الثالث

[illegible]

مسألة

[illegible]

فالجواب

[illegible]

الوجه الاول

[illegible]

الوجه الثاني

[illegible]

معنى الرغبة [illegible] معروفة [illegible] الى معنى الرغبة [illegible] الى معنى [illegible]

[illegible] **الوجه الثالث** [illegible] ومعناه انا مومن حقا ان شاء الله [illegible]

قال تعالى اقوام مخصوصين [illegible] مومنون حقا [illegible]

[illegible]

اما العمل فقال الله تعالى انما المومنون الذين امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله اولئك هم الصادقون [illegible] وقال تعالى لا تجد قوما يومنون بالله واليوم الاخر [illegible]

[illegible] **وقال** [illegible] **وقال** [illegible] **وقال** صلى الله عليه وسلم [illegible]

[illegible] **واما** [illegible]

[illegible] **وفي** حديث [illegible]

[illegible] **وقال** صلى الله عليه وسلم [illegible] **وقال** [illegible] **وقال** [illegible]

[illegible]

وقال [illegible] **وقال** صلى الله عليه وسلم [illegible] **وقال** [illegible]

وفسر [illegible] **وقال** [illegible] **وقال** [illegible] **وقال** [illegible]

[illegible] **وقال** رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] **وقال** صلى الله عليه وسلم [illegible]

[illegible] **فصل** [illegible]

[illegible] **وقال** [illegible] **وقال** [illegible]

[illegible] **الوجه الرابع** [illegible]

[illegible] **وقال** [illegible]

رضي الله عنه ... وقيل من الربوبية ... سوء الخاتمة نعوذ بالله الكريم منه، وقيل من عقوبة الذنوب سوء الولاية والكرامة بالأخرى، وقال بعضهم لو عرضت علي الشهادة عند باب الدار والموت على التوحيد عند باب الحجرة لاخترت الموت على التوحيد قبل الموت على الشهادة لأني لا أدري ما يعرض لقلبي من التغير عن التوحيد إلى باب الدار، وقال بعضهم لو عرفت واحدا على التوحيد خمسين سنة ثم حالت بيني وبينه سارية ومات لم أحكم أنه مات على التوحيد، وفي الحديث من قال أنا مؤمن فهو كافر ومن قال أنا عالم فهو جاهل، وقيل في قوله عز وجل وتمت كلمات ربك صدقا وعدلا صدقا لمن مات على الإسلام وعدلا لمن مات على الشرك، وقد قال تعالى ولله عاقبة الأمور، فمهما كان الشك بهذه المثابة كان الاستثناء واجبا لأن الإيمان عبارة عما يفيد الجنة كما أن الصوم عبارة عما يبرئ الذمة، وما فسد قبل الغروب لا يبرئ الذمة فيخرج عن كونه صوما فكذلك الإيمان، بل لا يبعد أن يسأل عن الصوم الماضي الذي لا يشك فيه بعد الفراغ منه فيقال أصمت بالأمس فيقول نعم إن شاء الله، إذ الصوم الحقيقي هو المقبول والمقبول غائب عنه لا يطلع عليه إلا الله، فمن هذا يحسن الاستثناء في جميع أعمال البر ويكون ذلك شكا في القبول إذ يمنع من القبول بعد جريان ظاهر شروط الصحة أسباب خفية لا يطلع عليها إلا رب الأرباب جل جلاله فيحسن الشك فيه، فهذه وجوه حسن الاستثناء في الجواب عن الإيمان، وهو آخر ما نختم به كتاب قواعد العقائد والله أعلم.

بسم الله الرحمن الرحيم — صلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليما

كتاب أسرار الطهارة

الحمد لله الذي تلطف بعباده فتعبدهم بالنظافة، وأفاض على قلوبهم تزكية لسرائرهم أنواره وألطافه، وأعد لظواهرهم تطهيرا لها الماء المخصوص بالرقة واللطافة، **والصلاة** على محمد المستغرق بنور الهدى أطراف العالم وأكنافه، وعلى آله الطيبين الطاهرين صلاة تنجينا بركاتها يوم المخافة، وتنتصب جنة بيننا وبين كل آفة. **أما بعد** فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم بني الدين على النظافة، وقال صلى الله عليه وسلم مفتاح الصلاة الطهور، وقال الله عز وجل فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين، وقال صلى الله عليه وسلم الطهور نصف الإيمان، وقال الله تعالى ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم، فتفطن ذوو البصائر بهذه الظواهر أن أهم الأمور تطهير السرائر، إذ يبعد أن يكون المراد بقوله صلى الله عليه وسلم الطهور نصف الإيمان عمارة الظاهر بالتنظيف بإفاضة الماء وإلقائه وتخريب الباطن وإبقائه مشحونا بالأخباث والأقذار، هيهات هيهات. **والطهارة** لها أربع مراتب: **الأولى** تطهير الظاهر عن الأحداث وعن الأخباث والفضلات. **الثانية** تطهير الجوارح عن الجرائم والآثام. **الثالثة** تطهير القلب عن الأخلاق المذمومة والرذائل الممقوتة. **الرابعة** تطهير السر عما سوى الله تعالى عز وجل، وهي طهارة الأنبياء والصديقين.

والطهارة في كل رتبة نصف العمل الذي فيها، فإن الغاية القصوى في عمل السر أن ينكشف له جلال الله عز وجل وعظمته، ولن تحل معرفته بالحقيقة في السر ما لم يرتحل ما سوى الله عنه، ولذلك قال الله عز وجل قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون، لأنهما لا يجتمعان في قلب، وما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه. **وأما** عمل القلب فالغاية القصوى عمارته بالأخلاق المحمودة والعقائد المشروعة، ولن يتصف بها ما لم ينظف عن نقائضها من العقائد الفاسدة والرذائل الممقوتة، فتطهيره أحد الشطرين وهو الشطر الأول الذي هو شرط في الثاني، فكان الطهور شطر الإيمان بهذا المعنى، وكذلك تطهير الجوارح عن المناهي أحد الشطرين وعمارتها بالطاعات الشطر الثاني، فهذه مقامات الإيمان ولكل مقام طبقة، ولن ينال العبد الطبقة العليا إلا أن يجاوز الطبقة السافلة، فلا يصل إلى طهارة السر عن الصفات المذمومة وعمارته بالمحمودة ما لم يفرغ من طهارة القلب عن الخلق المذموم وعمارته بالمحمود، ولن يصل إلى ذلك من لم يفرغ من طهارة الجوارح عن المناهي وعمارتها بالطاعات، وكلما عز المطلوب وشرف صعب مسلكه وطال طريقه وكثرت عقباته، فلا تظنن أن هذا الأمر يدرك بالمنى وينال بالهوينا، **نعم** من عميت بصيرته عن تفاوت هذه الطبقات لم يفهم من مراتب الطهارة إلا الدرجة الأخيرة التي هي كالقشر الأخير بالإضافة إلى اللب المطلوب، فصار يمعن فيه ويستقصي في مجاريه ويستوعب جميع أوقاته في الاستنجاء وغسل الثياب وتنظيف الظاهر وطلب المياه الجارية الكثيرة ظنا منه بحكم الوسوسة وخبال العقل أن الطهارة المطلوبة الشريفة هي هذه فقط، وجهالة بسيرة الأولين واستغراقهم جميع الهم والفكر في تطهير القلوب وتساهلهم في أمر الظاهر، **حتى إن عمر** رضي الله عنه مع علو منصبه توضأ بماء من جرة نصرانية، وحتى إنهم ما كانوا يغسلون اليد من الدسومات والأطعمة بل كانوا يمسحون أصابعهم بأخمص أقدامهم، وعدوا الأشنان من البدع المحدثة، ولقد كانوا يصلون على الأرض في المساجد ويمشون حفاة في الطرقات، ومن كان لا يجعل بينه وبين التراب حاجزا في مضجعه كان من أكابرهم، وكانوا يقتصرون على الحجارة في الاستنجاء. **وقال** أبو هريرة رضي الله عنه وغيره من أهل الصفة رضي الله عنهم كنا نأكل الشواء فتقام الصلاة فندخل أصابعنا في الحصباء ثم نفركها بالتراب ونكبر. **وقال** عمر رضي الله عنه ما كنا نعرف الأشنان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما كانت مناديلنا بطون أرجلنا، كنا إذا أكلنا الغمر مسحنا بها. **ويقال** أول ما ظهر من البدع بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع المناخل والأشنان والموائد والشبع، فكانت عنايتهم كلها بنظافة الباطن، حتى قال بعض الفضلاء الصلاة في النعلين أفضل، إذ رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزع نعليه في صلاته بإخبار جبريل عليه السلام أن عليهما نجاسة وخلع الناس نعالهم فقال صلى الله عليه وسلم لم خلعتم نعالكم قالوا رأيناك خلعت فخلعنا. **وقال** النخعي في الذين يخلعون نعالهم وددت لو أن محتاجا جاء إليها فأخذها، منكرا لخلع النعال. فهكذا كان تساهلهم في هذه الأمور، بل كانوا يمشون في طين الشوارع حفاة ويجلسون عليها ويصلون في المساجد على الأرض ويأكلون من دقيق البر والشعير وهو يداس بالدواب

ويبون عليه وانجر [illegible] او اختلاط مع [illegible] النجاسات [illegible]

والنجاسات [illegible] النوبة [illegible]

[illegible]

[illegible]

فإن قلت [illegible]

فأقول [illegible] محظورات او المنكرات

[illegible]

[illegible]

فتر فيه [illegible]

واعلم [illegible]

[illegible]

فنقول [illegible] ثلاثة اقسام [illegible] الخبث [illegible]

[illegible]

القسم الأول في طهارة الخبث [illegible]

الطرف الأول في [illegible] النجاسات **وأعيانها** ثلاثة جمادات وحيوانات

واجزاء حيوانات **أما** الجمادات فطاهرة كلها الا الخمر [illegible] والحيوانات كلها طاهرة

الا الكلب والخنزير [illegible]

[illegible]

الا ما يقع نادرا من خارج وهي في ملخصه من التنحاسة و لا يكون في معنى البئر التي اغفلوا الاحتراز عنها

في اموانيد ومشابهة اشياع في حفظ النجاسات احتراما لعل المطاهر الطهارات على التصاعد وما لا يشرع فيه

وسوسة لا احوال الحرف الثاني في الفرق بين البدو مواضع احيامهم او مواضع اقطا عاجامهم

نحن لا يشخباء وموسهم تطهير تخفيف ثم قد لا يكون طياطا من امتناع ثم نحن واما

الما يعات فلان النجاسة فيها منتشرة بالمستثناء ولا كذا بالماء الطاهر ان فيها عن تغيير المجاورة

ما ينتقض عنه وخرج الماء عن الطهارة ان يتغير بملاقاة النجاسة لونه او ريحه او طعمه فان لم يتغير

ولا في بئار ماله ويغتسل منه ومو ماء طاهر بل والنهر او ما يجري خلوله على الله عليه وسلم اذا بلغ

الماء قلتين لم يحمل خبثا وان كان دون ذلك نجسا عند الشافعي رضي الله عنه ومن ابع الماء الراكد اما الجارية

ذا النجس بالنجاسة فالجرية المتغيرة نجسة دون ما فوقها وما تحتها لان جريات الماء منفاصلة وكذا النجاسة

الجارية اذا جرت مجرى الماء فالمحل موقعها من الماء وما عن يمينها وشمالها اذا نقص عن قلتين وان كانت جرية

الماء اقوى من جري النجاسة فما فوق النجاسة طاهر وما سفل عنها متنجس وان تباعد وكثر الا اذا اجتمع في

موضع قدر قلتين فاذا اجتمع قلتان من ماء نجس طهر ولا يعود نجسا بالتفريق هذا مذهب الشافعي

وليس او من مذهبه في كثير مالك رضي الله عنه في الماء وان قل لا ينجس الا بالتغير اذ الحاجة ماسة

اليه وفيها الوسواس باشتراط القلتين ولاجله شق على الناس ذلك وهو لعمري سبب المشقة ويعرفه من جربه

ويتامله ومما لا شك فيه ان ذلك لو كان مشروطا لكان اولى المواضع بتعسر الطهارة مكة والمدينة

اذ لا تكثر فيهما المياه الجارية ولا الراكدة الكثيرة ومن اول عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اخر عصر

الصحابة رضي الله عنهم لم تنقل واقعة في الطهارة ولا سؤال عن كيفية حفظ الماء عن النجاسات وكانت

اواني مياههم يتعاطاها الصبيان والاماء الذين لا يحترزون عن النجاسات وتوضأ عمر رضي الله عنه من ماء

في جرة نصرانية كالصريح في انه لم يعول الا على عدم تغير الماء والا فنجاسة النصرانية وانائها غالبة

تعلم بظن قريب فاذا عسر القيام بهذا المذهب وعدم وقوع السؤال في تلك الاعصار دليل اول وفعل

عمر رضي الله عنه دليل ثان والدليل الثالث اصغاء رسول الله صلى الله عليه وسلم الاناء للهرة وعدم

تغطيتها الاواني منها بعد ان يرى انها تاكل الفار ولم تكن في بلادهم مياه تلغ السنانير فيها وكانت

لا تنزل الابار والرابع ان الشافعي رضي الله عنه نص على ان غسالة النجاسة طاهرة اذا لم تتغير ونجسة

اذا تغيرت واي فرق بين ان يلاقي الماء النجاسة بالورود عليها او بورودها عليه وان معنى قول

القائل ان قوة الورود تدفع النجاسة مع ان الورود لم يمنع مخالطة النجاسة اذا تورد عليه الماء

وان احيل ذلك على الحاجة فالحاجة ايضا ماسة الى هذا فلا فرق بين طرح الماء في اجانة فيها ثوب نجس

او طرح الثوب النجس في الاجانة وفيها ماء وكل ذلك معتاد في غسل الثياب والاواني الخامس

انهم كانوا يستنجون على اطراف المياه الجارية القليلة ولا خلاف في مذهب الشافعي رحمه الله

انه اذا وقع بول في ماء جار ولم يتغير انه يجوز الوضوء به وان كان قليلا واي فرق بين الجاري والراكد

وليس شعري ان الحوالة على عدم التغير اولى او على قوة الماء في الجري اي ما معنى تلك القوة وحكم الحيا ض

الجارية في الحمامات اذا لم تجر فيها المياه والاجر فما الفرق بين ما يقع فيه وبين ما يقع

في جرية الماء من ان يطرح فيها الطاهر والنجس وهو انما يعتبر فيها تغير البول مثلا الا ان القليل مما يتحد فيه

لا سيما اذا قضي بان ما يجري عليها وان لم يتغير غير الجريه في مشرعه فليكن ما بين البولين في الحياض والابار

والغدران والاحواض والانتقال الى شيء من الحول المحدود لا سيما اذا وقع طرحي البول في قلتين في مثل

ذلك يعني من مثله ومعلوم ان البول منتشر فيه وهو قليل ولبيت شعري تعليل الطهارة عند عدم

التغير اولى ام عدم كثرة الماء عند انقطاع الكثرة ونو ما سامع هذا ربما في الغسالة فيها

الطعام الجماعات لم تزل عصار الغسالة يتوضؤ فيها المتقشفون ويغمسون الايدي والاواني

في تلك الحياض مع قلة الماء ومع العلم بان الايدي النجسة والطاهرة كانت تتوارد عليها فهذا ان

لا مع الحاجة الشديدة تقوي في النفس انهم كانوا ينظرون الى عدم التغير معولين على قوله صلى الله

عليه وسلم خلق الله الماء طهورا لا ينجسه شيء الا ما غير طعمه او ريحه او لونه وهذا فيه تحقيق وهو

ان كل مائع تغلب النجاسة فيه ان كل ما يقع فيه وكل مغلوب صفته مثل الخل بماء والخمر مستحيل

طبعا ومن يحل الخمر الى صيرورتها خلا وكذلك صبغة الكلب عند ارتفاع الماء والدم يقع فيه

وهو قليل فيستحيل صفته ويتصور بصفة الماء ويتسم بطبعه الا اذا كثر وغلب وتعرف غلبته

بغلبة طعمه او لونه او ريحه فهذا النقد ومراة الشرع انه في الماء القوي على ازالة النجاسة

ولا يعول عليه ولا ينجس مع الحرج ويشهد بمعنى كونه طهورا اذ يغلب فيه صحبهم لما طاب

الزوي فيطاهر القليل وفي الغسالة وفي الماء الجاري وفي اصغاء الاناء للهرة وانكار التغير عمر

دالا على انه لا اثر له الا في الاشياء ودم الاتراب حتى يصير الماء الحال في انه فيها ولا يحتج بالغسالة

ويجوز في السنوير الماء القليل واما قوله عليه السلام لا يحمل خبثا فهو في نفسه مبهم فانه يحمل

اذا تغير فان قيل اراد به اذا لم يتغير فيمكن ان يقال انما اراد به انه يغلب لا يتغير بالنجاسات المعتادة

ثم هو يتشبث بالمفهوم فيما اذا لم يبلغ قلتين وترك المفهوم باقل من ما يدل عليه ذلك قاما ملزوقوله

عليه السلام لا يحمل خبثا ظاهر في نفي الحمل اي يقلبه الى صفة نفسه كما يقال المملحة لا تحمل كلبا ولا غيره

بل يقلبه وذلك لان الناس قد يستنجون في المياه القليلة والغدران ويغمسون الاواني النجسة

فيها ويترددون في انها تغيرت تغيرا مؤثرا ام لا فبين انه اذا كان قلتين لا يتغير بهذه النجاسات المعتادة

فلت فمعرفة خبثا وفيما اذا ثبت حمله من يقبل عليه وانما فيما اذا ثبت حمله اشبه

علما انا حملته حيا فلا بد من التخصيص بالنجاسات المعتادة على الامر جميعا وفي الجملة فينبغي

في امر النجاسات الى المساهلة فيما لم يتيسر الا بوسوسة سيما فيما ادى الى الوضوء وزرواب في نفي

بالطهارة فيما وقع الخلاف فيه ممن قال الحرف الثالث في حكمة طهارة

والنجاسة ان ذلك تحت حكمه و التعليم لهم مقصور فيهم في الماء على جميع موارد ما

القسم الثاني

آداب قضاء الحاجة

[illegible]

كيفية الاستنجاء

[illegible]

كيفية الوضوء

[illegible]

من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون ثم يغسل يديه ثلاثا قبل أن يدخلهما الإناء ويقول اللهم إني أسألك اليمن والبركة وأعوذ بك من الشؤم والهلكة ثم ينوي رفع الحدث أو استباحة الصلاة ويستديم النية إلى غسل الوجه فإن نسيها عند الوجه لم يجزه ثم يأخذ غرفة لفيه فيتمضمض بها ثلاثا ويغرغر بأن يرد الماء إلى الغلصمة إلا أن يكون صائما فيرفق ويقول اللهم أعني على تلاوة كتابك وكثرة الذكر لك ثم يأخذ غرفة لأنفه ويستنشق ثلاثا ويصعد الماء بالنفس إلى خياشيمه ويستنثر ما فيها ويقول في الاستنشاق اللهم أوجد لي رائحة الجنة وأنت عني راض وفي الاستنثار اللهم إني أعوذ بك من روائح النار ومن سوء الدار ثم يغرف غرفة لوجهه فيغسل من مبتدأ سطح الجبهة إلى منتهى ما يقبل من الذقن في الطول ومن الأذن إلى الأذن في العرض ولا يدخل في حد الوجه النزعتان وهما ما على طرفي الجبينين فهما من الرأس ويوصل الماء إلى موضع التحذيف وهو ما يعتاد النساء تنحية الشعر عنه وهو القدر الذي يقع في جانب الوجه مهما وضع طرف الخيط على رأس الأذن والطرف الثاني على زاوية الجبين ويوصل الماء إلى منابت الشعور الأربعة الحاجبين والشاربين والأهداب والعذارين لأنها خفيفة في الغالب والعذاران هما ما يوازيان الأذنين من مبتدأ اللحية ويجب إيصال الماء إلى منابت اللحية الخفيفة أعني ما يقبل من الوجه وأما الكثيفة فلا وحكم العنفقة حكم اللحية في الكثافة والخفة ثم يفعل ذلك ثلاثا ويفيض الماء على ظاهر ما استرسل من اللحية ويدخل الأصابع في محاجر العينين وموضع الرمص ومجتمع الكحل وينقيهما فقد روي أنه صلى الله عليه وسلم فعل ذلك ويرجو عند ذلك خروج الخطايا من عينيه وكذلك في كل عضو ويقول عنده اللهم بيض وجهي بنورك يوم تبيض وجوه أوليائك ولا تسود وجهي بظلماتك يوم تسود وجوه أعدائك ويخلل اللحية الكثة عند غسل الوجه فإنه مستحب ثم يغسل يديه إلى مرفقيه ثلاثا ويحرك الخاتم ويطيل الغرة ويرفع الماء إلى أعلى العضد فإنهم يحشرون يوم القيامة غرا محجلين من آثار الوضوء كذلك ورد الخبر قال صلى الله عليه وسلم من استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل وروي أن الحلية تبلغ مواضع الوضوء ويبدأ باليمنى ويقول اللهم أعطني كتابي بيميني وحاسبني حسابا يسيرا ويقول عند غسل الشمال اللهم إني أعوذ بك أن تعطيني كتابي بشمالي أو من وراء ظهري ثم يستوعب رأسه بالمسح بأن يبل يديه ويلصق رؤوس أصابع اليمنى باليسرى ويضعهما على مقدمة الرأس ويمدهما إلى القفا ثم يردهما إلى المقدمة وهذه مسحة يفعل ذلك ثلاثا ويقول اللهم غشني برحمتك وأنزل علي من بركاتك وأظلني تحت ظل عرشك يوم لا ظل إلا ظلك ثم يمسح أذنيه ظاهرهما وباطنهما بماء جديد بأن يدخل مسبحتيه في صماخي أذنيه ويدير إبهاميه على ظاهر أذنيه ثم يضع الكف على الأذنين استظهارا ويكرره ثلاثا ويقول اللهم اجعلني من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه اللهم أسمعني منادي الجنة مع الأبرار ثم يمسح رقبته لقوله صلى الله عليه وسلم مسح الرقبة أمان من الغل يوم القيامة ويقول اللهم فك رقبتي من النار وأعوذ بك من السلاسل والأغلال ثم يغسل رجله اليمنى ثلاثا ويخلل باليسرى أصابع الرجل اليمنى من أسفل

ويبدأ بالخنصر من الرجل اليمنى ويختم بالخنصر من اليسرى ويقول اللهم ثبت قدمي على الصراط يوم تزل الأقدام في النار ويقول عند غسل اليسرى أعوذ بك أن تزل قدمي على الصراط يوم تزل أقدام المنافقين ويرفع الماء إلى أنصاف الساقين فإذا فرغ رفع رأسه إلى السماء وقال أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت عملت سوءا وظلمت نفسي أستغفرك اللهم وأتوب إليك فاغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الرحيم اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين واجعلني من عبادك الصالحين واجعلني عبدا صبورا شكورا واجعلني أذكرك كثيرا وأسبحك بكرة وأصيلا يقال إن من قال هذا بعد الوضوء ختم على وضوئه بخاتم ورفع له تحت العرش فلم يزل يسبح الله ويقدسه ويكتب له ثواب ذلك إلى يوم القيامة ويكره في الوضوء أمور منها أن يزيد على الثلاث وأن يسرف في الماء توضأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا وقال من زاد فقد ظلم وأساء وقال صلى الله عليه وسلم سيكون قوم من هذه الأمة يعتدون في الدعاء والطهور ويقال من وهن علم الرجل ولوعه بالماء في الطهور وقال إبراهيم بن أدهم أول ما يبتدئ الوسواس من قبل الطهور وقال الحسن إن شيطانا يضحك بالناس في الوضوء يقال له الولهان ويكره أن ينفض اليد فيرش الماء وأن يتكلم في أثناء الوضوء وأن يلطم وجهه بالماء لطما وكره قوم التنشيف وقالوا ماء الوضوء يوزن قاله سعيد بن المسيب والزهري لكن روى معاذ أن النبي صلى الله عليه وسلم مسح وجهه بطرف ثوبه وروت عائشة رضي الله عنها أنه صلى الله عليه وسلم كانت له منشفة ولكن طعن في هذه الرواية عن عائشة رضي الله عنها ويكره أن يتوضأ من إناء صفر وأن يتوضأ بالماء المشمس وذلك من جهة الطب وقد روي عن ابن عمر وأبي هريرة رضي الله عنهما كراهية إناء الصفر وقال بعضهم أخرجت لشعبة ماء في إناء صفر فأبى أن يتوضأ منه ونقل كراهية ذلك عن ابن عمر ومهما فرغ من وضوئه وأقبل على الصلاة فينبغي أن يخطر بباله أنه طهر ظاهره وهو موضع نظر الخلق فينبغي أن يستحيي من مناجاة الله سبحانه من غير تطهير قلبه وهو موضع نظر الرب سبحانه وليتحقق أن طهارة القلب بالتوبة والخلو عن الأخلاق المذمومة والتخلق بالأخلاق الحميدة أولى وأن من يقتصر على طهارة الظاهر كمن أراد أن يدعو ملكا إلى بيته فتركه مشحونا بالقاذورات واشتغل بتجصيص ظاهر باب الدار من البيت وما أجدر مثل هذا الرجل بالتعرض للبوار

فضيلة الوضوء

قال صلى الله عليه وسلم من توضأ فأسبغ الوضوء وصلى ركعتين لم يحدث نفسه فيهما بشيء من الدنيا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه وفي لفظ آخر ولم يسه فيهما غفر له ما تقدم من ذنبه وقال صلى الله عليه وسلم ألا أنبئكم بما يكفر الله به الخطايا ويرفع به الدرجات إسباغ الوضوء على المكاره ونقل الأقدام إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط ثلاثا وتوضأ رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة مرة وقال هذا وضوء لا يقبل الله الصلاة إلا به وتوضأ مرتين مرتين وقال من توضأ مرتين مرتين آتاه الله أجره مرتين وتوضأ ثلاثا ثلاثا وقال هذا وضوئي ووضوء الأنبياء من قبلي ووضوء خليل الرحمن إبراهيم وقال صلى الله عليه وسلم من ذكر الله عند وضوئه طهر الله جسده كله

ومن نسي ذكر الله تعالى [illegible] وقال صلى الله عليه وسلم من توضأ على طهر كتب الله له [illegible]
عشر حسنات وقال صلى الله عليه وسلم الوضوء على الوضوء نور على نور [illegible]
الوضوء وقال صلى الله عليه وسلم إذا توضأ العبد المسلم [illegible] خرجت الخطايا [illegible]

[illegible]

كيفية الغسل

[illegible]

فصل

[illegible]

كيفية التيمم

[illegible]

[illegible]

القسم الثالث

النوع الأول

[illegible]

ان وطاب من المقصود فالتزين على منزل الفضل محبوب وترك الشعث في اللحية اهنا ان الزهد وقلة النشاط لا
بالتصبر محذور وترك تشعثا باموالهم عند محبوب وذوي اموال باهمة بين العبد وبين الله تعالى والنافر بقصد
والتلبيس عن راى عليه عار وكم من جاهل يتعاطى من الامور النقائص الى التخلو وهو يلبس على نفسه وعلى
غيره وقد زعم ان فضل الغني [illegible] جماعة من العلماء يلبسون الثياب الفاخرة ومن [illegible] فضلهم ان عام البشر
والجاهر [illegible] وقيل به [illegible] ام ينكشف يوم تبلى السرائر [illegible] ملا المنبر
وحصل ما في الصدور [illegible] الخالصة من الهرج فهو [illegible] من الخزي يوم العرض
لا الى [illegible] ومخالطة [illegible] لا انما كانت [illegible] عندنا ذلك [illegible]
[illegible] الطعام مجتمع [illegible] الفضول وقد [illegible] صلى الله عليه وسلم بعث الله [illegible]
[illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible] ومن [illegible] لا انما [illegible]
[illegible] من الخرا [illegible] وقت مجتمع فيها اوضاح [illegible] لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال
لا الغبار [illegible] وقلوا [illegible] بعيرونا الصلاة صلى الله عليه وسلم [illegible]
وجاء [illegible] ان النبي صلى الله عليه وسلم [illegible] عليه [illegible] عليهم السلام وقال [illegible]
[illegible] وانتم لا تفعلون [illegible] ولا تنفعون [illegible] ان [illegible]
[illegible] وقوله [illegible] ولا تقل [illegible] الا تعتبه [illegible]
الوجه وقيل لا [illegible] الى ان يجتمع على جميع [illegible]
وعلى [illegible] وذلك [illegible] الحمام ولا امر بدخول الحمام [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible]
وقال بعضهم ان [illegible] بيت الحمام [illegible] ويذكر النار [illegible]
[illegible] **وقال** بعضهم [illegible] بيت الحمام [illegible] العورة [illegible]
[illegible] عن [illegible] ولا [illegible] داخل الحمام [illegible]
والواجبات [illegible] عورته [illegible] العين [illegible]
يتعاطى [illegible] ومن [illegible]
[illegible] الخصوص [illegible]
وكذلك ينبغي ان يكون [illegible] العورة والواجبات [illegible] نفسه [illegible]
[illegible] المنكر واجب وعليه ذكر [illegible] ولا [illegible]
لا [illegible] عليه [illegible]
[illegible] الا [illegible]
[illegible] الاجتماع [illegible] عن التعيين [illegible]
وتعليم [illegible] عنه [illegible] دخول الحمام في هذه الاوقات [illegible]
[illegible] العامة ان [illegible] عورة [illegible]

بالعورة ومقلته [illegible] وهو انجب [illegible] الحمام **وقال** ابن [illegible] الحارث [illegible]
[illegible] الحمام **وقد** [illegible] الحمام [illegible] ومرض [illegible]
وقال بعضهم لا باس بدخول الحمام ولكن [illegible] العورة [illegible]
و[illegible] ولا [illegible] الدنيا ولا [illegible]
[illegible] الصلاة [illegible] الحمام [illegible] الدخول [illegible]
[illegible] وقع [illegible]
من الدخول ويقول بسم الله الرحمن الرحيم اعوذ بالله من الرجس النجس الخبيث المخبث الشيطان الرجيم
[illegible] الحمام [illegible] العورات
[illegible] العورات [illegible] الناس [illegible]
من [illegible] العورات [illegible] العورة [illegible]
[illegible] الدخول ولا [illegible] بدخول [illegible]
[illegible] الحمامي [illegible]
[illegible] الحمام [illegible]
[illegible] والكلام [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] الدنيا [illegible]
[illegible] الدخول [illegible]
[illegible]
[illegible] الحمام [illegible]
[illegible] دخول الحمام [illegible]
[illegible]
[illegible] الحمام [illegible]

[illegible] رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible]

[illegible] فقلت ما هذا يا رسول الله [illegible]

[illegible] وقال [illegible]

[illegible] واما [illegible]

[illegible] وقال [illegible]

[illegible] وأمّا [illegible] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible]

[illegible] الحمام [illegible]

النوع الثاني [illegible] **الأول** [illegible]

[illegible]

الثاني [illegible] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible]

[illegible]

[illegible] وقال [illegible]

[illegible]

الثالث [illegible]

[illegible]

الرابع [illegible]

الخامس [illegible]

[illegible]

[illegible] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible]

[illegible]

[illegible]

فصل

[illegible]

الثامن

[illegible]

فصل

[illegible]

[illegible]

كتاب أسرار الصلاة ومهماتها

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد ... وعلى آله وسلم تسليما

الحمد لله الذي غمر العباد بلطائفه وعمر قلوبهم بأنوار الدين ووظائفه الذي تنزل من عرش الجلال إلى السماء الدنيا من درجات الرحمة إحدى عواطفه وفارق الملوك مع التفرد بالجلال والكبرياء بترغيب الخلق في السؤال والدعاء فقال هل من داع فأستجيب له وهل من مستغفر فأغفر له وباين السلاطين بفتح الباب ورفع الحجاب فرخص للعباد في مناجاته بالصلوات كيفما تقلبت بهم الحالات في الجماعات والخلوات ولم يقتصر على الرخصة بل تلطف بالترغيب والدعوة وغيره من ضعفاء الملوك لا يسمح بالخلوة إلا بعد تقديم الهدية والرشوة فسبحانه ما أعظم شأنه وأقوى سلطانه وأتم لطفه وأعم إحسانه **والصلاة** على محمد نبيه المصطفى ورسوله المجتبى وعلى آله وصحبه مفاتيح الهدى ومصابيح الدجى وسلم تسليما **أما بعد** فإن الصلاة عماد الدين وعصام اليقين ورأس القربات وغرة الطاعات وقد استقصينا في فن الفقه في البسيط والوسيط والوجيز أصولها وفروعها صارفين جماهير العناية إلى تفاريعها النادرة ووقائعها الشاذة لتكون للمفتي ذخيرة ومنها يستمد ومعولا إليه يرجع ونحن الآن في هذا الكتاب نقتصر على ما لا بد للمريد منه من أعمالها الظاهرة وأسرارها الباطنة وكاشفون من دقائق معانيها الخفية في معاني الخشوع والإخلاص والنية ما لم تجر العادة بذكره في فن الفقه ومرتبون الكتاب على سبعة أبواب الباب الأول في فضائل الصلوات الباب الثاني في تفصيل الأعمال الظاهرة من الصلاة الباب الثالث في تفصيل الأعمال الباطنة منها الباب الرابع في الإمامة والقدوة الباب الخامس في صلاة الجمعة وآدابها الباب السادس في مسائل متفرقة تعم بها البلوى الباب السابع في التطوعات

الباب الأول في فضائل الصلوات والسجود والجماعة والأذان وغيرها

فضيلة الأذان

قال صلى الله عليه وسلم ثلاثة يوم القيامة على كثيب من مسك أسود لا يهولهم حساب ولا ينالهم فزع حتى يفرغ مما بين الناس [illegible]

من صلى بارض فلاة [illegible] وإقام الصلاة [illegible] أمثال الجبال [illegible]

فضيلة المكتوبة

قال الله تعالى إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا وقال صلى الله عليه وسلم خمس صلوات كتبهن الله عز وجل على العباد من جاء بهن لم يضيع منهن شيئا استخفافا بحقهن كان له عند الله عهد أن يدخله الجنة ومن لم يأت بهن فليس له عند الله عهد إن شاء عذبه وإن شاء أدخله الجنة وقال صلى الله عليه وسلم مثل الصلوات الخمس كمثل نهر عذب غمر بباب أحدكم يقتحم فيه كل يوم خمس مرات فما ترون ذلك يبقي من درنه قالوا لا شيء قال صلى الله عليه وسلم فإن الصلوات الخمس تذهب الذنوب كما يذهب الماء الدرن وقال صلى الله عليه وسلم الصلوات كفارات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر وقال [illegible] وقال صلى الله عليه وسلم [illegible] وقال صلى الله عليه وسلم الصلاة عماد الدين [illegible]

[illegible]

فضيلة إتمام الأركان

[illegible]

فضيلة الجماعة

فقال صلى الله عليه وسلم صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة [illegible]

[illegible]

فضيلة الخشوع

قال صلى الله عليه وسلم [illegible]

[illegible] ... وقال رجل [illegible] الرسول صلى الله عليه وسلم ادع الله سبحانه [illegible]

[illegible] فقال صلى الله عليه وسلم [illegible] السجود [illegible]

[illegible] السجود [illegible] الخشوع [illegible]

[illegible] وقال [illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible] السجود [illegible]

[illegible] وقال [illegible] سعيد بن جبير [illegible] الركوع والسجود [illegible]

فضيلة الخشوع

قال الله تعالى قد افلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون وقال تعالى واقم الصلاة لذكري [illegible] ولا تكن من الغافلين وقال [illegible] لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون [illegible]

[illegible] الدنيا [illegible] حتى تعلموا ما تقولون [illegible] وقال [illegible]

صلى الله عليه وسلم [illegible] وقال [illegible] صلى الله عليه وسلم انما الصلاة تمسكن وتواضع وتضرع [illegible] فتقول اللهم اللهم [illegible]

[illegible] وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] الصلاة [illegible]

[illegible] وقال صلى الله عليه وسلم [illegible] واذا صليت صلاة فصل صلاة مودع [illegible]

[illegible] وقال صلى الله عليه وسلم [illegible]

[illegible] وقال [illegible]

[illegible]

[illegible] قال النبي صلى الله عليه وسلم [illegible] وقال صلى الله عليه وسلم [illegible]

[illegible] وقال [illegible] سعيد [illegible] وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible]

[illegible] وقال [illegible] الصلاة [illegible]

[illegible]

فضيلة السجود وموضع الصلاة

قال الله عز وجل [illegible] وقال النبي صلى الله عليه وسلم [illegible]

[illegible] الجنة وقال صلى الله عليه وسلم [illegible]

[illegible] وقال صلى الله عليه وسلم [illegible] السجود [illegible]

[illegible]

الباب الثاني في كيفية الأعمال الظاهرة من الصلاة والبداية بالتكبير وما قبله

ينبغي [illegible]

[illegible]

الركوع ولواحقه

ثم يقوم ... [illegible] ... الركوع ... [illegible]

... موجهة الى القبلة على طول الساق ... [illegible]

[illegible]

السجود

[illegible]

التشهد

[illegible]

ويضع ... [illegible] ... الى جهة القبلة ... [illegible]

[illegible]

المنهيات

... نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ... [illegible]

فأما الاقعاء ... [illegible]

وأما ... [illegible]

وأما الكفت ... [illegible]

وأما الاختصار ... [illegible]

وأما ... [illegible]

تمييز الفرائض والسنن [illegible]

[illegible] واجب [illegible] والقيام [illegible] والركوع [illegible] والسجود [illegible] والاعتدال [illegible] والجلوس للتشهد الاخير [illegible] والسلام الاول [illegible]

واما السنن [illegible]

[illegible] والتشهد الاول [illegible]

واما [illegible]

[illegible]

فان قلت [illegible]

واعلم ان [illegible]

[illegible]

الباب الثالث في الشروط الباطنة من اعمال القلب

[illegible] الخشوع وحضور القلب [illegible] الباطنة [illegible]

بيان اشتراط الخشوع وحضور القلب

[illegible]

بيان المعاني الباطنة التي بها تتم حياة الصلاة

اعلم أن هذه المعاني تكثر العبارات عنها ولكن يجمعها ست جمل وهي حضور القلب والتفهم والتعظيم والهيبة والرجاء والحياء فلنذكر تفاصيلها ثم أسبابها ثم العلاج في اكتسابها أما التفاصيل فالأول حضور القلب [illegible]

وأما التفهم [illegible]

وأما التعظيم [illegible]

وأما الهيبة [illegible]

وأما الرجاء [illegible]

وأما الحياء [illegible]

واعلم أن حضور القلب [illegible]

[illegible]

وأما [illegible]

وأما [illegible]

وأما [illegible]

وأما [illegible]

وأما [illegible]

وأما [illegible]

فمنزلة [illegible]

... القلب ... ولذلك قالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدثنا ونحدثه فإذا حضرت الصلاة فكأنه لم يعرفنا ولم نعرفه. وقد روي أن الله تعالى أوحى إلى موسى عليه السلام يا موسى إذا ذكرتني فاذكرني وأنت تنتفض أعضاؤك وكن عند ذكري خاشعا مطمئنا وإذا ذكرتني فاجعل لسانك من وراء قلبك وإذا قمت بين يدي فقم قيام العبد الذليل وناجني بقلب وجل ولسان صادق. وروي أن الله تعالى أوحى إليه قل لعصاة أمتك لا يذكروني فإني آليت على نفسي أن من ذكرني ذكرته فإذا ذكروني ذكرتهم باللعنة. هذا في عاص غير غافل في ذكره فكيف إذا اجتمعت الغفلة والعصيان. وباختلاف المعاني التي ذكرناها انقسم الناس إلى غافل يتمم صلاته ولم يحضر قلبه في لحظة منها وإلى من يتمم ولم يغب قلبه في لحظة بل ربما كان مستوعب الهم بها بحيث لا يحس بما يجري بين يديه ولذلك لم يحس مسلم بن يسار بسقوط الأسطوانة في المسجد اجتمع الناس عليها وبعضهم كان يحضر الجماعة مدة ولم يعرف قط من على يمينه ويساره ووجيب قلب إبراهيم صلوات الله عليه كان يسمع على ميلين وجماعة كانت تصفر وجوههم وترتعد فرائصهم وكل ذلك غير مستبعد فإن أضعافه مشاهد في همم أهل الدنيا وخوف ملوك الدنيا مع عجزهم وضعفهم وخساسة الحظوظ الحاصلة منهم حتى يدخل الواحد على ملك أو وزير ويحدثه بمهمته ثم يخرج ولو سئل عما حواليه أو عن ثوب الملك لكان لا يقدر على الإخبار عنه لاشتغال همه به عن ثوبه وعن الحاضرين حوله ولكل درجات مما عملوا فحظ كل واحد من صلاته بقدر خوفه وخشوعه وتعظيمه فإن موقع نظر الله سبحانه القلوب دون ظاهر الحركات ولذلك قال بعض الصحابة رضي الله عنهم يحشر الناس يوم القيامة على مثال هيئتهم في الصلاة من الطمأنينة والهدوء ومن وجود النعيم بها واللذة ولقد صدق فإنه يحشر كل على ما مات عليه ويموت على ما عاش عليه ويراعى في ذلك حال قلبه لا حال شخصه فمن صفات القلوب تصاغ الصور في الدار الآخرة ولا ينجو إلا من أتى الله بقلب سليم

بيان الدواء النافع في حضور القلب

اعلم أن المؤمن لا بد أن يكون معظما لله عز وجل وخائفا منه وراجيا له ومستحييا من تقصيره فلا ينفك عن هذه الأحوال بعد إيمانه وإن كانت قوتها بقدر قوة يقينه فانفكاكه عنها في الصلاة لا سبب له إلا تفرق الفكر وتقسيم الخاطر وغيبة القلب عن المناجاة والغفلة عن الصلاة ولا يلهي عن الصلاة إلا الخواطر الواردة الشاغلة فالدواء في إحضار القلب هو دفع تلك الخواطر ولا يدفع الشيء إلا بدفع سببه فلتعلم سببه وسبب موارد الخواطر إما أن يكون أمرا خارجا أو أمرا في ذاته باطنا أما الخارج فما يقرع السمع أو يظهر للبصر فإن ذلك قد يختطف الهم حتى يتبعه ويتصرف فيه ثم تنجر منه الفكرة إلى غيره ويتسلسل ويكون الإبصار سببا للافتكار ثم يصير بعض تلك الأفكار سببا للبعض ومن قويت نيته وعلت همته لم يلهه ما جرى على حواسه ولكن الضعيف لا بد وأن يتفرق به فكره وعلاجه قطع هذه الأسباب بأن يغض بصره أو يصلي في بيت مظلم أو لا يترك بين يديه ما يشغل حسه ويقرب من حائط عند صلاته حتى لا تتسع مسافة بصره ويحترز من الصلاة على الشوارع وفي المواضع

المنقوشة المصبوغة وعلى الفرش المصبوغة ولذلك كان المتعبدون يتعبدون في بيت صغير مظلم سعته سعة السجود ليكون ذلك أجمع للهم والأقوياء منهم كانوا يحضرون المساجد ويغضون البصر ولا يجاوزون به موضع السجود ويرون كمال الصلاة في أن لا يعرفوا من على يمينهم وشمالهم وكان ابن عمر رضي الله عنهما لا يدع في موضع الصلاة مصحفا ولا سيفا إلا نزعه ولا كتابا إلا محاه. وأما الأسباب الباطنة فهي أشد فإن من تشعبت به الهموم في أودية الدنيا لم ينحصر فكره في فن واحد بل لا يزال يطير من جانب إلى جانب وغض البصر لا يغنيه فإن ما وقع في القلب من قبل كاف للشغل فهذا طريقه أن يرد النفس قهرا إلى فهم ما يقرؤه في الصلاة ويشغلها به عن غيره ويعينه على ذلك أن يستعد له قبل التحريم بأن يجدد على نفسه ذكر الآخرة وموقف المناجاة وخطر المقام بين يدي الله سبحانه وهول المطلع ويفرغ قلبه قبل التحرم بالصلاة عما يهمه فلا يترك لنفسه شغلا يلتفت إليه خاطره. قال النبي صلى الله عليه وسلم لعثمان بن شيبة إني نسيت أن أقول لك أن تخمر القدر الذي في البيت فإنه لا ينبغي أن يكون في البيت شيء يشغل الناس عن صلاتهم. فهذا طريق تسكين الأفكار فإن كان لا يسكن هائج أفكاره بهذا الدواء المسكن فلا ينجيه إلا المسهل الذي يقمع مادة الداء من أعماق العروق وهو أن ينظر في الأمور الصارفة الشاغلة له عن إحضار القلب ولا شك أنها تعود إلى مهماته وأنها إنما صارت مهمات لشهواته فيعاقب نفسه بالنزوع عن تلك الشهوات وقطع تلك العلائق فكل ما يشغله عن صلاته فهو ضد دينه وجند إبليس عدوه فإمساكه أضر عليه من إخراجه فيتخلص منه بإخراجه كما روي أن النبي صلى الله عليه وسلم لما لبس الخميصة التي أتاه بها أبو جهم وعليها علم وصلى بها نزعها بعد صلاته وقال اذهبوا بها إلى أبي جهم فإنها ألهتني آنفا عن صلاتي وائتوني بأنبجانية أبي جهم. وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتجديد شراك نعله ثم نظر إليه في صلاته إذ كان جديدا فأمر أن ينزع منها ويرد الشراك الخلق. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد احتذى نعلا فأعجبه حسنها فسجد وقال تواضعت لربي عز وجل كي لا يمقتني ثم خرج بها فدفعها إلى أول سائل لقيه ثم أمر عليا رضي الله عنه أن يشتري له نعلين سبتيتين جرداوين فلبسهما. وكان في يد رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتم من ذهب قبل التحريم وكان على المنبر فرماه وقال شغلني هذا نظرة إليه ونظرة إليكم. وروي أن أبا طلحة صلى في حائط له فيه شجر فأعجبه دبسي طار في الشجر يلتمس مخرجا فأتبعه بصره ساعة ثم لم يدر كم صلى فذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما أصابه من الفتنة ثم قال يا رسول الله هو صدقة فضعه حيث شئت. وروي عن رجل آخر أنه صلى في حائط له والنخل مطوقة بثمرها فنظر إليها فأعجبته ولم يدر كم صلى فذكر ذلك لعثمان رضي الله عنه وقال هو صدقة فاجعله في سبيل الله عز وجل فباعه عثمان بخمسين ألفا. فكانوا يفعلون ذلك قطعا لمادة الفكر وكفارة لما جرى من نقصان الصلاة وهذا هو الدواء القاطع لمادة العلة ولا يغني غيره فأما ما ذكرناه من التلطف بالتسكين والرد إلى فهم الذكر فذلك ينفع في الشهوات الضعيفة والهمم التي لا تشغل إلا حواشي القلب فأما الشهوة القوية المرهقة فلا ينفع فيها التسكين بل لا تزال تجاذبها وتجاذبك ثم تغلبك وتنقضي جميع صلاتك في شغل المجاذبة

[illegible]

بيان تفصيل ما ينبغي ان يحضر في القلب عند كل ركن وشرط من اعمال الصلاة

فنقول [illegible]

[illegible] اما [illegible] واما [illegible]

[illegible]

واما [illegible]

[illegible] وأما [illegible]

[illegible] واما [illegible]

[illegible] واما [illegible]

[illegible] واما [illegible]

[illegible]

حكايات واخبار في صلاة الخاشعين

اعلم ان الخشوع ثمرة الايمان ونتيجة اليقين الحاصل بجلال الله تعالى ومن رزق ذلك فانه يكون خاشعا في الصلاة وفي غير الصلاة بل في خلوته وفي بيت الخلاء عن قضاء الحاجة فان موجب الخشوع معرفة اطلاع الله تعالى على العبد ومعرفة جلال الله تعالى ومعرفة تقصير العبد فهذه المعارف ينتج الخشوع وليست مختصة بالصلاة [illegible]

[illegible]

١٥

[illegible]

[illegible]

فصل

[illegible]

الباب الرابع في الإمامة والقراءة وعلى الإمام وظائف قبل الصلاة وفي القراءة وفي أركان الصلاة وبعد السلام

أولها [illegible]

الثانية [illegible]

[illegible]

الثالثة [illegible]

الرابعة [illegible]

وخارج الصلاة [illegible] وقام بها مرة من عمر [illegible] بالعشر [illegible] [illegible] **الخامسة** أن لا يكبر حتى تستوي الصفوف وليلتفت يمينا وشمالا فإن رأى خللا أمر بالتسوية قيل كانوا يتحاذون بالمناكب ويتضامون بالكعاب ولا يكبر حتى يفرغ المؤذن من الإقامة والمؤذن يؤخر الإقامة عن الأذان بقدر استعداد الناس ففي الخبر ليتمهل المؤذن بين الأذان والإقامة بقدر ما يفرغ الآكل من طعامه والمعتصر من اعتصاره وذلك لأنه نهى عن مدافعة الأخبثين وأمر بتقديم العشاء على العشاء طلبا لفراغ القلب **السادسة** أن يرفع صوته بتكبيرة الإحرام وسائر التكبيرات ولا يرفع المأموم صوته إلا بقدر ما يسمع نفسه وينوي الإمامة لينال الفضل فإن لم ينو صحت صلاته وصلاة القوم إذا نووا الاقتداء ونالوا فضل القدوة وهو لا ينال فضل الإمامة وليؤخر المأمومون تكبيرهم عن تكبير الإمام فيبتدئون بعد فراغه

ووظائف القراءة ثلاث فأولها أن يسر بدعاء الاستفتاح والتعوذ كالمنفرد ويجهر بالفاتحة والسورة في جميع الصبح وأوليي العشاء والمغرب وكذا المنفرد ويجهر بقوله آمين في الصلاة الجهرية وكذا المأموم ويقرن المأموم تأمينه بتأمين الإمام معا لا تعقيبا ويجهر ببسم الله الرحمن الرحيم والأخبار فيه متعارضة واختيار الشافعي الجهر **الثانية** أن يكون للإمام في الصلاة ثلاث سكتات في القيام هكذا رواه سمرة بن جندب وعمران بن حصين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أولاهن إذا كبر وهي الطولى منهن مقدار ما يقرأ من خلفه فاتحة الكتاب وذلك وقت في قراءة دعاء الاستفتاح فإنه إن لم يسكت فاتهم الاستماع فيكون عليه ما نقص من صلاتهم فإن لم يقرؤوا الفاتحة في سكوته واشتغلوا بغيرها فذلك عليهم لا عليه والسكتة الثانية إذا فرغ من الفاتحة ليتم من لم يقرأ الفاتحة في السكتة الأولى فاتحته وهي نصف السكتة الأولى والسكتة الثالثة إذا فرغ من السورة قبل أن يركع وهي أخفها وذلك بقدر ما تنفصل القراءة عن التكبير فقد نهي عن الوصل فيه ولا يقرأ المأموم وراء الإمام إلا الفاتحة فإن لم يسكت الإمام قرأ الفاتحة معه والمقصر هو الإمام وإن لم يسمع المأموم في الجهرية لبعده أو كان في السرية فلا بأس بقراءة السورة **الثالثة** أن يقرأ في الصبح سورتين من المثاني ما دون المائة فإن الإطالة في قراءة الفجر والتغليس بها سنة ولا يضره الخروج منها مع الإسفار ولا بأس بأن يقرأ في الثانية بأواخر السور نحو الثلاثين والعشرين إلى أن يختمها لأن ذلك لا يتكرر على الأسماع كثيرا فيكون أبلغ في الوعظ وأدعى إلى التفكر وإنما كره بعض العلماء قراءة بعض أول السورة وقطعها وقد روي أنه عليه السلام قرأ بعض سورة يونس فلما انتهى إلى ذكر موسى وفرعون قطع وركع وقد روي أنه صلى الله عليه وسلم قرأ في الفجر آية من البقرة وهو قوله قولوا آمنا بالله الآية وفي الثانية ربنا آمنا بما أنزلت وسمع بلالا يقرأ من ههنا وههنا فسأله عن ذلك فقال أخلط الطيب بالطيب فقال أحسنت ويقرأ في الظهر بطوال المفصل إلى ثلاثين آية وفي العصر بنصف ذلك وفي المغرب بأواخر المفصل وآخر صلاة صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم المغرب قرأ فيها سورة المرسلات ما صلى بعدها حتى قبض وبالجملة التخفيف أولى لا سيما إذا كثر الجمع وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الرخصة إذا صلى أحدكم

بالناس فليخفف فإن فيهم الضعيف والكبير وذا الحاجة وإذا صلى لنفسه فليطول ما شاء وقد كان معاذ بن جبل يصلي بقوم العشاء فقرأ البقرة فخرج رجل من الصلاة وأتم لنفسه فقالوا نافق الرجل فتشاكيا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فزجر رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذا وقال أفتان أنت يا معاذ اقرأ سورة سبح والسماء والطارق والشمس وضحاها ونحوها

ووظائف الأركان ثلاث أولها أن يخفف الركوع والسجود فلا يزيد في التسبيحات على ثلاث فقد روي عن أنس أنه قال ما رأيت أخف صلاة من رسول الله صلى الله عليه وسلم في تمام نعم روي أن أنس بن مالك لما صلى خلف عمر بن عبد العزيز وكان أميرا بالمدينة قال ما صليت وراء أحد أشبه صلاة برسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا الشاب قال وكنا نسبح وراءه عشرا عشرا وروي مجملا أنهم قالوا كنا نسبح وراء رسول الله صلى الله عليه وسلم في الركوع والسجود عشرا وذلك حسن ولكن الثلاث إذا كثر الجمع أحسن فإذا لم يحضر إلا المتجردون للدين فلا بأس بالعشر هذا وجه الجمع بين الروايات وينبغي أن يقول الإمام عند رفع رأسه من الركوع سمع الله لمن حمده **الثانية** في المأموم أن لا يساوي الإمام في الركوع والسجود بل يتأخر فلا يهوي للسجود إلا إذا وصلت جبهة الإمام إلى المسجد هكذا كان اقتداء الصحابة برسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يهوي للركوع حتى يستوي الإمام راكعا وقد قيل إن الناس يخرجون من الصلاة على ثلاثة أقسام طائفة بخمس وعشرين صلاة وهم الذين يكبرون ويركعون بعد الإمام وطائفة بصلاة واحدة وهم الذين يساوونه وطائفة بلا صلاة وهم الذين يسبقون الإمام وقد اختلف في أن الإمام في الركوع هل ينتظر لحوق من يدخل لينال فضل الجماعة وإدراك تلك الركعة ولعل الأولى أن ذلك مع الإخلاص لا بأس به إذا لم يظهر تفاوت ظاهر للحاضرين فإن حقهم مرعي في ترك التطويل عليهم **الثالثة** أن لا يزيد في دعاء التشهد على مقدار التشهد حذرا من التطويل ولا يخص نفسه في الدعاء بل يأتي بصيغة الجمع فيقول اللهم اغفر لنا ولا يقول اغفر لي فقد كره للإمام أن يخص نفسه ولا بأس أن يستعيذ في التشهد بالكلمات الخمس المأثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول نعوذ بك من عذاب جهنم ومن عذاب القبر ونعوذ بك من فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال وإذا أردت بقوم فتنة فاقبضنا إليك غير مفتونين وقيل سمي مسيحا لأنه يمسح الأرض بطولها وقيل لأنه ممسوح العين أي مطموسها

ووظائف التحلل ثلاث أولها أن ينوي بالتسليمتين السلام على القوم والملائكة **الثانية** أن يثبت عقيب السلام كذلك فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر فيصلي النافلة في موضع آخر فإن كان خلفه نسوة لم يقم حتى ينصرفن وفي الخبر المشهور أنه عليه السلام لم يكن يقعد إلا قدر قوله اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام **الثالثة** إذا وثب ينبغي أن يقبل بوجهه على الناس ويكره للمأموم القيام قبل انفتال الإمام فقد روي عن طلحة والزبير أنهما صليا خلف إمام فلما سلم قالا للإمام ما أحسن صلاتك وأتمها إلا شيئا واحدا إنك لما سلمت لم تنفتل بوجهك ثم قالا للناس ما أحسن صلاتكم إلا أنكم انصرفتم قبل انفتال إمامكم ثم ينصرف الإمام حيث شاء عن يمينه وشماله واليمين أحب هذا في كل الصلوات فأما الصبح

ومن عنهما **الأولى** [illegible] واستقبال الخطيب [illegible]
وإن استعمل [illegible] الساعة [illegible] يوم الجمعة
قال بعض [illegible] العباد [illegible] الخميس
يوم الجمعة [illegible]
[illegible] يوم الجمعة [illegible] الى يوم
الخميس والسبت [illegible] يوم الجمعة [illegible] الليلة
وفي يوم الجمعة [illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible]
واغتسل [illegible] الغسل [illegible]
[illegible] يوم [illegible]
وفي الناس [illegible] الجمعة [illegible]
وكان بعضهم يبيت في الجامع [illegible] **الثانية** [illegible] الغسل [illegible]
[illegible] الغسل [illegible]
بعض العلماء [illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible] يوم الجمعة [illegible]
[illegible] الجمعة فليغتسل وقال صلى الله عليه وسلم [illegible] الجمعة [illegible]
فليغتسل [illegible] يوم الجمعة وقال [illegible]
[illegible]
[illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] بالغسل [illegible]
[illegible] الغسل [illegible] يوم الجمعة [illegible]
[illegible] الغسل [illegible] الجنابة [illegible] الجمعة
[illegible]
وقال بعض الصحابة [illegible] الجمعة [illegible]
[illegible] الجمعة [illegible]
[illegible]
[illegible] **الثالثة** [illegible]
[illegible] يوم [illegible]
[illegible]
[illegible] يوم الجمعة [illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible] وقال الشافعي [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] يوم الجمعة
[illegible] **الرابعة** [illegible] الجامع [illegible]
[illegible]
[illegible] الجمعة [illegible]
[illegible] الجمعة [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible]
[illegible] الجمعة [illegible]
[illegible] يوم الجمعة [illegible]
[illegible]
[illegible] يوم الجمعة [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] الجمعة [illegible] **الخامسة** [illegible]
[illegible]
[illegible]

له النبي عليه السلام بيمناه ويخطب يوم الجمعة اذ رأى رجلا يتخطى رقاب الناس حتى تقدم فجلس فلما قضى النبي
صلى الله عليه وسلم صلاته عارض الرجل حتى لقيه فقال يا فلان ما منعك ان تجمع اليوم معنا فقال يا نبي الله
قد جمعت معكم فقال الم نرك تتخطى رقاب الناس اشار به الى انه احبط عمله وفي حديث مسند انه قال
ما منعك ان تصلي معنا قال اولم ترني فقال رايتك تأنيت وآذيت اي تأخرت عن البكور وآذيت الحضور ومهما كان
الصف الاول متروكا خاليا فله ان يتخطى رقاب الناس لانهم ضيعوا حقهم وتركوا موضع الفضيلة قال
الحسن تخطوا رقاب الناس الذين يقعدون على ابواب الجامع يوم الجمعة فانه لا حرمة لهم واذا لم يكن في المسجد الا من
يصلي فينبغي ان لا يسلم فانه تكليف جواب في غير محله **السادسة** ان لا يمر بين يدي الناس ويجلس حيث هو الى
قرب اسطوانة او حائط حتى لا يمرون بين يديه ومعلوم ان ذلك لا يقطع الصلاة ولكنه منهي عنه قال
صلى الله عليه وسلم لان يقف اربعين خير له من ان يمر بين يدي المصلي وقال لان يكون الرجل رمادا رميما تذروه الرياح
خير له من ان يمر بين يدي المصلي وقد روي في حديث آخر في المار والمصلي حيث صلى على الطريق او قصر في
الدفع فقال لو يعلم المار بين يدي المصلي والمصلي ما عليهما في ذلك لكان ان يقف اربعين سنة خيرا له من ان يمر بين يديه
والاسطوانة والحائط والمصلى المفروش حد للمصلي فمن اجتاز به فينبغي ان يدفعه قال صلى الله عليه وسلم
ليدفعه فان ابى فليدفعه فان ابى فليقاتله فانه شيطان وكان ابو سعيد الخدري يدفع من يمر بين يديه حتى
يصرعه فربما تعلق به الرجل فاستعدى عليه عند مروان فيخبره ان النبي صلى الله عليه وسلم امره بذلك فان لم يجد اسطوانة
فلينصب بين يديه شيئا طوله قدر ذراع ليكون ذلك علامة لحده **السابعة** ان يطلب الصف الاول فان فضله
كثير كما رويناه وفي الخبر من غسل واغتسل وبكر وابتكر ودنا من الامام واستمع كان ذلك له كفارة لما بين الجمعتين
وزيادة ثلاثة ايام وفي لفظ آخر غفر الله له الى الجمعة الاخرى وقد اشترط في بعضها ولم يتخط رقاب الناس
ولا يغفل في طلب الصف الاول عن ثلاثة امور اولها انه اذا راى بقرب الخطيب منكرا يعجز عن تغييره
من لبس حرير من الامام او غيره او صلاة في سلاح كثير ثقيل شاغل او سلاح مذهب او غير ذلك مما يجب فيه الانكار
فالتاخر له اسلم واجمع للهم فعل ذلك جماعة من العلماء طلبا للسلامة فقيل لبشر بن الحارث نراك تبكر
وتصلي في آخر الصفوف فقال انما يراد قرب القلوب لا قرب الاجساد واشار به الى ان ذلك اقرب لسلامة قلبه
ونظر سفيان الثوري الى شعيب بن حرب عند المنبر يستمع الى الخطبة من ابي جعفر المنصور فلما فرغ من الصلاة قال
شغل قلبي قربك من هذا هل امنت ان تسمع كلاما يجب عليك انكاره فلا تقوم به ثم ذكر ما احدثوا من لبس
السواد فقال يا ابا عبد الله اليس في الخبر ادن واستمع فقال ويحك ذاك للخلفاء الراشدين المهديين
فاما هؤلاء فكلما بعدت عنهم ولم تنظر اليهم كان اقرب الى الله عز وجل وقال سعيد بن عامر صليت الى جنب
ابي الدرداء فجعل يتاخر في الصفوف حتى كنا في آخر صف فلما صلينا قلت له اليس يقال خير الصفوف
اولها قال نعم الا ان هذه الامة مرحومة منظور اليها من بين الامم فان الله تعالى اذا نظر الى عبد في الصلاة
غفر له ولمن وراءه من الناس فانما تاخرت رجاء ان يغفر لي بواحد منهم ينظر الله اليه وروى بعض الرواة انه
قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ذلك فمن تاخر على هذه النية ايثارا واظهارا لحسن الخلق فلا باس

وعند هذا يقال الاعمال بالنيات الثانية ان لم تكن مقصورة عند الخطيب مقتطعة عن المسجد للسلاطين فالصف
الاول محبوب والا فقد كره بعض العلماء دخول المقصورة وكان الحسن وبكر المزني لا يصليان في
المقصورة ورأيا انها قصرت على السلاطين وهي بدعة احدثت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم في المساجد
والمسجد مطلق لجميع الناس وقد اقتطع ذلك على خلافه وصلى انس بن مالك وعمران بن حصين في المقصورة
ولم يكرها ذلك لطلب القرب ولعل الكراهية تختص بحالة التخصيص والمنع فاما مجرد المقصورة اذا لم يكن منع
لا يوجب كراهة الثالثة ان المنبر يقطع بعض الصفوف وانما الصف الاول الواحد المتصل الذي في فناء المنبر
وما على طرفيه مقطوع وكان الثوري يقول الصف الاول هو الخارج بين يدي المنبر وهو متجه لانه متصل
ولان الجالس فيه يقابل الخطيب ويسمع منه ولا يبعد ان يقال الاقرب الى القبلة هو الصف الاول ولا يراعى هذا
المعنى وتكره الصلاة في الاسواق والرحاب الخارجة عن المسجد وكان بعض الصحابة يضرب الناس ويقيمهم من الرحاب
الثامنة ان يقطع الصلاة عند خروج الامام ويقطع الكلام ايضا بل يشتغل بجواب المؤذن ثم باستماع
الخطبة وقد جرت عادة بعض العوام بالسجود عند قيام المؤذنين ولم يثبت له اصل في خبر ولا اثر ولكنه ان وافق
سجود تلاوة فلا باس بالدعاء فيه لانه وقت فاضل ولا يحكم بتحريم هذا السجود فانه لا سبب لتحريمه وقد
روي عن علي وعثمان رضي الله عنهما من استمع وانصت فله اجران ومن لم يستمع وانصت فله اجر ومن سمع ولغا
فعليه وزران ومن لم يستمع ولغا فعليه وزر واحد وقال صلى الله عليه وسلم من قال لصاحبه والامام يخطب
انصت او صه فقد لغا ومن لغا والامام يخطب فلا جمعة له وهذا يدل على ان الاسكات ينبغي ان يكون
باشارة او رمي حصاة لا بالنطق وفي حديث ابي ذر انه لما سأل أبيا والنبي صلى الله عليه وسلم يخطب
فقال متى انزلت هذه السورة فاومأ اليه ان اسكت فلما نزل صلى الله عليه وسلم قال له ابي اذهب فلا جمعة
لك فشكاه ابو ذر الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال صدق ابي وان كان بعيدا من الامام فلا ينبغي ان يتكلم في العلم
وغيره بل يسكت لان كل ذلك يتسلسل ويفضي الى هينمة تنتهي الى المستمعين ولا يجلس في حلقة من يتكلم فمن عجز عن
الاستماع بالبعد فلينصت فهو المستحب واذا كانت تكره الصلاة في وقت خطبة الامام فالكلام اولى
وقال علي رضي الله عنه تكره الصلاة في اربع ساعات بعد الفجر وبعد العصر ونصف النهار والصلاة والامام
يخطب **التاسعة** ان يراعي في قدوة الجمعة ما ذكرناه في غيرها فاذا سمع قراءة الامام لم يقرا سوى
الفاتحة فاذا فرغ من الجمعة قرأ الحمد لله سبع مرات قبل ان يتكلم وقل هو الله احد والمعوذتين سبعا سبعا
وروي عن بعض السلف ان من فعله عصم من الجمعة الى الجمعة وكان حرزا له من الشيطان
ويستحب ان يقول بعد الجمعة اللهم يا غني يا حميد يا مبدئ يا معيد يا رحيم يا ودود اغنني بحلالك عن حرامك
وبفضلك عمن سواك فيقال من داوم على هذا الدعاء اغناه الله عن خلقه ورزقه من حيث لا يحتسب ثم يصلي بعد
الجمعة ست ركعات فقد روى ابن عمر رضي الله عنهما ان النبي عليه السلام كان يصلي بعد الجمعة ركعتين وروى ابو هريرة
اربعا وروى علي وعبد الله بن عباس ستا والكل صحيح في احوال مختلفة والاكمل افضل **العاشرة** ان
يلازم المسجد حتى يصلي العصر فان اقام الى المغرب فهو الافضل يقال من صلى العصر في الجامع كان له ثواب

أنح ومن صلى المغرب فله ثواب عمرة فإن لم يأمن التصنع ودخول الآفة عليه من نظر الخلق إلى اعتكافه أو خاف الخوض فيما لا يعني فالأفضل أن يرجع إلى بيته ذاكرا لله تعالى مفكرا في آلائه شاكرا لله على توفيقه خائفا من تقصيره مراقبا لقلبه ولسانه إلى غروب الشمس حتى لا تفوته الساعة الشريفة ولا ينبغي أن يتكلم في الجامع وغيره من المساجد بحديث الدنيا قال صلى الله عليه وسلم يأتي على الناس زمان يكون حديثهم في مساجدهم أمر دنياهم ليس لله فيهم حاجة فلا تجالسوهم

بيان الآداب والسنن الخارجة عن الترتيب السابق الذي يعم جميع النهار

وهي سبعة أمور **الأول** أن يحضر مجالس العلم بكرة أو بعد الصلاة أو بعد العصر ولا يحضر مجالس القصاص فلا خير في كلامهم ولا ينبغي أن يخلو المريد في جميع يوم الجمعة عن الخيرات والدعوات حتى توافيه الساعة الشريفة وهو في خير ولا ينبغي أن يحلق قبل الصلاة فقد روي عبد الله بن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن التحلق يوم الجمعة قبل الصلاة إلا أن يكون عالما بالله يذكر بأيام الله ويفقه في دين الله يتكلم في الجامع بالغداة فيجلس إليه فيكون جامعا بين البكور وبين الاستماع واستماع العلم النافع في الآخرة أفضل من اشتغاله بالنوافل فقد روى أبو ذر أن حضور مجلس علم أفضل من صلاة ألف ركعة قال أنس بن مالك في قوله تعالى فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله أما إنه ليس بطلب دنيا ولكن عيادة مريض وشهود جنازة وتعلم علم وزيارة أخ في الله وقد سمى الله العلم فضلا في مواضع قال تعالى وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما وقال ولقد آتينا داود منا فضلا يعني العلم فتعلم العلم في هذا اليوم وتعليمه من أفضل القربات والصلاة أفضل من مجالس القصاص إذ كانوا يرونه بدعة ويخرجون القصاص من الجامع بكر ابن عمر إلى مجلسه في الجامع فإذا قاص يقص في موضعه فقال قم عن مجلسي فقال لا أقوم وقد جلست وسبقتك إليه فأرسل ابن عمر إلى صاحب الشرطة فأقامه ولو كان ذلك من السنة لما جاز إقامته وقد قال صلى الله عليه وسلم لا يقيمن أحدكم أخاه من مجلسه ثم يجلس فيه ولكن تفسحوا وتوسعوا وكان ابن عمر إذا قام له الرجل من مجلسه لم يجلس فيه حتى يعود إليه وروي أن قاصا كان يجلس بفناء حجرة عائشة رضي الله عنها فأرسلت إلى ابن عمر إن هذا قد آذاني بقصصه وشغلني عن سبحتي فضربه ابن عمر حتى كسر عصاه على ظهره ثم طرده

الثاني أن يكون حسن المراقبة للساعة الشريفة ففي الخبر المشهور إن في الجمعة ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله تعالى فيها شيئا إلا أعطاه وفي خبر آخر لا يصادفها عبد يصلي واختلف فيها فقيل إنها عند طلوع الشمس وقيل عند الزوال وقيل مع الأذان وقيل إذا صعد الخطيب المنبر وأخذ في الخطبة وقيل إذا قام الناس إلى الصلاة وقيل آخر وقت العصر أعني وقت الاختيار وقيل قبل غروب الشمس وكانت فاطمة رضي الله عنها تراعي ذلك الوقت وتأمر خادمها أن تنظر إلى الشمس فتؤذنها بسقوطها فتأخذ في الدعاء والاستغفار إلى أن تغرب وتخبر بأن تلك الساعة هي منتظرة وتأثر

عن أبيها وقال بعض العلماء هي مبهمة في جميع اليوم مثل ليلة القدر حتى تتوفر الدواعي على مراقبتها وقد قيل إنها تنتقل في ساعات يوم الجمعة كتنقل ليلة القدر وهذا أشبه وله سر لا يليق بعلم المعاملة ذكره ولكن ينبغي أن يصدق بما قاله صلى الله عليه وسلم إن لربكم في أيام دهركم نفحات ألا فتعرضوا لها ويوم الجمعة من جملة تلك الأيام فينبغي أن يكون العبد في جميع نهاره متعرضا لها بإحضار القلب وملازمة الذكر والنزوع عن وساوس الدنيا فعساه يحظى بشيء من تلك النفحات وقد قال كعب الأحبار إنها في الساعة الأخيرة من يوم الجمعة وذلك عند الغروب فقال أبو هريرة وكيف تكون آخر ساعة وقد سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لا يوافقها عبد يصلي وليس حين صلاة فقال كعب ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم من قعد ينتظر الصلاة فهو في صلاة قال بلى قال فذلك صلاة فسكت أبو هريرة وكان كعب مائلا إلى أنها رحمة من الله سبحانه للقائمين بحق هذا اليوم وأوان إرسالها عند الفراغ من تمام العمل وبالجملة هذا وقت شريف مع وقت صعود الإمام المنبر فليكثر الدعاء فيهما

الثالث يستحب أن يكثر الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا اليوم فقد قال صلى الله عليه وسلم من صلى علي في يوم الجمعة ثمانين مرة غفر الله له ذنوب ثمانين سنة قيل يا رسول الله كيف الصلاة عليك قال تقول اللهم صل على محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الأمي وتعقد واحدة وإن قلت اللهم صل على محمد وعلى آل محمد صلاة تكون لك رضى ولحقه أداء وأعطه الوسيلة والمقام المحمود الذي وعدته واجزه عنا ما هو أهله واجزه أفضل ما جازيت نبيا عن أمته وصل على جميع إخوانه من النبيين والصالحين يا أرحم الراحمين تقول هذا سبع مرات فقد قيل من قالها في سبع جمع كل جمعة سبع مرات وجبت له شفاعته صلى الله عليه وسلم وإن أراد أن يزيد أتى بالصلوات المأثورة فقال اللهم اجعل فضائل صلواتك ونوامي بركاتك وشرائف زكواتك ورأفتك ورحمتك وتحيتك على محمد سيد المرسلين وإمام المتقين وخاتم النبيين ورسول رب العالمين قائد الخير وفاتح البر ونبي الرحمة وسيد الأمة اللهم ابعثه مقاما محمودا تزلف به قربه وتقر به عينه يغبطه به الأولون والآخرون اللهم أعطه الفضل والفضيلة والشرف والوسيلة والدرجة الرفيعة والمنزلة الشامخة المنيفة اللهم أعط محمدا سؤله وبلغه مأموله واجعله أول شافع وأول مشفع اللهم عظم برهانه وثقل ميزانه وأبلج حجته وارفع في أعلى المقربين درجته اللهم احشرنا في زمرته واجعلنا من أهل شفاعته وأحينا على سنته وتوفنا على ملته وأوردنا حوضه واسقنا بكأسه غير خزايا ولا نادمين ولا شاكين ولا مبدلين ولا فاتنين ولا مفتونين آمين يا رب العالمين وعلى الجملة فكل ما أتى به من ألفاظ الصلاة ولو بالمشهور في التشهد كان مصليا وينبغي أن يضيف إليه الاستغفار فإن ذلك أيضا مستحب في هذا اليوم

الرابع قراءة القرآن فليكثر منه وليقرأ سورة الكهف خاصة فقد روي عن ابن عباس وأبي هريرة أن من قرأ سورة الكهف ليلة الجمعة أو يوم الجمعة أعطي نورا من حيث يقرؤها إلى مكة وغفر له إلى الجمعة الأخرى وفضل ثلاثة أيام وصلى عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح وعوفي من الداء والدبيلة وذات الجنب والبرص والجذام وفتنة الدجال ويستحب أن يختم القرآن في يوم الجمعة وليلته إن قدر وليكن ختمه للقرآن في ركعتي الفجر إن قرأ بالليل

او في نفس الفجر او من الاذان والاقامة للجمعة وانه فضل عظيم وكان العابرون يتخذون ... واليوم
الجمعة فلم سوا الله اهل الجم وبعضا ان قراءة عشر آيات او عشر ركعة فهو افضل من ختمة
وكانوا يصلون على النبي صلى الله عليه وسلم الف مرة ويقولون سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر الف مرة
وان من المستحبات الست في يوم الجمعة او ثلثها خمس والخبر يروى انه صلى الله عليه وسلم كان يقرا سورة الاعياد
بيوم الجمعة وليلتها كان يقرا في صلاة المغرب ليلة الجمعة قل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد وكان
يقرا في صلاة العشاء ليلة الجمعة سورة الجمعة وسورة المنافقين وروي انه كان يقرؤهما في ركعتي الجمعة
الجمعة وكان يقرا في الصبح يوم الجمعة سورة سجدة لقمان وسورة هل اتى على الانسان **الخامس**
الصلوات يستحب اذا دخل المسجد ان لا يجلس حتى يصلي اربع ركعات يقرا فيهن قل هو الله احد مائتي مرة
في كل ركعة خمسين مرة فقد نقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من فعله لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة
او يرى له ولا يدع ركعتي التحية وان كان الامام يخطب ولكن يخفف امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك
وفي حديث غريب انه صلى الله عليه وسلم سكت للداخل حتى فرغ منها قال الكوفيون ان سكت له الامام صلاهما
ويستحب في هذا اليوم او في ليلته ان يصلي اربع ركعات باربع سور الانعام والكهف وطه ويس
فان لم يحسن قرا يس وسورة لقمان وسورة الدخان وسورة الملك ولا يدع قراءة هذه الاربع سور في ليلة الجمعة
فيها فضل كثير ومن لا يحسن القرآن قرا ما يحسن فهو بمنزلة ختمة ويكثر من سورة الاخلاص ويستحب ان يصلي صلاة
التسبيح كما سنذكره في باب التطوعات كيفيتها روي انه صلى الله عليه وسلم قال للعباس رضي الله عنه
صلها في كل جمعة وكان ابن عباس لا يدع هذه الصلاة يوم الجمعة بعد الزوال وكان يخبر عن جلالة فضلها والا
حسن ان يجعل وقته الى الزوال للصلاة وبعد الجمعة الى العصر لاستماع العلم وبعد العصر الى المغرب للتسبيح والاستغفار
السادس الصدقة مستحبة في هذا اليوم خاصة فانها تتضاعف الا على من سال والامام
يخطب وكان يتكلم في كلام الامام فهو مكروه **وقال** صالح بن احمد سال مسكين يوم الجمعة والامام يخطب
وكان الى جنب ابي فاعطى رجل قطعة ولم يتناولها ابي **وقال** ابن مسعود
اذا سال الرجل في المسجد فقد استحق ان لا يعطى واذا سال على القرآن فلا تعطوه ومن العلماء من كره التصدق
على السؤال الذين يتخطون رقاب الناس الا ان يسال قائما او قاعدا من غير تخط **وقال** كعب
الاحبار من شهد الجمعة ثم انصرف فتصدق بشيئين مختلفين من الصدقة ثم رجع وركع ركعتين يتم ركوعهما
وخشوعهما ثم يقول اللهم اني اسالك باسمك بسم الله الرحمن الرحيم وباسمك الذي لا اله الا هو الحي القيوم
الا تاخذه سنة ولا نوم لم يسال الله تعالى شيئا الا اعطاه اياه **وقال** بعض السلف من اطعم مسكينا يوم
الجمعة ثم غدا وابتكر ولم يؤذ احدا ثم قال حين يسلم الامام بسم الله الرحمن الرحيم الحي القيوم اسالك ان تغفر لي
وترحمني وان تعافيني من النار ثم دعا بما بدا له استجيب له **السابع** ان يجعل يوم الجمعة للآخرة فيكف
فيه عن جميع اشغال الدنيا ويكثر فيه الاوراد ولا يبتدئ فيه السفر فقد روي انه من سافر في ليلة الجمعة
دعا عليه ملكاه وهو بعد طلوع الفجر الا اذا كانت الرفقة تفوت وكره بعض السلف شراء الماء

في المسجد من السقاء ليشربه او يسبله حتى لا يكون مبتاعا في المسجد فان البيع والشراء في المسجد مكروه في الجمع واليوم
في المسجد مكروه وقالوا لا باس لو اعطى القطعة خارج المسجد ثم شرب او سبل في المسجد وبالجملة
ينبغي ان يزيد في الجمعة في اوراده وانواع خيراته فان الله اذا احب عبدا استعمله في الاوقات الفاضلة
بفضائل وفواضل الاعمال واذا مقته استعمله في الاوقات الفاضلة بسيء الاعمال ليكون ذلك اوجع في عقابه
واشد لمقته لحرمانه بركة الوقت وانتهاكه حرمة الوقت ويستحب في الجمعة دعوات وسياتي ذكرها
في كتاب الدعوات

الباب السادس في مسائل متفرقة تعم البلوى بها ويحتاج المريد الى معرفتها

فمن المسائل التي تعم نادرة فقد استقصينا ما يدخل في الفقه **مسالة** الفعل القليل
وان كان لا يبطل الصلاة فهو مكروه الا لحاجة وذلك في دفع المار وقتل العقرب التي تخاف وبكرها بضربة
او ضربتين فاذا صارت ثلاثا فقد كثرت وبطلت الصلاة وكذلك القملة والبرغوث مهما تاذى بهما كان له دفعهما
وكذلك حاجته الى الحك الذي يشوش عليه الخشوع وكان معاذ ياخذ القملة والبرغوث في الصلاة وكان
ابن عمر يقتل القملة في الصلاة حتى يظهر الدم على يديه **وقال** النخعي ياخذها ويوهمها ولا شيء عليه ان قتلها
وقال ابن المسيب ياخذها ويخدرها ثم يطرحها **وقال** مجاهد الاحب الي ان يدعها الا ان تؤذيه فتشغله
عن صلاته فيوهنها قدر ما لا تؤذي ثم يلقيها وهذه رخصة والا فالكمال في الاحتراز عن الفعل وان قل ولذلك
كان بعضهم لا يطرد الذباب وقال لا اعود نفسي ذلك فيفسد علي صلاتي وقد سمعت ان الفساق يصبرون
بين يدي الملوك على اذى كثير ولا يتحركون ومهما تثاءب فلا باس ان يضع يده على فيه وهو الاولى وان عطس
حمد الله في نفسه ولا يحرك لسانه وان تجشا فينبغي ان لا يرفع راسه الى السماء وان سقط رداؤه فلا ينبغي
ان يسويه وكذلك اطراف عمامته فكل ذلك مكروه الا لضرورة **مسالة** الصلاة في النعلين
جائزة وان كان نزع النعلين سهلا وليست الرخصة في الخف لعسر النزع بل هذه النجاسة معفو عنها وفي معناها
المداس صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في نعليه ثم نزع فنزع الناس نعالهم فقال لم خلعتم نعالكم فقالوا
رايناك خلعت فخلعنا فقال ان جبريل اتاني فاخبرني ان بهما خبثا فاذا اراد احدكم المسجد فليقلب نعليه ولينظر فيهما
فان راى خبثا فليمسحه بالارض وليصل فيهما **وقال** بعضهم الصلاة في النعلين افضل لانه قال لم خلعتم
نعالكم وهذه مبالغة فانه سالهم ليبين لهم سبب خلعه اذ علم انهم خلعوا على موافقته
وقد روى عبد الله بن السائب ان النبي صلى الله عليه وسلم خلع نعليه فاذا فرغ كليهما فمن خلع فينبغي
ان لا يضعهما عن يمينه ويساره فيضيق الموضع ويقطع الصف بل يضعهما بين يديه ولا يتركهما وراءه فيكون
قلبه ملتفتا اليهما ولعل الصلاة فيهما افضل رعاية لهذا المعنى وهو التفات القلب اليهما وروى ابو هريرة
عنه صلى الله عليه وسلم انه قال اذا صلى احدكم فليجعل نعليه بين رجليه **وقال** ابو هريرة لغيره اجعلهما
بين رجليك ولا تؤذ بهما مسلما ووضعهما رسول الله صلى الله عليه وسلم عن يساره وكان اماما

وللامام ان يفعل ذلك لان الانحراف اخف من التيامن وربما ولي الاصبعين من فريضة متشفلة والرفع من فريضة
ولعل المراد بالحديث وتوفيت آخبرني مطعم وضع الى ما نعليه من فريضة ثم غيرة **مسألة**
اذا تبسم في صلاته لم تبطل صلاته ان فعل قليلا وما تبطل به من صوت الضحك لا اما وتنزل على ما شكل حروف
الكلام لانه مكروه وفيه خلاف [illegible] ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ روى بعض الصحابة
انه عليه السلام راى في القبلة نخامة فغضب غضبا شديدا ثم حكها ثم [illegible] فقال النبي صلى الله
عليه [illegible] ثم [illegible] فقال [illegible] وجهه فقلنا [illegible] فاذا احدكم اذا دخل
في صلاته فان الله عز وجل [illegible] في القبلة [illegible] فلا يبزق امامه [illegible]
وعن يمينه ولكن عن يساره تحت قدمه اليسرى فاذا بدرته بادرة فليبصق في ثوبه وليفعل به هكذا ويدلك
بعضه ببعض **مسألة** الوقوف للمقتدي سنة ومن [illegible] السنة فان وقف الواحد
يمين الامام متاخرا عنه قليلا والمراة الواحدة تقف خلفه فان وقفت بجنب الامام لم يضر وخالفت السنة
فان كان معهما رجل وقف الرجل على اليمين ومن خلف الرجل والاحرى الرجل من خلف الصف منه دا [illegible]
في الصف او يجر اليه نفسه واحدا من الصف فان وقف منفردا صحت صلاته مع الكراهة **واما** [illegible]
اتصال الصف وسواء كان من المقتدي والامام [illegible] جامعة [illegible] جماعة فان كانا في [illegible]
الى جامعا الذي بني له فلا يحتاج الى اتصال صف [illegible] الامام **مسألة** [illegible]
على ظهر المسجد بصلاة الامام واذا كان [illegible] على فناء المسجد [illegible] مشتركة ويصح [illegible]
اختلاف [illegible] الامام [illegible]
[illegible] على باب المسجد [illegible] المسجد [illegible]
من غير انقطاع الى المسجد ثم تصح صلاة من وراء ذلك الصف ومن خلفه [illegible] المختلفة
فاما الابنية [illegible] **مسألة** للمسبوق اذا ادرك [illegible]
صلاة الامام [illegible] في الصبح [illegible] صلاته [illegible] وان
[illegible] مع الامام وان ادرك مع الامام [illegible] القيام فلا يشتغل بالدعاء وليبدا بالفاتحة [illegible]
فان ركع الامام [illegible] فليتم ما عجز [illegible] الامام [illegible]
وكان [illegible] الفاتحة [illegible] ركع الامام [illegible] التشهد [illegible]
وان ادرك الامام في السجود وفي التشهد كبر للاحرام وجلس ولم يكبر [illegible] الركوع
فانه يكبر ثانيا [illegible] الصلاة
العوارض [illegible] الركوع والامام [illegible]
فان لم [illegible] تلك الركعة **مسألة**
[illegible] العصر [illegible] العصر [illegible]
الاولى [illegible] الجماعة بالاداء [illegible]

وان صلى منفردا في اول الوقت ثم ادرك جماعة فله ان يصلي مع الجماعة وينوي صلاة الوقت والله يحتسب ما شاء فان نوى
[illegible] او [illegible] جاز وان كان قد صلى في جماعة فادرك جماعة اخرى فليس له الاعادة [illegible] السوداد
بالجماعة مرة اخرى [illegible] وانما [illegible] ذلك [illegible] فضيلة الجماعة **مسألة** من صلى ثم راى في ثوبه نجاسة
[illegible] قضاء الصلاة [illegible] النجاسة في اثناء الصلاة [illegible] والاحب الاستئناف واصل
[illegible] خلع النعلين [illegible] جبريل اتاه فاخبره ان عليها نجاسة [illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible] يستانف الصلاة
مسألة من ترك التشهد الاول والقنوت او ترك الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم في
التشهد الاول [illegible] وكان [illegible] الصلاة [illegible] او [illegible] ثلاثا ام اربعا [illegible]
[illegible] السلام [illegible] السلام [illegible] السلام واعلم
[illegible] ما [illegible] العود [illegible] الصلاة
[illegible] السلام [illegible] السجود [illegible]
[illegible] **مسألة** الوسوسة في نية الصلاة سببها خلل في العقل او جهل بالشرع لان امتثال
امر الله مثل امتثال امر غيره وتعظيمه كتعظيم غيره [illegible]
[illegible] الرسول [illegible] عليه [illegible]
[illegible] التعظيم [illegible]
واشتراط كون الصلاة [illegible] القيام [illegible] بالرسول [illegible]
الاقبال بالوجه على [illegible] واتصاف باعث [illegible] التعظيم [illegible] تعظيما [illegible]
[illegible] ذلك [illegible] تكون معلومة وان تكون
مقصودة [illegible] النفس [illegible] وانما [illegible] الالفاظ [illegible] عليها
اما تلفظا باللسان واما تفكرا بالقلب [illegible] نية الصلاة على [illegible] الوجه [illegible] النية
[illegible] وقت [illegible] وقت [illegible] الوسوسة محض الجهل [illegible]
[illegible] العلوم [illegible] النفس في حالة واحدة ولا تكون مفصلة [illegible]
[illegible] النفس [illegible] النفس [illegible] بالعلم [illegible]
[illegible] حالة واحدة
[illegible] الموجود [illegible]
والتقدم والتاخر [illegible] التقدم للعدم وان التاخر للوجود [illegible] العلوم منطوية تحت
العلم بالحادث [illegible] العالم بالحادث [illegible] المتقدم [illegible] التاخر او
[illegible] تقدم العدم [illegible] الوجود [illegible] التقدم [illegible] المتاخر [illegible]
وكان [illegible] الحادث [illegible] الموسوس
[illegible] واحدة [illegible] بالالفاظ [illegible]

فلان

وموضعها القلب وذلك مجاز ولو كلف نفسه في القيام لأجل امتثال الأمر فيحسن الله في ذلك بين [illegible]
الوسواس ومواه ... الامتثال أو انه في النية امتثال عقيب ثم إن تعذر عليه على سبيل التفصيل والتفصيل
وأقول لو لم يفهم الموسوس النية إلا بإحضار هذه الأمور مفصلة ولم يتمثل في نفسه الامتثال دفعة
واحدة وأحضر جملة ذلك في أثناء التكبير من أوله إلى آخره بحيث لا يفرغ من التكبير إلا وقد حصلت النية كفاه
ذلك ولا نكلفه أن يقرن الجميع بأول التكبير أو آخره فإن ذلك تكليف شطط ولو كان مأمورا
به لوقع للأولين سؤال عنه ولوسوس واحد من الصحابة في النية فعدم وقوع ذلك دليل على أن الأمر
على التساهل فكيفما تيسرت النية للموسوس ينبغي أن يقنع به حتى يتعود ذلك وتفارقه الوسوسة
ولا يطالب نفسه بتحقيق ذلك فإن التحقيق يزيد في الوسوسة وقد ذكرنا في الفتاوى وجوها من التحقيق في تحقيق
العلوم والقصود المتعلقة بالنية يفتقر العلماء إلى معرفتها أما العامي فربما يضره سماعها ويهيج
عليه الوسواس فلذلك تركناها **مسألة** ينبغي أن لا يتقدم المأموم على الإمام
في الركوع والسجود والرفع منهما وفي سائر الأعمال ولا ينبغي أن يساويه بل يتبعه ويقفو أثره
فهذا معنى الاقتداء فإن ساواه عمدا لم تبطل صلاته كما لو وقف بجنبه غير متأخر عنه وإن تقدم عليه ففي
بطلان صلاته خلاف ولا يبعد أن يقضى بالبطلان تشبيها بما لو تقدم في الموقف على الإمام بل هذا
أولى لأن الجماعة اقتداء في الفعل لا في الموقف فالتبعية في الفعل أهم وإنما شرط ترك التقدم في
الموقف تسهيلا للمتابعة في الفعل وتحصيلا لصورة التبعية إذ اللائق بالمقتدى به أن يتقدم
فالتقدم عليه في الفعل لا وجه له إلا أن يكون سهوا ولذلك شدد رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيه النكير فقال أما يخشى الذي يرفع رأسه قبل الإمام أن يحول الله رأسه رأس حمار وأما التأخر
عنه بركن واحد فلا يبطل الصلاة وذلك بأن يعتدل الإمام عن ركوعه وهو بعد لم يركع ولكن التأخر
إلى هذا الحد مكروه فإن وضع الإمام جبهته على الأرض وهو بعد لم ينته إلى حد الراكعين بطلت
صلاته وكذا إن وضع الإمام جبهته للسجود الثاني وهو بعد لم يسجد السجود الأول **مسألة**
حق على من حضر الصلاة إذا رأى من غيره إساءة في صلاته أن يغيره وينكر عليه وإن صدر من جاهل رفق بالجاهل
وعلمه فمن ذلك الأمر بتسوية الصفوف ومنع المنفرد بالوقوف خارج الصف والإنكار على من يرفع
رأسه قبل الإمام إلى غير ذلك من الأمور **فقد** قال صلى الله عليه وسلم ويل للعالم من الجاهل حيث لا
يعلمه **وقال** ابن مسعود من رأى من يسيء في صلاته فلم ينهه فهو شريكه في وزرها **وعن**
بلال بن سعد أنه قال الخطيئة إذا أخفيت لم تضر إلا صاحبها فإذا أظهرت ولم تغير أضرت بالعامة
وجاء في الحديث أن بلالا كان يسوي الصفوف ويضرب عراقيبهم بالدرة **وعن** عمر قال تفقدوا
إخوانكم في الصلاة فإذا فقدتموهم فإن كانوا مرضى فعودوهم وإن كانوا أصحاء فعاتبوهم والعتاب
إنكار على ترك الجماعة فلا ينبغي أن يتساهل فيه وقد كان الأولون يبالغون فيه حتى كان بعضهم
يحمل الجنازة إلى بعض من تخلف عن الجماعة إشارة إلى أن الميت هو الذي يتأخر عن الجماعة دون الحي

ومن قبل الفجر فيجمعهما ويقضي بين الصبح والظهر ثم انتظر عليه في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى قيل إذا تعطلت الجمعة فقال عليه السلام من غير منه التعجيل كان له صلاة مع الإمام وفيما وفي غيرها
في الصبح ولم يجز التعقيب مكانا فله أن يجمع إلى الظهر ويقيم مكانه إلى أن يأتي بالصلاة فهذا ما أردنا
أن نذكره من المسائل التي تعم البلوى بها وستأتي أحكام الصلوات المتفرقة في كتاب الأوراد إن شاء الله
عز وجل

الباب السابع في النوافل من الصلوات

اعلم أن ما عدا الفرائض من الصلوات ينقسم إلى ثلاثة أقسام سنن ومستحبات وتطوعات
ونعني بالسنن ما نقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم المواظبة عليه كالرواتب عقب الصلوات وصلاة
الضحى والوتر والتهجد وغيرها لأن السنة عبارة عن الطريقة المسلوكة ونعني بالمستحبات ما ورد الخبر
بفضله ولم ينقل المواظبة عليه كما سننقله في صلوات الأيام والليالي في الأسبوع وكالصلاة عند الخروج
من المنزل والدخول وأمثال ذلك ونعني بالتطوعات ما وراء ذلك مما لم يرد في عينه خبر ولكنه تطوع به
العبد من حيث رغب في مناجاة الله بالصلاة التي ورد الشرع بفضلها مطلقا فكأنه متبرع به
إذ لم يندب إلى تلك الصلاة بعينها وإن ندب إلى الصلاة مطلقا والتطوع عبارة عن التبرع
وسميت الأقسام الثلاثة نوافل من حيث إن النفل هو الزيادة وجملتها زائدة على الفرائض فلفظ
النافلة والسنة والمستحب والتطوع أردنا الاصطلاح عليه لتعريف هذه المقاصد ولا حرج على من يغير
هذا الاصطلاح فلا مشاحة في الألفاظ بعد فهم المقاصد وكل قسم من هذه الأقسام تتفاوت درجاته
في الفضل بحسب ما ورد فيه من الأخبار والآثار المعرفة لفضله وبحسب طول مواظبة رسول الله صلى الله
عليه وسلم وبحسب صحة الأخبار الواردة فيه واشتهارها ولذلك نقول سنن الجماعات أفضل من سنن الانفراد
وأفضل سنن الجماعة صلاة العيد ثم الكسوف ثم الاستسقاء وأفضل سنن الانفراد الوتر ثم ركعتا الفجر
ثم ما بعدهما من الرواتب على تفاوتها **واعلم** أن النوافل باعتبار الإضافة إلى متعلقاتها تنقسم
إلى ما يتعلق بأسباب كالخسوف والاستسقاء وإلى ما يتعلق بالأوقات والمتعلق بالأوقات ينقسم
إلى ما يتكرر بتكرر اليوم والليلة أو بتكرر الأسبوع أو بتكرر السنة فالجملة أربعة أقسام

القسم الأول ما يتكرر بتكرر الأيام والليالي وهي ثمانية خمسة هي رواتب الصلوات
الخمس وثلاثة وراءها وهي صلاة الضحى وإحياء ما بين العشاءين والتهجد **الأولى** راتبة الصبح
وهي ركعتان قال صلى الله عليه وسلم ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها ويدخل وقتهما بطلوع الفجر
الصادق وهو المستطير دون المستطيل وإدراك ذلك بالمشاهدة عسير في أوله إلا أن يتعلم منازل القمر
أو يعلم اقتران طلوعه بالكواكب الظاهرة للبصر فيستدل بالكواكب عليه ويعرف بالقمر في ليلتين من الشهر
فإن القمر يطلع مع الفجر ليلة ست وعشرين ويطلع الفجر مع غروب القمر ليلة اثنتي عشرة من الشهر هذا
هو الغالب ويتطرق إليه تفاوت في بعض البروج وشرح ذلك يطول وتعلم منازل القمر من المهمات

اللهم حتى يطلع بي على مقادير الأوقات بالنزول في الصبح ويفوت وقت ركعتي الفجر بفوات وقت
فريضة الصبح وهو بطلوع الشمس ولا كراهة في أدائهما قبل الفرض وإن أدى من الفجر وقد قامت الصلاة لا
يشتغل بالمكتوبة قال صلى الله عليه وسلم إذا أقيمت الصلاة فلا صلاة إلا المكتوبة ثم إذا فرغ
من المكتوبة قام إليهما وصلاهما والصحيح أنه أداهما ما وقع قبل طلوع الشمس لأنه تابع للفرض في وقته
وإنما الترتيب بينهما سنة في التقديم والتأخير إذا لم يصادف جماعة فإذا صادف جماعة انعكس الترتيب
وانقلب إلى المكتوبة ويستحب أن يصليهما في المنزل ويخففهما ثم يدخل المسجد ويصلي ركعتي التحية
ثم يجلس ولا يصلي إلى أن يصلي المكتوبة وفيما بين الصبح إلى طلوع الشمس الأحب فيه الذكر والفكر والاقتصار
على ركعتي الفجر والفريضة **الثانية** راتبة الظهر وهي ست ركعات ركعتان بعدها وهي أيضا سنة
مؤكدة وأربع قبلها وهي أيضا سنة وإن كانت دون الركعتين الأخيرتين **وروى** أبو هريرة عن النبي
عليه السلام أنه قال من صلى أربع ركعات بعد زوال الشمس يحسن قراءتهن وركوعهن وسجودهن صلى
معه سبعون ألف ملك يستغفرون له حتى الليل **وكان** عليه السلام لا يدع أربعا بعد الزوال
يطيلهن ويقول إن أبواب السماء تفتح في هذه الساعة فأحب أن يرفع لي فيها عمل رواه أبو أيوب
الأنصاري وتفرد به ويدل عليه ما روت أم حبيبة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من صلى في يوم
اثنتي عشرة ركعة غير المكتوبة بنى الله له بيتا في الجنة ركعتين قبل الفجر وأربعا قبل الظهر وركعتين
بعدها وأربعا قبل العصر وركعتين بعد المغرب **وقال** ابن عمر حفظت من رسول الله صلى الله
عليه وسلم في كل يوم عشر ركعات فذكر ما ذكرته أم حبيبة إلا ركعتي الفجر فإنه قال تلك ساعة
لم يكن يدخل فيها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن حدثتني أختي حفصة أنه كان يصلي ركعتين في بيته
ثم يخرج وقال في حديثه ركعتين قبل الظهر وركعتين بعد العشاء فصارت الركعتان قبل الظهر آكد
من جملة الأربع ويدخل وقت ذلك بالزوال والزوال يعرف بزيادة ظل الأشخاص المنتصبة مائلة
إلى الجهة الشرقية إذ يقع للشخص ظل عند الطلوع في جانب المغرب مستطيلا فلا تزال الشمس
ترتفع والظل ينقص وينحرف عن جهة المغرب إلى أن تبلغ الشمس منتهى ارتفاعها وهو قوس نصف
النهار فيكون ذلك منتهى نقصان الظل فإذا زالت الشمس عن منتهى الارتفاع أخذ الظل
في الزيادة فمن حيث صارت الزيادة محسوسة دخل وقت الظهر ويعلم قطعا أن الزوال
في علم الله وقع قبله ولكن التكاليف لا ترتبط إلا بما يدخل تحت الحس والقدر الباقي من الظل الذي
منه يأخذ في الزيادة يطول في الشتاء ويقصر في الصيف ومنتهى طوله بلوغ الشمس أول الجدي
ومنتهى قصره بلوغها أول السرطان ويعرف ذلك بالأقدام والموازين **ومن** الطرق القريبة
من التحقيق لمن أحسن مراعاته أن يلاحظ القطب الشمالي بالليل ويضع على الأرض لوحا مربعا
وضعا مستويا بحيث يكون أحد أضلاعه من جانب القطب بحيث لو توهمت سقوط حجر من القطب
إلى الأرض ثم توهمت خطا من مسقط الحجر إلى الضلع الذي يليه من اللوح لقام الخط على الضلع

على زوايا قائمة أي لا يكون الخط مائلا إلى أحد الضلعين ثم تنصب عمودا على اللوح نصبا مستويا في موضع
علامة **ا** وهو بإزاء القطب فيقع ظله في أول النهار مائلا إلى جهة المغرب في صوب خط **ا** ثم لا يزال
يميل إلى أن ينطبق على خط **ب** بحيث لو مد رأسه لانتهى على الاستقامة إلى مسقط الحجر ويكون موازيا
للضلع الشرقي والغربي غير مائل إلى أحد الجانبين فإذا بطل ميله إلى الجانب الغربي فالشمس في منتهى الارتفاع
وإذا انحرف الظل عن الخط الذي على اللوح إلى جانب الشرق فقد زالت الشمس ومن أدرك بالحس فقد عرف
في وقت هو قريب من أول الزوال في علم الله تعالى ثم يضع على رأس الظل عند الزوال علامة فإذا صار طول الظل
من تلك العلامة مثل العمود دخل وقت العصر فهذا القدر لا بأس بمعرفته من علم الزوال **الثالثة**
راتبة العصر وهي أربع ركعات قبل العصر روى أبو هريرة عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال رحم الله عبدا صلى
أربعا قبل العصر فمعلوم أن الرجاء للدخول في دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم يقتضي استحبابا مؤكدا
فإن دعوته مستجابة لا محالة ولم تكن مواظبته على السنة قبل العصر كمواظبته على ركعتين قبل الظهر **الرابعة**
راتبة المغرب وهما ركعتان بعد المغرب لم تختلف الرواية فيهما وأما ركعتان قبلها بين أذان المؤذن
وإقامته على سبيل المبادرة فقد نقل عن جماعة من الصحابة كأبي بن كعب وعبادة بن الصامت وأبي ذر
وزيد بن ثابت وغيرهم **قال** عبادة وغيره كان المؤذن إذا أذن لصلاة المغرب ابتدر أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم السواري يصلون ركعتين **وقال** بعضهم كنا نصلي الركعتين قبل المغرب حتى يدخل الداخل
فيحسب أنا صلينا فيسأل أصليتم المغرب وذلك يدخل في عموم قوله بين كل أذانين صلاة لمن شاء **وكان**
أحمد بن حنبل يصليهما فعابه الناس فتركهما فقيل له في ذلك فقال لم أر الناس يصلونها فتركتهما وقال إن صلاهما الرجل في بيته أو حيث
لا يراه الناس فحسن **ويدخل** وقت المغرب بغيبوبة الشمس عن الأبصار في الأراضي المستوية التي ليست
محفوفة بالجبال فإن كانت محفوفة بها من جهة المغرب فيتوقف إلى أن يرى إقبال السواد من جانب المشرق
قال صلى الله عليه وسلم إذا أقبل الليل من ها هنا وأدبر النهار من ها هنا فقد أفطر الصائم والأحب المبادرة
في صلاة المغرب خاصة وإن أخرت وأديت قبل غيبوبة الشفق الأحمر وقعت أداء ولكنه مكروه
أخر عمر صلاة المغرب ليلة حتى طلع نجم فأعتق رقبة **وأخر** ابن عمر حتى طلع كوكبان فأعتق رقبتين
الخامسة راتبة العشاء الآخرة وهي أربع ركعات بعد الفريضة **قالت** عائشة رضي الله عنها
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بعد العشاء الآخرة أربع ركعات ثم ينام **واختار** بعض العلماء
من مجموع الأخبار أن يكون عدد الرواتب سبع عشرة كعدد المكتوبة ركعتان قبل الصبح وأربع قبل الظهر
وركعتان بعدها وأربع قبل العصر وركعتان بعد المغرب وثلاث بعد العشاء وهي الوتر ومهما عرفت
الأحاديث الواردة فيه فلا معنى للتقدير **فقد** قال صلى الله عليه وسلم الصلاة خير موضوع فمن شاء أكثر
ومن شاء أقل فإذا اختيار كل مريد من هذه الصلوات بقدر رغبته في الخير فقد ظهر فيما ذكرناه أن بعضها
آكد من بعض وترك الآكد أبعد لا سيما والفرائض تكمل بالنوافل فمن لم يستكثر منها يوشك أن لا تسلم له
فريضة من غير جابر **السادسة** الوتر **قال** أنس بن مالك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوتر بعد العشاء

صلى الله عليه

ركعتين

بثلاث ركعات يقرأ في الأولى سبح اسم ربك الأعلى وفي الثانية قل يا أيها الكافرون وفي الثالثة قل هو الله أحد
وقصة وفي خبر أنه كان صلى الله عليه وسلم يصلي بعد الوتر ركعتين جالسا وفي بعضها متربعا وفي بعض الأخبار
إذا أراد أن يدخل فراشه زحف إليه وصلى فوقه ركعتين قبل أن يرقد يقرأ فيهما إذا زلزلت وسورة التكاثر
وفي رواية أخرى قل يا أيها الكافرون ويجوز الوتر مفصولا وموصولا بتسليمة وتسليمتين وقد أوتر
رسول الله صلى الله عليه وسلم بركعة وثلاث وخمس وهكذا بالأوتار إلى إحدى عشرة ركعة والرواية
مترددة في ثلاث عشرة وفي حديث شاذ سبع عشرة ركعة وكانت هذه الركعات أعني ما سميناه جملتها
وترا صلاته بالليل وهو التهجد والتهجد بالليل سنة مؤكدة وسيأتي ذكر فضله في كتاب الأوراد إن شاء الله
وفي الأفضل خلاف فقيل إن الإيتار بركعة فردة أفضل إذ صح أنه عليه السلام كان يواظب على الإيتار بركعة
فردة وقيل الموصولة أفضل للخروج عن شبهة الخلاف لا سيما للإمام إذ قد يقتدي به من لا يرى الركعة
المفردة صلاة فإن صلى موصولا نوى بالجميع الوتر وإن اقتصر على ركعة واحدة بعد ركعتي العشاء أو بعد فرض
العشاء نوى الوتر وصح لأن شرط الوتر أن يكون في نفسه وترا وأن يكون موترا لغيره مما سبق قبله
وقد أوتر الفرض ولو أوتر قبل العشاء لم يصح أي لا ينال فضيلة الوتر الذي هو خير له من حمر النعم كما ورد
به الخبر وإلا فركعة فردة صحيحة في أي وقت كان وإنما لم يصح قبل العشاء لأنه خرق إجماع الخلق في الفعل ولأنه لم يتقدم ما
يصير به وترا فأما إذا أراد أن يوتر بثلاث مفصولة ففي نيته في الركعتين نظر فإنه إن نوى بهما التهجد أو
سنة العشاء لم تكن هي من الوتر وإن نوى الوتر لم تكن هي في نفسها وترا وإنما الوتر ما بعدها ولكن الأظهر
أنه ينوي الوتر كما ينوي في الثلاث الموصولة الوتر ولكن للوتر معنيان أحدهما أن يكون في نفسه
وترا والآخر أن ينشأ ليجعل وترا بما بعده فيكون مجموع الثلاثة وترا والركعتان من جملة الثلاث
إلا أن وتريتهما موقوفة على الركعة الثالثة وإذا كان هو عازما على أن يوترهما بثالثة كان له أن ينوي بهما
الوتر والركعة الثالثة وتر بنفسه وموتر لغيره والركعتان لا يوتران غيرهما وليستا وترا
بأنفسهما ولكنهما موتران بغيرهما والوتر ينبغي أن يكون آخر صلاة الليل فيقع بعد التهجد
وسيأتي فضائل الوتر والتهجد وكيفية الترتيب بينهما في كتاب ترتيب الأوراد

السابعة صلاة الضحى فالمواظبة عليها من عزائم الأفعال وفواضلها أما عدد ركعاتها فأكثر ما نقل فيه
ثماني ركعات **روت** أم هانئ أخت علي رضي الله عنهما أنه صلى الله عليه وسلم صلى الضحى ثماني ركعات
أطالهن وحسنهن ولم ينقل هذا القدر غيرها فأما عائشة رضي الله عنها فإنها ذكرت
أنه صلى الله عليه وسلم كان يصلي الضحى أربعا ويزيد ما شاء الله فلم تحد الزيادة أي أنه كان يواظب على الأربع
ولا ينقص منها وقد يزيد زيادات **وروي** في حديث مفرد أن النبي عليه السلام كان يصلي الضحى
ست ركعات **وأما** وقتها فقد روي عن علي رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم كان يصلي الضحى
ستا في وقتين إذا أشرقت الشمس وارتفعت قام وصلى ركعتين وهو أول الورد الثاني من أوراد
النهار كما سيأتي وإذا انبسطت الشمس وكانت في ربع السماء من جانب الشرق صلى أربعا

فالأول إنما يكون إذا ارتفعت الشمس نصف رمح والثاني إذا مضى من النهار ربعه بإزاء صلاة العصر
فإن وقتها أن يبقى من النهار ربعه والظهر على منتصف النهار ويكون الضحى على منتصف ما بين طلوع الشمس
إلى الزوال كما أن العصر على منتصف ما بين الزوال إلى الغروب وهذا أفضل الأوقات ومن وقت ارتفاع الشمس
إلى ما قبل الزوال وقت للضحى على الجملة

الثامنة إحياء ما بين العشاءين وهي سنة مؤكدة ومما نقل
عدده من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بين العشاءين ست ركعات ولهذه الصلاة فضل عظيم وقيل إنه المراد
بقوله تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع **وقد روي** عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال من صلى ما بين المغرب
والعشاء فإنها من صلاة الأوابين **وقال** صلى الله عليه وسلم من عكف نفسه ما بين المغرب والعشاء في مسجد
جماعة لم يتكلم إلا بصلاة أو بقرآن كان حقا على الله أن يبني له قصرين في الجنة مسيرة كل قصر منهما مائة
عام ويغرس له بينهما غراسا لو طافه أهل الدنيا لوسعهم وستأتي بقية فضائلها في كتاب الأوراد إن شاء الله

القسم الثاني

ما يتكرر بتكرر الأسابيع وهو صلوات أيام الأسبوع ولياليه
لكل يوم ولكل ليلة

أما الأيام

فنبدأ بيوم الأحد روى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
أنه قال من صلى يوم الأحد أربع ركعات يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وآمن الرسول مرة كتب الله له
بعدد كل نصراني ونصرانية حسنات وأعطاه الله ثواب نبي وكتب له حجة وعمرة وكتب له بكل ركعة
ألف صلاة وأعطاه الله في الجنة بكل حرف مدينة من مسك أذفر **وروي** عن علي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال
وحدوا الله بكثرة الصلاة يوم الأحد فإنه سبحانه واحد لا شريك له فمن صلى يوم الأحد بعد صلاة الظهر
أربع ركعات بعد الفريضة والسنة يقرأ في الركعة الأولى فاتحة الكتاب وتنزيل السجدة وفي الثانية
فاتحة الكتاب وتبارك الملك ثم تشهد وسلم ثم قام فصلى ركعتين أخريين يقرأ فيهما فاتحة الكتاب وسورة
الجمعة وسأل الله حاجته كان حقا على الله أن يقضي حاجته

يوم الاثنين

روى جابر
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من صلى يوم الاثنين عند ارتفاع النهار ركعتين يقرأ في كل ركعة فاتحة
الكتاب مرة وآية الكرسي مرة وقل هو الله أحد والمعوذتين مرة مرة فإذا سلم استغفر الله عشر مرات
وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم عشر مرات غفر الله له ذنوبه كلها **وروى** أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم
أنه قال من صلى يوم الاثنين اثنتي عشرة ركعة يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وآية الكرسي مرة فإذا فرغ
قرأ قل هو الله أحد اثنتي عشرة مرة واستغفر الله اثنتي عشرة مرة ينادى به يوم القيامة أين فلان بن فلان
ليقم فليأخذ ثوابه من الله فأول ما يعطى من الثواب ألف حلة ويتوج ويقال له ادخل الجنة فيستقبله
مائة ألف ملك مع كل ملك هدية يشيعونه حتى يدور على ألف قصر من نور يتلألأ

يوم الثلاثاء

روى يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى يوم الثلاثاء عشر ركعات
عند انتصاف النهار **وفي** حديث آخر عند ارتفاع النهار يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وآية الكرسي
مرة وقل هو الله أحد ثلاث مرات لم تكتب عليه خطيئة إلى سبعين يوما فإن مات إلى سبعين يوما
مات شهيدا وغفر له ذنوب سبعين سنة

يوم الأربعاء

روى أبو إدريس الخولاني

من معاذ بن جبل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى يوم الاربعاء اثنتي عشرة ركعة عند ارتفاع النهار يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وآية الكرسي مرة وقل هو الله احد ثلاث مرات والمعوذتين ثلاث مرات نادى به ملك عند العرش يا عبد الله استأنف العمل فقد غفر لك ما تقدم من ذنبك ورفع الله عنك عذاب القبر وضيقه وظلمته ورفع عنه شدائد القيامة ورفع له من يومه عمل نبي **يوم الخميس** عن عكرمة عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى يوم الخميس بين الظهر والعصر ركعتين يقرأ في الاولى فاتحة الكتاب مرة وآية الكرسي مائة مرة وفي الثانية الفاتحة مرة وقل هو الله احد مائة مرة ويصلي على محمد مائة مرة اعطاه الله ثواب من صام رجب وشعبان ورمضان وكان له من الثواب مثل حاج البيت وكتب له بعدد كل من آمن بالله وتوكل عليه حسنة **يوم الجمعة** روي عن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يوم الجمعة صلاة كله ما من مؤمن قام اذا استقلت الشمس وارتفعت قيد رمح او اكثر من ذلك فتوضأ ثم اسبغ الوضوء فصلى سبحة الضحى ركعتين ايمانا واحتسابا الا كتب الله له مائتي حسنة ومحا عنه مائتي سيئة ومن صلى اربع ركعات رفع الله له في الجنة اربع مائة درجة ومن صلى ثمان ركعات رفع الله تعالى له في الجنة ثمان مائة درجة وغفر له ذنوبه كلها ومن صلى اثنتي عشرة ركعة كتب الله تعالى له الفا ومائتي حسنة ومحا عنه الفا ومائتي سيئة ورفع له في الجنة الفا ومائتي درجة وعن نافع عن ابن عمر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من دخل الجامع يوم الجمعة فصلى اربع ركعات قبل صلاة الجمعة قرأ في كل ركعة الحمد وقل هو الله احد خمسين مرة لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة او يرى له **يوم السبت** روى ابو هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من صلى يوم السبت اربع ركعات يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وقل يا ايها الكافرون ثلاث مرات فاذا فرغ قرأ آية الكرسي كتب الله له بكل حرف حجة وعمرة ورفع له بكل حرف اجر سنة صيام نهارها وقيام ليلها واعطاه الله بكل حرف ثواب شهيد وكان تحت ظل عرش الله مع النبيين والشهداء

واما الليالي فقد روى انس بن مالك في ليلة الاحد انه صلى الله عليه وسلم قال من صلى ليلة الاحد عشرين ركعة يقرأ في كل ركعة الحمد مرة وقل هو الله احد خمسين مرة والمعوذتين مرة مرة واستغفر الله مائة مرة واستغفر لنفسه ولوالديه مائة مرة وصلى على النبي مائة مرة وتبرأ من حوله وقوته والتجأ الى حول الله وقوته ثم قال اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان آدم صفوة الله وفطرته وان ابراهيم خليل الله وموسى كليم الله وعيسى روح الله ومحمد حبيب الله كان له من الثواب بعدد من ادعى لله ولدا ومن لم يدع له ولدا وبعثه الله يوم القيامة مع الآمنين وكان حقا على الله ان يدخله الجنة مع النبيين **ليلة الاثنين** روى الاعمش عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى ليلة الاثنين اربع ركعات يقرأ في الركعة الاولى الحمد لله وقل هو الله احد عشر مرات وفي الركعة الثانية الحمد لله وقل هو الله احد عشرين مرة وفي الركعة الثالثة الحمد لله وقل هو الله احد ثلاثين مرة وصلى على محمد صلى الله عليه وسلم خمسا وسبعين مرة ثم سأل الله حاجته كان حقا على الله ان يعطيه

ما سأله ومن الحسنى صلاة العابد **ليلة الثلاثاء** يصلي ركعتين يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وقل هو الله احد والمعوذتين خمس عشرة مرة وبعد السلام قرأ آية الكرسي خمس عشرة مرة واستغفر الله خمس عشرة مرة عظم الله له ثوابه واعطاه الى الجنة **ليلة الاربعاء** وعن فاطمة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من صلى ليلة الاربعاء ركعتين يقرأ في الركعة الاولى فاتحة الكتاب وقل اعوذ برب الفلق عشر مرات وفي الركعة الثانية فاتحة الكتاب مرة وقل اعوذ برب الناس عشر مرات ثم من كل خطوة سبعون الف ملك يكتبون ثوابه الى يوم القيامة **ليلة الخميس** فقال ابو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم من صلى ليلة الخميس ما بين المغرب والعشاء ركعتين يقرأ في كل ركعة ام الكتاب مرة وآية الكرسي خمس مرات وقل هو الله احد خمس مرات والمعوذتين خمس مرات فاذا فرغ من صلاته استغفر الله خمس عشرة مرة وجعل ثوابه لوالديه فقد ادى حق والديه عليه وان كان عاقا لهما واعطاه الله ما يعطي الصديقين والشهداء **ليلة الجمعة** فقال جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى ليلة الجمعة بين المغرب والعشاء اثنتي عشرة ركعة يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وقل هو الله احد احدى عشرة مرة فكأنما عبد الله اثنتي عشرة سنة صيام نهارها وقيام ليلها وقال انس قال النبي صلى الله عليه وسلم من صلى ليلة الجمعة صلاة العشاء الآخرة في جماعة وصلى ركعتي السنة ثم صلى بعدهما عشر ركعات قرأ في كل ركعة الحمد وقل هو الله احد والمعوذتين مرة مرة ثم اوتر بثلاث ركعات ونام على جنبه الايمن ووجهه الى القبلة فكأنما احيا ليلة القدر وقال صلى الله عليه وسلم اكثروا علي من الصلاة في الليلة الغراء واليوم الازهر ليلة الجمعة ويوم الجمعة **ليلة السبت** فقال انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى ليلة السبت بين المغرب والعشاء اثنتي عشرة ركعة بنى له قصر في الجنة وكانما تصدق على كل مؤمن ومؤمنة وتبرأ من اليهود وكان حقا على الله ان يغفر له

القسم الثالث فيما يتكرر بتكرر السنين وهي اربع صلاة العيدين والتراويح وصلاة رجب وصلاة شعبان **الاولى** صلاة العيدين وهي سنة مؤكدة وشعار من شعائر الدين وينبغي ان يراعى فيها سبعة امور **الاول** التكبير ثلاثا نسقا فيقول الله اكبر الله اكبر الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة واصيلا لا اله الا الله وحده لا شريك له مخلصين له الدين ولو كره الكافرون ويفتتح التكبير ليلة العيد الى الشروع في صلاة العيد وفي العيد الثاني يفتتح التكبير عقيب الصبح يوم عرفة الى آخر النهار في يوم الثالث عشر ويكبر عقيب الصلوات المفروضة وعقيب النوافل وهو عقيب الفرائض آكد **الثاني** اذا اصبح يوم العيد اغتسل وتزين وتطيب كما ذكرناه في الجمعة والرداء والعمامة هو الافضل للرجال ويجنب الصبيان الحرير والعجائز التزين عند الخروج **الثالث** ان يخرج من طريق ويرجع من طريق اخرى هكذا فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان صلى الله عليه وسلم يأمر باخراج العواتق وذوات الخدور **الرابع** المستحب الخروج الى الصحراء الا بمكة وبيت المقدس وان كان يوم مطر فلا بأس بالصلاة في المسجد ويجوز في يوم الصحو ان يأمر الامام رجلا يصلي بالضعفة في المسجد ويخرج بالاقوياء مكبرين **الخامس** يراعي الوقت فوقت الصلاة ما بين طلوع

ويستغفر الله لصاحب القيام عشر مرات ويصلي على رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر مرات

الشمس الى الزوال ووقت الذبح للضحايا ما بين ارتفاع الشمس بقدر خطبتين وركعتين الى آخر اليوم الثالث
عشر ويستحب تعجيل صلاة الاضحى لاجل الذبح وتاخير صلاة الفطر لاجل تفريق صدقة الفطر قبلها هذه سنة
رسول الله صلى الله عليه وسلم **السادس** في كيفية الصلاة فليخرج الناس مكبرين في الطريق فاذا بلغ الامام
المصلى لم يجلس ولم يتنفل ويقطع الناس التنفل ثم ينادي مناد الصلاة جامعة ويصلي الامام ركعتين يكبر في الاولى
سوى تكبيرة الاحرام والركوع سبع تكبيرات يقول بين كل تكبيرتين سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر
ويقول وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض عقيب تكبيرة الافتتاح ويؤخر الاستعاذة الى
ما وراء الثامنة ويقرأ سورة ق في الاولى بعد الفاتحة واقتربت في الثانية والتكبيرات الزوائد
في الثانية خمس سوى تكبيرتي القيام والركوع وبين كل تكبيرتين ما ذكرناه ثم يخطب خطبتين بينهما
جلسة خفيفة ومن فاتته صلاة العيد قضاها **السابع** ان يضحي بكبش ضحى رسول الله
صلى الله عليه وسلم بكبش وذبح بيده وقال بسم الله والله اكبر هذا عني وعمن لم يضح من امتي وقال صلى الله عليه وسلم
من رأى هلال ذي الحجة فاراد ان يضحي فلا ياخذن من شعره ولا من اظفاره شيئا وقال ابو ايوب الانصاري كان الرجل
يضحي على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشاة عن اهل بيته فياكلون ويطعمون وله ان ياكل
من الضحية بعد ثلاثة ايام فما فوق وردت الرخصة فيه بعد النهي عنه وقال سفيان الثوري
يستحب ان يصلي بعد عيد الفطر اثنتي عشرة ركعة وبعد عيد الاضحى ست ركعات وقال هو من السنة

التراويح وهي عشرون ركعة وكيفيتها مشهورة وهي سنة مؤكدة وان كانت
دون العيدين واختلفوا في ان الجماعة افضل فيها ام الانفراد وقد خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيها ليلتين او ثلاثا للجماعة ثم لم يخرج وقال اخاف ان توجب عليكم وجمع عمر رضي الله عنه الناس
عليها في الجماعة حيث امن من الوجوب بانقطاع الوحي فقيل ان الجماعة افضل لفعل عمر رضي الله عنه
ولان الاجتماع بركة وله فضيلة بدليل الفرائض ولانه ربما يكسل في الانفراد وينشط عند مشاهدة الجمع
وقيل الانفراد افضل لان هذه سنة ليست من الشعائر كالعيدين فالحاقها بصلاة الضحى وتحية المسجد
اولى ولم تشرع فيها جماعة وقد جرت العادة بان يدخل المسجد جمع معا ثم لم يصلوا التحية بالجماعة
ولقوله صلى الله عليه وسلم فضل صلاة التطوع في بيته على صلاته في المسجد كفضل صلاة المكتوبة في المسجد
على صلاته في البيت وروي انه قال صلاة في مسجدي هذا افضل من مائة صلاة في غيره من المساجد وصلاة
في المسجد الحرام افضل من الف صلاة في مسجدي وافضل من ذلك كله رجل يصلي في زاوية بيته ركعتين
لا يعلمهما الا الله وهذا لان الرياء والتصنع ربما يتطرق اليه في الجمع ويامن منه في الوحدة فهذا ما
قيل فيه والمختار ان الجماعة افضل كما رآه عمر رضي الله عنه فان بعض النوافل قد شرعت
فيها الجماعة وهذا جدير بان يكون من الشعائر التي تظهر واما الالتفات الى الرياء في الجمع والكسل
في الانفراد فعدول عن مقصود النظر في فضيلة الجمع من حيث انه جماعة وكان قائله يقول الصلاة
خير من تركها بالكسل والاخلاص خير من الرياء فلنفرض المسألة فيمن يثق من نفسه انه لا يكسل لو انفرد

ولا يرائي لو حضر الجمع فايهما افضل له ففيه يتردد النظر وبركة الجمع وفي الوحدة مزيد الاخلاص وحضور القلب
في الوحدة فيجوز ان يتردد في تفضيل احدهما على الآخر ومما يستحب القنوت في الوتر في النصف
الاخير من رمضان **اما صلاة رجب** فقد روي باسناد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما من احد
يصوم اول خميس من رجب ثم يصلي فيما بين العشاء والعتمة اثنتي عشرة ركعة يفصل بين كل ركعتين بتسليمة
يقرأ في كل ركعة بفاتحة الكتاب مرة وانا انزلناه في ليلة القدر ثلاث مرات وقل هو الله احد اثنتي عشرة
مرة فاذا فرغ من صلاته صلى علي سبعين مرة يقول اللهم صل على محمد النبي الامي وعلى آله ثم يسجد ويقول في سجوده
سبوح قدوس رب الملائكة والروح سبعين مرة ثم يرفع رأسه ويقول سبعين مرة رب اغفر وارحم وتجاوز
عما تعلم انك انت الاعز الاكرم ثم يسجد سجدة اخرى ويقول فيها مثل ما قال في السجدة الاولى ثم يسأل حاجته
في سجوده فانها تقضى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يصلي احد هذه الصلاة الا غفر الله له جميع
ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر وعدد الرمل ووزن الجبال وورق الاشجار ويشفع يوم القيامة في سبعمائة
من اهل بيته ممن قد استوجب النار فهذه صلاة مستحبة وانما اوردناها في هذا القسم لانها تتكرر بتكرر
السنين وان كانت رتبتها لا تبلغ رتبة التراويح وصلاة العيد لان هذه الصلاة نقلها الآحاد ولكني رأيت
اهل القدس باجمعهم يواظبون عليها ولا يسمحون بتركها فاحببت ايرادها **اما صلاة شعبان**
فهي ليلة الخامس عشر منه يصلي مائة ركعة كل ركعتين بتسليمة يقرأ في كل ركعة بعد الفاتحة
قل هو الله احد احدى عشرة مرة وان شاء صلى عشر ركعات يقرأ في كل ركعة بعد الفاتحة مائة مرة قل هو
الله احد فهذا ايضا مروي في جملة الصلوات كان السلف يصلون هذه
الصلاة ويسمونها صلاة الخير ويجتمعون فيها وربما صلوها جماعة وروي عن الحسن انه قال
حدثني ثلاثون من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ان من صلى هذه الصلاة في هذه الليلة نظر الله اليه
سبعين نظرة وقضى له بكل نظرة سبعين حاجة ادناها المغفرة **القسم الرابع**
من النوافل ما يتعلق باسباب عارضة ولا يتعلق بالمواقيت وهي تسعة صلاة الخسوف والكسوف والاستسقاء وتحية
المسجد وركعتا الوضوء وركعتان بين الاذان والاقامة وركعتان عند الخروج من المنزل والدخول
فيه ونظائر ذلك فنذكر منها ما يحضرنا الآن **الاولى** صلاة الخسوف قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينخسفان لموت احد ولا لحياته فاذا رأيتم ذلك
فافزعوا الى ذكر الله والصلاة قال ذلك لما مات ولده ابراهيم وكسفت الشمس فقال الناس انما كسفت
لموته والنظر في كيفيتها ووقتها اما الكيفية فاذا كسفت الشمس في وقت الصلاة فيه مكروهة او غير
مكروهة نودي الصلاة جامعة وصلى الامام بالناس في المسجد ركعتين وركع في كل ركعة ركوعين اوائلهما اطول
من اواخرهما ولا يجهر فيقرأ في الاولى من قيام الركعة الاولى الفاتحة والبقرة وفي الثانية الفاتحة وآل عمران
وفي الثالثة الفاتحة وسورة النساء وفي الرابعة الفاتحة والمائدة او مقدار ذلك
من القرآن من حيث اراد ولو اقتصر على الفاتحة في كل قيام اجزأه ولو اقتصر على سور قصار فلا بأس

ومقصود التطويل دوام الصلاة الى الانجلاء ويسبح في الركوع الاول قدر مائة آية وفي الثاني قدر ثمانين
وفي الثالث قدر سبعين وفي الرابع قدر خمسين ويكون السجود على قدر الركوع وفي كل ركعة يقرأ فاتحة الكتاب
بعد الصلاة بينهما جلسة ويأمر الناس بالصدقة والعتق والتوبة وكذلك يفعل في خسوف القمر
الا انه يصلى الصلاة الا انها ليلية فاما وقتها فمن ابتداء الخسوف الى تمام الانجلاء ويخرج وقتها بان
تغرب الشمس كاسفة وتفوت صلاة خسوف القمر بان يطلع قرص الشمس اذ يبطل سلطان الليل
ولا تفوت بغروب القمر خاسفا لان الليل كله سلطان القمر وان انجلى في اثناء الصلاة اتمها مخففة
ومن ادرك الركوع الثاني مع الامام فقد فاتته تلك الركعة لان الاصل هو الركوع الاول **الثانية**
صلاة الاستسقاء فاذا غارت الانهار وانقطعت الامطار او انهارت قناة فيستحب للامام ان يأمر
الناس اولا بالصيام ثلاثة ايام وما اطاقوا من الصدقة والخروج من المظالم والتوبة من المعاصي ثم
يخرج بهم يوم الرابع ويخرج بالعجائز والصبيان متنظفين في ثياب بذلة وتواضع واستكانة متواضعين
بخلاف العيد وقيل يستحب اخراج الدواب لمشاركتها في الحاجة ولقوله صلى الله عليه وسلم لولا صبيان
رضع ومشايخ ركع وبهائم رتع لصب عليكم العذاب صبا وليخرج اهل الذمة متميزين لا يختلطون
واذا اجتمعوا في المصلى الواسع من الصحراء نودي الصلاة جامعة وصلى بهم الامام ركعتين مثل صلاة
العيد من غير تكبير ثم يخطب خطبتين بينهما جلسة خفيفة وليكن الاستغفار معظم الخطبتين وينبغي في
وسط الخطبة الثانية ان يستدبر الناس ويستقبل القبلة ويحول رداءه في هذه الساعة تفاؤلا
بتحويل الحال هكذا فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيجعل اعلاه اسفله وما على اليمين على الشمال
وما على الشمال على اليمين وكذلك يفعل الناس ويدعون في هذه الساعة سرا ثم يستقبلهم فيختم الخطبة
ويدعون اردية محولة كما هي حتى ينزعوها متى نزعوا ثيابهم ويقول في الدعاء اللهم انك امرتنا
بدعائك ووعدتنا اجابتك فقد دعوناك كما امرتنا فاجبنا كما وعدتنا اللهم فامنن علينا بمغفرة
ما قارفنا واجابتك في سقيانا وسعة رزقنا ولا بأس بالدعاء ادبار الصلوات في الايام الثلاثة
قبل الخروج وليكن الدعاء ومقدمه بالاعتراف بالتوبة ورد المظالم وغير ذلك من وسيلة ذلك في اجابة
الدعوات **الثالثة صلاة الجنازة** وكيفيتها مشهورة واجمع دعاء ما أثر فيها ما روي في الصحيح
عن عوف بن مالك قال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على جنازة فحفظت من دعائه وهو يقول اللهم
اغفر له وارحمه وعافه واعف عنه واكرم نزله ووسع مدخله واغسله بالماء والثلج والبرد ونقه
من الخطايا كما ينقى الثوب الابيض من الدنس وابدله دارا خيرا من داره واهلا خيرا من اهله
وزوجا خيرا من زوجه وادخله الجنة واعذه من عذاب القبر ومن عذاب النار قال حتى تمنيت ان اكون
انا ذلك الميت ومن ادرك التكبيرة الثانية فينبغي ان يأتي بتلك الصلاة بنفسه ويكبر مع تكبيرات
الامام فاذا سلم الامام قضى ما فاته كفعل المسبوق فانه لو بادر التكبيرات لم يبق للقدوة في هذه
الصلاة معنى فالتكبيرات من اركان الصلاة وجديرة بان تقام مقام الركعات في سائر الصلوات

هو المشهور وان كان غيره محتملا والاخبار الواردة في فضل صلاة الجنازة وتشييعها مشهورة
فلا نطول بايرادها وكيف لا يعظم فضلها وهي من فروض الكفايات وانما تصير نفلا في حق من لم تتعين عليه
بحضور غيره ثم ينال بها فضل فرض الكفاية وان لم تتعين لانهم بجملتهم قاموا بالفرض واسقطوا الحرج عن غيرهم
فلا يكون ذلك كنفل لا يسقط به فرض عن احد ويستحب طلب كثرة الجمع تبركا بكثرة الهمم والادعية واشتماله
على من دعوته مستجابة لما روي عن ابن عباس انه مات له ابن فقال يا كريب انظر ما اجتمع له من الناس
قال فخرجت فاذا ناس قد اجتمعوا له فاخبرته فقال تقول هم اربعون قلت نعم قال اخرجوه فاني سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته اربعون رجلا لا يشركون
بالله شيئا الا شفعهم الله فيه واذا شيع الجنازة فوصل المقابر او دخلها ابتداء قال السلام على اهل
الديار من المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين وانا ان شاء الله بكم لاحقون
والاولى ان لا ينصرف حتى يدفن الميت فاذا سوى على الميت قبره قام عليه وقال اللهم عبدك رد اليك
فارأف به وارحمه اللهم جاف الارض عن جنبيه وافتح ابواب السماء لروحه وتقبله بقبول حسن اللهم ان كان
محسنا فضاعف له في احسانه وان كان مسيئا فتجاوز عنه **الرابعة** تحية المسجد ركعتان فصاعدا وهي
سنة مؤكدة حتى انها لا تسقط وان كان الامام يخطب على المنبر في الخطبة يوم الجمعة مع تأكد وجوب الاصغاء الى
الخطيب ولو اشتغل بفرض او قضاء تأدى به التحية وحصل الفضل اذ المقصود ان لا يخلو ابتداء دخوله عن
العبادة الخاصة بالمسجد قياما بحق المسجد ولهذا يكره ان يدخل المسجد على غير وضوء فان دخل لعبور او
جلوس فليقل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر يقولها اربع مرات فيقال انها عدل ركعتين
في الفضل ومذهب الشافعي انه لا يكره التحية في اوقات الكراهية وهي بعد العصر والصبح ووقت
الزوال ووقت الطلوع والغروب لما روي انه صلى الله عليه وسلم صلى ركعتين بعد العصر فقيل له اما
نهيتنا عن هذا فقال هما ركعتان كنت اصليهما بعد الظهر فشغلني عنهما الوفد وافاد هذا الحديث
فائدتين احداهما ان الكراهية مقصورة على صلاة لا سبب لها ومن اضعف الاسباب قضاء النوافل اذ اختلف
العلماء في ان النوافل هل تقضى واذا فعل مثل ما فاته هل يكون قضاء فاذا انتفت الكراهية باضعف
الاسباب فلم لا تنتفي بدخول المسجد وهو سبب قوي ولذلك لا تكره صلاة الجنازة اذا حضرت ولا صلاة
الخسوف والاستسقاء في هذه الاوقات لان لها اسبابا الفائدة الثانية قضاء النوافل اذ قضى
رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك ولنا في رسول الله اسوة حسنة وقالت عائشة رضي الله عنها
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا غلبه نوم او مرض فلم يقم تلك الليلة صلى من النهار اثنتي عشرة ركعة
وقد قال العلماء من كان في الصلاة فجاءه جواب المؤذن فاذا سلم قضى واجاب وان كان المؤذن قد
سكت ولا معنى لقول من يقول ان ذلك مثل الاول فليس بقضاء اذ لو كان كذلك لما صلاهما رسول
الله صلى الله عليه وسلم في وقت الكراهية فمن كان له ورد فعاقه عن ذلك عذر فينبغي ان لا يرخص
لنفسه في تركه بل يتداركه في وقت اخر كي لا تميل نفسه الى الدعة والرفاهية وتداركه حسن على سبيل

عند من السفر وانه عليه السلام قال احب الاعمال الى الله ادومها وان قل فيعض به لا ينبغي دوام عمله
وروت عائشة رضي الله عنها عن النبي عليه السلام انه قال من عوده الله عبادة ثم تركها ملالة مقته الله تعالى
فحذار ان يدخل تحت هذا الوعيد وتحقيق هذا الخبر انه مقته الله تعالى بتركها ملالة فلولا المقت والابعاد لما سلط
الملالة عليه **الخامسة** ركعتان بعد الوضوء مستحبتان لان الوضوء قربة ومقصودها الصلاة والاحداث
عارضة فربما يطرأ الحدث قبل صلاة فيبطل الوضوء ويضيع السعي فالمبادرة الى ركعتين استيفاء لمقصود
الوضوء قبل الفوات وعرف ذلك بحديث بلال اذ قال صلى الله عليه وسلم دخلت الجنة فرأيت بلالا فيها
فقلت لبلال بم سبقتني الى الجنة فقال بلال لا اعرف شيئا الا اني لا احدث وضوءا الا اصلي عقيبه ركعتين
وكما قال **السادسة** ركعتان عند دخول المنزل وعند الخروج منه روى ابو هريرة رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خرجت من منزلك فصل ركعتين تمنعانك مخرج السوء واذا دخلت
الى منزلك فصل ركعتين تمنعانك مدخل السوء وفي معنى هذا كل امر يبتدأ به مما له وقع ولذلك ورد ركعتان
عند الاحرام وركعتان عند ابتداء السفر وركعتان عند الرجوع من السفر في المسجد قبل دخول البيت فكل ذلك
مأثور من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان بعض الصالحين اذا اكل اكلة صلى ركعتين واذا شرب
شربة صلى ركعتين وكذلك في كل امر يحدثه وبدايات الامور ينبغي ان يتبرك فيها بذكر الله وهي على ثلاث مراتب
بعضها يتكرر مرارا كالاكل والشرب فيبدأ فيه باسم الله فقال صلى الله عليه وسلم كل امر ذي بال لم يبدأ
فيه باسم الله فهو ابتر الثانية ما لا يكثر تكرره وله وقع كعقد النكاح وابتداء النصيحة والمشورة
فالمستحب فيها ان يصدر بحمد الله سبحانه فيقول المزوج الحمد لله والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم
زوجتك ابنتي ويقول القابل الحمد لله والصلاة على رسول الله قبلت النكاح وقد كانت عادة
الصحابة في ابتداء اداء الرسالة والنصيحة والمشورة تقديم الحمد الثالثة ما لا يتكرر كثيرا واذا وقع دام
وكان له وقع كالسفر وشراء دار جديدة والاحرام وما يجري مجراه فيستحب تقديم ركعتين عليه وادناه
الخروج من المنزل والدخول اليه فانه نوع سفر قريب **السابعة** صلاة الاستخارة فمن
هم بامر وكان لا يدري عاقبته ولا يعرف ان الخير في تركه او الاقدام عليه فقد امره رسول الله صلى الله عليه وسلم
بان يصلي ركعتين يقرأ في الاولى فاتحة الكتاب وقل يا ايها الكافرون وفي الثانية الحمد وقل هو الله
احد فاذا فرغ دعا وقال اللهم اني استخيرك بعلمك واستقدرك بقدرتك واسألك من فضلك فانك تقدر ولا اقدر وتعلم
ولا اعلم وانت علام الغيوب اللهم ان كنت تعلم ان هذا الامر خير لي في ديني ودنياي وعاقبة امري وعاجله
واجله فاقدره لي وبارك لي فيه ثم يسره لي وان كنت تعلم ان هذا الامر شر لي في ديني ودنياي وعاقبة امري وعاجله
واجله فاصرفني عنه واصرفه عني واقدر لي الخير حيث كان انك على كل شيء قدير رواه جابر بن عبد الله
قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا الاستخارة في الامور كلها كما يعلمنا السورة من القرآن
وقال صلى الله عليه وسلم اذا هم احدكم بامر فليصل ركعتين ثم ليسم الامر ويدعو بما ذكرنا وقال بعض
الحكماء من اعطي اربعا لم يمنع اربعا من اعطي الشكر لم يمنع المزيد ومن اعطي التوبة لم يمنع القبول

ومن اعطي الاستخارة لم يمنع الخيرة ومن اعطي المشورة لم يمنع الصواب **الثامنة** صلاة الحاجة فمن ضاق
عليه الامر ومست حاجته في صلاح دينه ودنياه الى امر تعذر عليه فليصل هذه الصلاة فقد روي عن وهيب بن الورد انه قال
ان من الدعاء الذي لا يرد ان يصلي العبد ثنتي عشرة ركعة يقرأ في كل ركعة بام الكتاب واية الكرسي وقل هو الله احد
فاذا فرغ خر ساجدا ثم قال سبحان الذي لبس العز وقال به سبحان الذي تعطف بالمجد وتكرم به سبحان الذي احصى كل
شيء بعلمه سبحان الذي لا ينبغي التسبيح الا له سبحان ذي المن والفضل سبحان ذي العز والكرم سبحان ذي الطول
اسألك بمعاقد العز من عرشك ومنتهى الرحمة من كتابك وباسمك الاعظم وجدك الاعلى وكلماتك التامات
التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر ان تصلي على محمد ثم يسأل حاجته التي لا معصية فيها فيجاب ان شاء الله وقال وهيب
وبلغنا انه كان يقال لا تعلموها سفهاءكم فيتعاونون بها على معصية الله عز وجل **التاسعة** صلاة التسبيح
وهذه الصلاة مأثورة على وجهها ولا تختص بوقت ولا بسبب ويستحب ان لا يخلو الاسبوع منها مرة واحدة
او الشهر مرة فقد روى عكرمة عن ابن عباس انه قال قال صلى الله عليه وسلم للعباس بن عبد المطلب الا اعطيك الا
امنحك الا احبوك بشيء اذا انت فعلته غفر الله لك ذنبك اوله واخره قديمه وحديثه خطأه وعمده سره
وعلانيته تصلي اربع ركعات تقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وسورة فاذا فرغت من القراءة في اول ركعة
وانت قائم قلت سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر خمس عشرة مرة ثم تركع فتقولها عشرا
ثم ترفع راسك فتقولها قائما عشرا ثم تسجد فتقولها عشرا ثم ترفع من السجود فتقولها عشرا ثم تسجد فتقولها
عشرا ثم ترفع راسك فتقولها عشرا فذلك خمس وسبعون في كل ركعة تفعل ذلك في اربع ركعات
ان استطعت ان تصليها في كل يوم مرة فافعل فان لم تفعل ففي كل جمعة مرة فان لم تفعل ففي كل شهر مرة وفي
رواية اخرى انه يقول في اول الصلاة سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك
ثم يسبح خمس عشرة تسبيحة قبل القراءة وعشرا بعد القراءة والباقي كما سبق عشرا عشرا ولا يسبح بعد السجود الاخير
قاعدا وهذا هو الاحسن وهو اختيار ابن المبارك والمجموع في الروايتين ثلاثمائة تسبيحة
فان صلاها نهارا فبتسليمة واحدة وان صلاها ليلا فبتسليمتين احسن اذ ورد ان صلاة الليل مثنى مثنى
وان زاد بعد التسبيح قوله ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فهو حسن فقد ورد ذلك في بعض
الروايات فهذه هي الصلوات المأثورة ولا يستحب شيء من هذه النوافل في الاوقات المكروهة الا ما ...
[illegible] وما ورد [illegible] كركعتي الوضوء وصلاة الاستخارة والخروج
من المنزل والاستخارة فلا لان النهي مؤكد وهذه الاسباب ضعيفة فلا تبلغ درجة الخسوف والاستسقاء
والتحية وقد رأيت بعض المتصوفة يصلي في الاوقات المكروهة ركعتي الوضوء وهو في غاية البعد
لان الوضوء لا يكون سببا للصلاة بل الصلاة سبب الوضوء فينبغي ان يتوضأ ليصلي لا انه يصلي
لانه توضأ وكل محدث يريد ان يصلي في وقت الكراهة فلا سبيل له الا ان يتوضأ ويصلي فلا يبقى
للكراهة معنى ولا ينبغي ان ينوي ركعتي الوضوء كما ينوي ركعتي التحية بل اذا توضأ صلى ركعتين
تطوعا كي لا يتعطل وضوءه كما كان يفعله بلال فهو تطوع محض يقع عقيب الوضوء وحديث بلال

بل ينبغي أن ينوي بالوضوء الصلاة وينبغي أن يتطهر ليصلي بذلك الوضوء ما أراد من الصلاة وفي صلاته ... بالوضوء ... من غير وضوء عن التعطيل في وقت الكراهة فلا يجوز أن يكون ذلك مقصد صلاته ... فأما قضاء الصلوات في وقت الكراهة فغير منهي عنه ... في التطوع فلا وجه له ... في أوقات الكراهة مهمات ثلاث: أحدها التوقي من مضاهاة عبدة الشمس والثاني الاحتراز من انتشار الشياطين إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الشمس لتطلع ومعها قرن الشيطان فإذا طلعت قارنها وإذا ارتفعت فارقها فإذا استوت قارنها فإذا زالت فارقها فإذا تضيفت للغروب قارنها فإذا غربت فارقها ونهى عن الصلاة في هذه الأوقات ونبه به على العلة والثالث أن سالكي طريق الآخرة لا يزالون يواظبون على الصلوات في جميع الأوقات والمواظبة على نمط واحد من العبادات يورث الملال ومهما منع منها ساعة زاد النشاط وانبعثت الدواعي والإنسان حريص على ما منع منه ففي تعطيل هذه الأوقات زيادة تحريض وبعث على انتظار انقضاء الوقت فخصصت هذه الأوقات بالتسبيح والاستغفار حذراً من الملال بالمداومة وتفرجاً بالانتقال من نوع عبادة إلى نوع آخر ففي الاستطراف والاستجداد لذة ونشاط وفي الاستمرار استثقال وملال ولذلك لم تكن الصلاة سجوداً مجرداً ولا ركوعاً مجرداً ولا قياماً مجرداً بل رتبت العبادات من أعمال مختلفة وأذكار متباينة فإن القلب يدرك من كل عمل منها لذة جديدة عند الانتقال إليه ولو واظب على الشيء الواحد لتسارع إليه الملال وإذا كانت هذه أموراً مهمة في النهي عن أوقات الكراهة إلى غير ذلك من أسرار أخر ليس في قوة البشر الاطلاع عليها والله ورسوله أعلم بها فهذه المهمات لا تترك إلا بأسباب مهمة في الشرع مثل قضاء الصلوات وصلاة الاستسقاء والخسوف وتحية المسجد فأما ما ضعف عنها فلا ينبغي أن يصادم به مقصود النهي هذا هو الأوجه عندنا والله أعلم بالصواب

تم كتاب أسرار الصلاة والحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليما

كتاب أسرار الزكاة

الحمد لله الذي أسعد وأشقى وأمات وأحيا وأضحك وأبكى وأوجد وأفنى وأفقر وأغنى وأضر وأقنى الذي خلق الحيوان من نطفة تمنى ثم تفرد عن الخلق بوصف الغنى ثم خصص بعض عباده بالحسنى فأفاض عليهم من نعمه ما أيسر به من شاء منهم وأغنى وأحوج إليه من أخفق في رزقه وأكدى إظهاراً للامتحان والابتلاء ثم جعل الزكاة للدين أساساً ومبنى وبين أن بفضله تزكى من عباده من تزكى ومن ماله زكى والصلاة على محمد المصطفى سيد الورى وشمس الهدى وعلى آله المخصوصين بالعلم والتقى وسلم أما بعد فإن الله تعالى جعل الزكاة إحدى مباني الإسلام

وأردفها بذكر الصلاة التي هي أعلى الأعلام فقال تعالى وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وقال صلى الله عليه وسلم بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وشدد الوعيد على المقصرين فيها فقال والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم ومعنى الإنفاق في سبيل الله إخراج حق الزكاة قال الأحنف بن قيس كنت في نفر من قريش فمر أبو ذر فقال بشر الكانزين بكي في ظهورهم يخرج من جنوبهم وبكي في أقفائهم يخرج من جباههم وفي رواية يوضع على حلمة ثدي أحدهم فيخرج من نغض كتفه ويوضع على نغض كتفه حتى يخرج من حلمة ثدييه وقال أبو ذر انتهيت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس في ظل الكعبة فلما رآني قال هم الأخسرون ورب الكعبة فقلت ومن هم قال الأكثرون أموالاً إلا من قال هكذا وهكذا من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله وقليل ما هم ما من صاحب إبل ولا بقر ولا غنم لا يؤدي زكاتها إلا جاءت يوم القيامة أعظم ما كانت وأسمنه تنطحه بقرونها وتطؤه بأظلافها كلما نفدت أخراها عادت عليه أولاها حتى يقضى بين الناس وإذا كان هذا التشديد مخرجاً في الصحيحين فقد صار من مهمات الدين الكشف عن أسرار الزكاة وشروطها الجلية والخفية ومعانيها الظاهرة والباطنة مع الاقتصار على ما لا يستغني عن معرفته مؤدي الزكاة وقابضها وينكشف ذلك في أربعة فصول الأول في أنواع الزكاة وأسباب وجوبها والثاني في آدابها وشروطها الباطنة والظاهرة والثالث في القابض وشروط استحقاقه وآداب قبضه والرابع في صدقة التطوع وفضلها

الفصل الأول في أنواع الزكاة وأسباب وجوبها

والزكوات باعتبار متعلقاتها ستة أنواع زكاة النعم والنقدين والتجارة وزكاة الركاز والمعادن وزكاة المعشرات وزكاة الفطر

النوع الأول زكاة النعم

ولا تجب هذه الزكاة وغيرها إلا على حر مسلم ولا يشترط البلوغ بل تجب في مال الصبي والمجنون هذا شرط من عليه وأما المال فشروطه خمسة أن يكون نعماً سائمة باقية حولاً نصاباً كاملاً مملوكاً على الكمال الشرط الأول كونه نعماً فلا زكاة إلا في الإبل والبقر والغنم أما الخيل والبغال والحمير والمتولد من الظباء والغنم فلا زكاة فيها الثاني السوم فلا زكاة في معلوفة وإذا أسيمت في وقت وعلفت في وقت تظهر بذلك مؤنتها فلا زكاة فيها الثالث الحول قال صلى الله عليه وسلم لا زكاة في مال حتى يحول عليه الحول ويستثنى من هذا نتاج المال فإنه ينسحب عليه حكم المال وتجب الزكاة فيه بحول الأصل ومهما باع المال في أثناء الحول أو وهبه انقطع الحول الرابع كمال الملك والتصرف فتجب الزكاة في الماشية المرهونة لأنه الذي حجر على نفسه فيه ولا تجب في الضال والمغصوب إلا إذا عاد بجميع نمائه فيجب زكاة ما مضى عند عوده ولو كان عليه دين مستغرق لماله فلا زكاة عليه لأنه ليس غنياً إذ الغني ما يفضل عن الحاجة الخامس كمال النصاب أما الإبل فلا شيء فيها حتى تبلغ خمساً ففيها جذعة من الضأن والجذعة هي التي تكون في السنة الثانية أو ثنية من المعز وهي التي تكون في السنة الثالثة وفي عشر شاتان وفي خمس عشرة ثلاث شياه وفي عشرين أربع شياه وفي خمس وعشرين بنت مخاض وهي التي في السنة الثانية فإن لم يكن في ماله بنت مخاض فابن لبون

وهو الذي في السنة الثالثة ويجزئ ابن لبون ذكر إن لم توجد ثم في ست وثلاثين بنت لبون ثم إذا بلغت ستا
وأربعين ففيها حقة وهي التي في السنة الرابعة فإذا طرقت إحدى وستين ففيها جذعة وهي التي في السنة
الخامسة فإذا طرقت ستا وسبعين ففيها بنتا لبون فإذا طرقت إحدى وتسعين ففيها حقتان فإذا طرقت
إحدى وعشرين ومائة ففيها حقتان أو ثلاث بنات لبون فإذا طرقت مائة وثلاثين فما زاد استقر
الحساب في كل خمسين حقة وفي كل أربعين بنت لبون **وأما البقر** فلا شيء فيها حتى تبلغ ثلاثين
ففيها تبيع وهو الذي في السنة الثانية ثم في أربعين مسنة وهي التي في السنة الثالثة ثم في الستين تبيعان
واستقر الحساب بعد ذلك في كل أربعين مسنة وفي كل ثلاثين تبيع **وأما الغنم** فلا زكاة فيها حتى
تبلغ أربعين ففيها شاة جذعة من الضأن أو ثنية من المعز ثم لا شيء فيها حتى تبلغ مائة وعشرين وواحدة ففيها
شاتان إلى مائتين وواحدة ففيها ثلاث شياه إلى أربعمائة ففيها أربع شياه ثم استقر الحساب في كل مائة
شاة **وصفة** الخلطة التي تؤثر في النصاب فإن كان بين خليطين مائة وعشرون من الغنم ففيها
شاة وإن كانوا ثلاثة لهم مائة وعشرون ففيها شاة على جميعهم وخلطة الحوائج أن يجتمع الشركاء
[illegible] ويكون الراعي معا ويكون الفحل معا
وأن يكونا جميعا من أهل الزكاة فلا حكم للخلطة مع الذمي والمكاتب ومنها أن الواجب في الإبل
[illegible] وإن لم يوجد ابن لبون أو بنت مخاض في المال [illegible] بنت لبون والسن واحدة شاتين
أو عشرين درهما [illegible] أربع شياه أو أربعين درهما [illegible] في الصغير [illegible]
[illegible] ولا يؤخذ في الزكاة مريضة إذا كان بعض المال صحيحا ولو واحدة
ويؤخذ من الكرائم [illegible] ولا يؤخذ من المال الأكولة ولا الماخض ولا الربى ولا الفحل ولا
عن المال **النوع الثاني** زكاة الحبوب والثمار تجب العشر في كل ما أنبتته الأرض [illegible]
بلغ ثلاث مائة صاع وهي خمسة أوسق [illegible] والفواكه والخضر والكرسنة والحبوب إلا في القطاني وفي التمر
والزبيب ويحتاج أن يكون ثمانمائة [illegible] ويخرج ذلك بعد التصفية
[illegible] كالقطاني [illegible] في جميعهم ثمانمائة
من زبيب [illegible] ولا يكمل
نصاب الحنطة بالشعير ويكمل نصاب الشعير بالسلت فإنه نوع منه [illegible] من الواجب إن كان
يسقى بنضح أو سانية فإن كان يسقى بنضح أو سانية فيجب نصف العشر فإن اجتمعا فالأغلب [illegible]
وأما صفة الواجب [illegible] والزبيب [illegible] ولا يخرج من التمر ولا بلح
[illegible] فإن كان [illegible] ويؤخذ من الوسط [illegible]
[illegible] ووقت
الوجوب [illegible] ووقت الإخراج [illegible]
النوع الثالث زكاة النقدين [illegible] الحول على ما يبلغ من وزنه مائتي درهم خالصة

ففيها خمسة دراهم وهو ربع العشر وما زاد فبحسابه ولو درهما واحدا ونصاب الذهب عشرون دينارا خالصة
بوزن مكة وفيها ربع العشر فما زاد فبحسابه وإن نقص من النصاب شيء فلا زكاة ووقع علي من يعد دراهم
مغشوشة إذا كان فيها من الخالص ما يبلغ النصاب [illegible] **ويجب** الزكاة في التبر والحلي المكسور
كالأواني من الذهب والفضة ومن الذهب للرجال والحلي المباح [illegible]
[illegible] وإن كان موصلا فلا يجب [illegible] **النوع الرابع**
زكاة التجارة [illegible] كزكاة النقدين [illegible] الحول من يوم ملك [illegible] البضاعة إن كان
نصابا [illegible] على نية التجارة فالحول من وقت الشراء ويؤدي الزكاة من غير [illegible]
ويقوم ما كان [illegible] وإن كان نصابا كاملا كان التقويم [illegible]
التجارة [illegible] فلا يعتبر الحول [illegible] حتى يشتري به شيئا ومما قطع نية التجارة قبل تمام
الحول سقطت الزكاة والأولى أن يؤدي زكاة تلك السنة وما كان من دين في السلعة [illegible] الحول وجب
الزكاة فيه [illegible] وأموال الصيارفة [illegible]
بالمبادلة الجارية بينهم [illegible] على أنصاصل وإن كان [illegible]
[illegible] **النوع الخامس** زكاة الركاز والمعدن والركاز مال مدفون في الجاهلية ووجد
[illegible] والإسلام [illegible] من الذهب والفضة الخمس والحول غير معتبر ولا يؤخذ
[illegible] النصاب [illegible] الخمس [illegible]
[illegible] **وأما** المعادن فلا زكاة فيما يخرج منها سوى الذهب والفضة
ففيها [illegible] ربع العشر على أصح القولين [illegible] النصاب وفي الحول قولان
[illegible] فيجب الخمس [illegible] الحول [illegible]
[illegible] الزكاة [illegible] الحول بالمعادن فلا يعتبر الحول [illegible]
النصاب [illegible] القليل والكثير [illegible]
[illegible]
النوع السادس صدقة الفطر وهي واجبة على الحر [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم على كل
مسلم [illegible] من يقوم به يوم الفطر [illegible] صاع مما يقتات [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم
[illegible] من الشعير [illegible]
[illegible] زكاة الأموال [illegible]
[illegible] على الرجل المسلم عن زوجته [illegible] والأولاد
[illegible] والأمهات والأولاد **قال** صلى الله عليه وسلم
[illegible] صدقة الفطر [illegible]
[illegible] للزوج [illegible]

عنه ما ابتلي به من بعض عباد الله عن بعضهم وأوهم بالتحريم مرات فهذه أسرار رسول الله صلى الله عليه
وسلم نعمة المال على نعمة الزوجة ونعمتها على نعمة الخادم وهذه أحكام معنوية لا يفطن من معرفتها
وفرعه في وقائع نادرة خارجة عن أحد الأن تكتفي بها على الاستقصاء عن نزول الواقعة فهذا ما لحقه هنا
نقتصر

الفصل الثاني في أداء الزكاة وشروطها الباطنة والظاهرة

بيان الشروط الظاهرة

اعلم أنه يجب على مؤدي الزكاة خمسة أمور الأول النية وهو أن ينوي بقلبه زكاة الفرض
ويسن عليه تعيين الأموال فإن كان له مال غائب فقال هذا عن مالي الغائب إن كان سالماً وإلا فهو نافلة
جاز لأنه إذا لم يصرح به فكذلك يكون عند إطلاقه ونية الولي تقوم مقام نية المجنون والصبي ونية
السلطان تقوم مقام نية المالك الممتنع عن الزكاة ولكن في ظاهر حكم الدنيا أعني في قطع المطالبة عنه
أما في الآخرة فلا بل تبقى ذمته مشغولة إلى أن يستأنف الزكاة وإذا وكل بأداء الزكاة ونوى عند التوكيل
أو وكل الوكيل بالنية كفاه لأن توكيله بالنية نية الثاني البدار عقيب الحول وفي زكاة الفطر لا يؤخرها
عن يوم الفطر ويدخل وقت وجوبها بغروب الشمس من آخر يوم من رمضان ووقت تعجيلها شهر رمضان كله ومن
أخر زكاة ماله مع التمكن عصى ولم تسقط عنه بتلف ماله وتمكنه بمصادفة المستحق وإن أخر لعدم المستحق
فتلف ماله سقطت الزكاة عنه وتعجيل الزكاة جائز بشرط أن يقع بعد كمال النصاب وانعقاد الحول
ويجوز تعجيل زكاة حولين ومهما عجل فمات المسكين قبل الحول أو ارتد أو صار غنياً بغير ما عجل إليه أو تلف
مال المالك أو مات فالمدفوع ليس بزكاة واسترجاعه غير ممكن إلا إذا قيد الدفع بالاسترجاع فليكن المعجل
مراقباً آخر الأمر وسلامة العاقبة الثالث أن لا يخرج بدلاً باعتبار القيمة بل يخرج المنصوص عليه فلا يجزئ ورق
عن ذهب ولا ذهب عن ورق وإن زاد عليه في القيمة ولعل بعض من لا يدرك غرض الشافعي رضي الله عنه
يتساهل في ذلك ويلاحظ المقصود من سد الخلة وما أبعده عن التحصيل فإن سد الخلة مقصود وليس هو
كل المقصود بل واجبات الشرع ثلاثة أقسام قسم هو تعبد محض لا مدخل للحظوظ والأغراض فيه
وذلك كرمي الجمرات مثلاً إذ لا حظ للجمرة في وصول الحصى إليها فمقصود الشرع فيه الابتلاء بالعمل
ليظهر العبد رقه وعبوديته بفعل ما لا يعقل له معنى لأن ما يعقل معناه فقد يساعده الطبع عليه
ويدعوه إليه فلا يظهر به خلوص الرق والعبودية إذ العبودية تظهر بأن تكون الحركة لحق أمر المعبود
فقط لا لمعنى آخر وأكثر أعمال الحج كذلك ولذلك قال صلى الله عليه وسلم في إحرامه لبيك بحجة حقاً
تعبداً ورقاً تنبيهاً على أن ذلك إظهار للعبودية بالانقياد لمجرد الأمر وامتثاله كما أمر من غير استئناس العقل
منه بما يميل إليه ويحث عليه والقسم الثاني من واجبات الشرع ما المقصود منه حظ معقول وليس
يقصد منه التعبد كقضاء دين الآدميين ورد المغصوب فلا جرم لا يعتبر فيه فعله ونيته مهما وصل الحق
إلى مستحقه بأخذ المستحق أو ببدل عنه عند رضاه تأدى الوجوب وسقط خطاب الشرع فهذان
قسمان لا تركيب فيهما يشترك في دركهما جميع الناس والقسم الثالث هو المركب الذي يقصد منه
الأمران جميعاً وهو حظ العباد وامتحان المكلف بالاستعباد فيجتمع فيه تعبد رمي الجمار وحظ

رد الحقوق فهو قسم في نفسه معقول فإن ورد الشرع به وجب الجمع بين المعنيين ولا ينبغي أن ينسى
أدق المعنيين وهو التعبد والاسترقاق بسبب أجلاهما ولعل الأدق هو الأهم والزكاة من هذا القبيل
ولم يتنبه له غير الشافعي رضي الله عنه فحظ الفقير مقصود في سد الخلة وهو جلي سابق إلى الأفهام وحق التعبد
في اتباع التفاصيل مقصود للشرع وباعتباره صارت الزكاة قرينة الصلاة والحج في كونها من مباني الإسلام
ولا شك في أن على المكلف تعباً في تمييز أجناس ماله وإخراج حصة كل مال من نوعه وجنسه وصفته
ثم توزيعه على الأصناف الثمانية كما سيأتي والتساهل فيه غير قادح في حظ الفقير لكنه قادح
في التعبد ويدل على أن التعبد مقصود بتعيين الأنواع أمور ذكرناها في كتب الخلاف من الفقهيات
ومن أوضحها أن الشرع أوجب في خمس من الإبل شاة فعدل عن الإبل إلى الشاة ولم يعدل إلى النقدين
والتقويم وإن قدر أن ذلك لقلة النقود في أيدي العرب بطل بذكره عشرين درهماً في الجبران مع الشاتين
فلم لم يذكر في الجبران قدر النقصان من القيمة ولم قدر بعشرين درهماً وشاتين وإذا كانت الثياب والأمتعة
كلها في معناها فهذا وأمثاله من التخصيصات يدل على أن الزكاة لم تترك خالية عن التعبدات
كما في الحج ولكن جمع بين المعنيين والأذهان الضعيفة تقصر عن درك المركبات فهذا شأن الغلط فيه
الرابع أن لا ينقل الصدقة إلى بلد آخر فإن أعين المساكين في كل بلدة تمتد إلى أموالها وفي النقل
تخييب للظنون فإن فعل ذلك أجزأه في قول ولكن الخروج عن شبهة الخلاف أولى فليخرج زكاة
كل مال في تلك البلدة ثم لا بأس أن تصرف إلى الغرباء في تلك البلدة الخامس أن يقسم ماله بعدد
الأصناف الموجودين في بلده فإن استيعاب الأصناف واجب عليه وعليه يدل ظاهر قوله تعالى
إنما الصدقات للفقراء والمساكين الآية فإنه يشبه قول المريض إنما ثلث مالي للفقراء والمساكين وذلك
يقتضي التشريك في التمليك والعبادات ينبغي أن يتوقى عن الهجوم فيها على الظواهر وقد عدم من
الثمانية صنفان في أكثر البلاد وهم المؤلفة قلوبهم والعاملون على الزكاة ويوجد في جميع البلاد أربعة
أصناف الفقراء والمساكين والغارمون والمسافرون أعني أبناء السبيل وصنفان يوجدان في بعض
البلاد دون بعض وهم الغزاة والمكاتبون فإن وجد خمسة أصناف مثلاً قسم زكاة ماله خمسة أقسام
متساوية أو متقاربة وعين لكل صنف قسماً ثم قسم كل قسم ثلاثة أسهم فما فوقها إما متساوية وإما متفاوتة
وليس عليه التسوية بين آحاد الصنف فإن له أن يقسمه على عشرة وعشرين فينقص نصيب كل واحد
وأما الأصناف فلا تقبل الزيادة والنقصان فلا ينبغي أن ينقص في كل صنف عن ثلاثة
إن وجد ولو لم يوجد إلا واحد أجزأه ووجد خمسة أصناف فعليه أن يوصلها إلى خمسة عشر نفراً ولو نقص
نفر منهم وأمكن عليه غرم نصيب ذلك الواحد فإن عسر عليه ذلك لقلة الواجب فليتشارك
جماعة ممن عليهم الزكاة وليخلط مال نفسه بمالهم أو يجمع المستحقين وليسلم إليهم حتى يتساهموا فيه
فإن ذلك لابد منه

بيان دقائق الآداب الباطنة في الزكاة

فاعلم أن على مريد طريق الآخرة بزكاته وظائف الوظيفة الأولى

مع وجوب الزكاة ومعناها ووجه الامتحان فيها وأنها لم جعلت من مباني الإسلام مع أنها تصرف مالي وليست
من عبادة الأبدان وفيه ثلاثة معان **الأول** أن التلفظ بكلمتي الشهادة التزام للتوحيد وشهادة
بإفراد المعبود وشرط تمام الوفاء به أن لا يبقى للموحد محبوب سوى الواحد الفرد فإن المحبة لا تقبل
الشركة والتوحيد باللسان قليل الجدوى وإنما يمتحن به درجة الحب بمفارقة المحبوبات والأموال محبوبة
عند الخلائق لأنها آلة تمتعهم بالدنيا وبسببها يأنسون بهذا العالم وينفرون عن الموت مع أن فيه لقاء
المحبوب فامتحنوا بتصديق دعواهم في المحبوب واستنزلوا عن المال الذي هو مرموقهم ومعشوقهم
ولذلك قال الله تعالى إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة وذلك بالجهاد وهو مسامحة
بالمهجة شوقا إلى لقاء الله سبحانه والمسامحة بالمال أهون ولما فهم هذا المعنى في بذل الأموال
انقسم الناس إلى ثلاثة أقسام **قسم** صدقوا التوحيد ووفوا بعهدهم ونزلوا عن جميع أموالهم
فلم يدخروا دينارا ولا درهما فأبوا أن يتعرضوا لوجوب الزكاة عليهم حتى قيل لبعضهم كم يجب
من الزكاة في مائتي درهم فقال أما على العوام بحكم الشرع فخمسة دراهم وأما نحن فيجب علينا بذل الجميع
ولهذا تصدق أبو بكر رضي الله عنه بجميع ماله وعمر بشطر ماله فقال صلى الله عليه وسلم ما أبقيت لأهلك
فقال مثله وقال لأبي بكر ما أبقيت لأهلك فقال الله ورسوله فقال صلى الله عليه وسلم بينكما ما بين كلمتيكما
فالصديق وفى بتمام الصدق فلم يمسك سوى المحبوب عنده وهو الله ورسوله **القسم الثاني**
درجتهم دون درجة هذا وهم الممسكون أموالهم المراقبون لمواقيت الحاجات ومواسم الخيرات فيكون
قصدهم في الادخار الإنفاق على قدر الحاجة دون التنعم وصرف الفاضل عن الحاجة إلى وجوه
البر مهما ظهرت وجوهها وهؤلاء لا يقتصرون على مقدار الزكاة وقد ذهب جماعة من
التابعين إلى أن في المال حقوقا سوى الزكاة كالنخعي والشعبي وعطاء ومجاهد وقال
الشعبي بعد أن قيل له هل في المال حق سوى الزكاة قال نعم أما سمعت قوله تعالى وآتى المال على
حبه ذوي القربى الآية واستدلوا بقوله تعالى ومما رزقناهم ينفقون وبقوله وأنفقوا مما رزقناكم
وزعموا أن ذلك غير منسوخ بآية الزكاة بل هو داخل في حق المسلم على المسلم ومعناه أنه يجب على
الموسر مهما وجد محتاجا أن يزيل حاجته فضلا عن مال الزكاة والذي يصح في الفقه من هذا الباب
أنه مهما أرهقته حاجة كانت إزالتها فرض كفاية إذ لا يجوز تضييع مسلم ولكن يحتمل أن يقال ليس
على الموسر إلا تسليم ما يزيل الحاجة قرضا ولا يلزمه بذله بعد أن أسقط الزكاة عن نفسه ويحتمل
أن يقال يلزمه بذله في الحال ولا يجوز له الاقتراض ومن المختلف فيه والاقتراض نزول إلى الدرجة
الأخيرة من درجة العوام وهي درجة **القسم الثالث** الذين يقتصرون على أداء الواجب
فلا يزيدون عليه ولا ينقصون منه وهي أقل الرتب وقد اقتصر جميع العوام عليه لجهلهم
وبخلهم بالمال وميلهم إليه وضعف حبهم للآخرة قال الله تعالى إن يسألكموها فيحفكم تبخلوا
ومعناه يستقصي عليكم فكم بين عبد اشترى منه ماله ونفسه بأن له الجنة وبين عبد لا يستقصي عليه لبخله

فهذا أحد معاني أمر الله تعالى عباده ببذل الأموال **المعنى الثاني** التطهير من صفة البخل
فإنه من المهلكات قال صلى الله عليه وسلم ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه
وقال تعالى ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون وسيأتي في ربع المهلكات وجه كونه مهلكا وكيفية
التفصي منه وإنما تزول صفة البخل بأن يتعود بذل المال فحب الشيء لا ينقطع إلا بقهر النفس
على مفارقته حتى يصير ذلك اعتيادا فالزكاة بهذا المعنى طهرة أي تطهر صاحبها عن خبث البخل المهلك
وإنما طهارتها بقدر بذله وبقدر فرحه بإخراجه واستبشاره بصرفه إلى الله تعالى **المعنى الثالث**
شكر النعمة فإن لله تعالى على عبده نعمة في نفسه وفي ماله فالعبادات البدنية شكر لنعمة البدن والمالية شكر
لنعمة المال وما أخس من ينظر إلى الفقير وقد ضيق عليه الرزق وأحوج إليه ثم لا تسمح نفسه بأن يؤدي شكر
الله تعالى على إغنائه عن السؤال وإحواج غيره إليه بربع العشر أو العشر من ماله **الوظيفة الثانية**
في وقت الأداء ومن آداب ذوي الدين التعجيل عن وقت الوجوب إظهارا للرغبة في الامتثال وإيصالا للسرور إلى
قلوب الفقراء ومبادرة لعوائق الزمان أن تعوق عن الخيرات وعلما بأن في التأخير آفات مع ما يتعرض
العبد له من العصيان لو أخر عن وقت الوجوب ومهما ظهرت داعية الخير من الباطن فينبغي أن يغتنم
فإن ذلك لمة الملك وقلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن فما أسرع تقلبه والشيطان يعد الفقر ويأمر
بالفحشاء والمنكر وله لمة عقيب لمة الملك فليغتنم الفرصة فيه وليعين لزكاته إن كان يؤديها جميعا
شهرا معلوما وليجتهد أن يكون من أفضل الأوقات ليكون ذلك سببا لنماء قربته وتضاعف زكاته وذلك كـ
شهر المحرم فإنه أول السنة وهو من الأشهر الحرم أو رمضان فقد كان صلى الله عليه وسلم أجود الخلق وكان في
رمضان كالريح المرسلة لا يمسك فيه شيئا ولرمضان فضيلة ليلة القدر وأنه أنزل فيه القرآن وكان مجاهد
يقول لا تقولوا رمضان فإنه اسم من أسماء الله ولكن قولوا شهر رمضان وذو الحجة فإنه من الشهور الكثيرة
الفضل فإنه شهر حرام وفيه الحج الأكبر وفيه الأيام المعلومات وهي العشر الأول والأيام المعدودات
وهي أيام التشريق وأفضل أيام شهر رمضان العشر الأواخر وأفضل أيام ذي الحجة العشر الأول
الوظيفة الثالثة الإسرار فإن ذلك أبعد عن الرياء والسمعة قال صلى الله عليه وسلم
أفضل الصدقة جهد المقل إلى فقير في سر وقال بعض العلماء ثلاث من كنوز البر منها إخفاء الصدقة
وقد روي أيضا مسندا وقال صلى الله عليه وسلم إن العبد ليعمل عملا في السر فيكتبه الله تعالى
له سرا فإن أظهره نقل من السر وكتب في العلانية فإن تحدث به نقل من السر والعلانية وكتب رياء
وفي الحديث المشهور سبعة يظلهم الله يوم لا ظل إلا ظله أحدهم رجل تصدق بصدقة فلم تعلم
شماله ما أعطت يمينه وفي الخبر صدقة السر تطفئ غضب الرب وقال تعالى وإن تخفوها وتؤتوها
الفقراء فهو خير لكم وفائدة الإخفاء الخلاص من آفة الرياء والسمعة فقد قال صلى الله عليه وسلم
لا يقبل الله من مسمع ولا مراء ولا منان والمتحدث بصدقته يطلب السمعة والمعطي في ملإ من الناس
يبغي الرياء والإخفاء والسكوت هو المخلص من ذلك وقد بالغ في فضل الإخفاء جماعة حتى اجتهدوا

ان لا يعرف القابض من هو وكان بعضهم يصر صدقته في يد اعمى وبعضهم يلقيها في طريق الفقير وفي موضع
جلوسه حيث يراها ولا يرى المعطي وبعضهم كان يصرها في ثوب الفقير وهو نائم وبعضهم كان يوصل الى يد
الفقير على يد غيره بحيث لا يعرف المعطي وكان يستكتم المتوسط شأنه ويوصيه بان لا يفشيه كل ذلك
توصلا الى اطفاء غضب الرب واحترازا من الرياء والسمعة ومهما لم يتمكن الا بان يعرفه شخص واحد فتسليمه
الى وكيل ليسلم الى المسكين والمسكين لا يعرف اولى اذ في معرفة المسكين الرياء والمنة جميعا وليس في معرفة
المتوسط الا الرياء ومهما كانت الشهرة مقصودة له حبط عمله لان الزكاة ازالة للبخل وتضعيف
لحب المال وحب الجاه اشد استيلاء على النفس من حب المال وكل واحد منهما مهلك في الآخرة
ولكن صفة البخل تنقلب في القبر في حكم المثال عقربا لادغا وصفة الرياء تنقلب في القبر في حكم المثال
افعى من الافاعي وهو مأمور بتضعيفهما او قتلهما لدفع اذاهما او تخفيف اذاهما فمهما قصد
الرياء والسمعة فكأنه جعل بعض اطراف العقرب مقويا للحية فبقدر ما ضعف من العقرب
زاد في قوة الحية ولو ترك الامر كما كان لكان الامر اهون عليه وقوة هذه الصفات التي بها قوتها
العمل بمقتضاها وضعف هذه الصفات بمجاهدتها ومخالفتها والعمل بخلاف مقتضاها فاي
فائدة في ان يخالف داعي البخل ويجيب داعي الرياء فيضعف الادنى ويقوي الاقوى وستأتي
اسرار هذه المعاني في ربع المهلكات **الوظيفة الرابعة** ان يظهر حيث يعلم ان في الاظهار
ترغيبا للناس في الاقتداء ويحرس سره من داعية الرياء بالطريق الذي ذكرناه في معالجة الرياء في كتاب
الرياء من ربع المهلكات فقد قال الله تعالى ان تبدوا الصدقات فنعما هي وذلك حيث يقتضي الحال الابداء
اما للاقتداء واما لان السائل انما سأل على ملأ من الناس فلا ينبغي ان يترك التصدق خيفة من الرياء
في الاظهار بل ينبغي ان يتصدق ويحفظ سره عن الرياء بقدر الامكان وهذا لان في الاظهار محذورا
ثالثا سوى المن والرياء وهو هتك ستر الفقير فانه ربما يتأذى بان يرى في صورة المحتاج فمن اظهر
السؤال فهو الذي هتك ستر نفسه فلا يحذر هذا المعنى في اظهاره وهو كاظهار الفسق على من تستر
به فانه محظور والتجسس فيه والاغتياب بذكره منهي عنه فاما من اظهره فاقامة الحد عليه اشاعة
ولكن هو السبب فيها وبمثل هذا المعنى قال صلى الله عليه وسلم من القى جلباب الحياء عن وجهه
فلا غيبة له وقال تعالى وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية ندب الى العلانية ايضا لما فيها من
فائدة الترغيب فليكن العبد دقيق التأمل في وزن هذه الفائدة بالمحذور الذي فيها فان ذلك
يختلف بالاحوال والاشخاص فقد يكون الاعلان في بعض الاحوال لبعض الاشخاص افضل ومن
عرف الفوائد والغوائل ولم ينظر بعين الشهوة اتضح له الاولى والاليق بكل حال
الوظيفة الخامسة ان لا يفسد صدقته بالمن والاذى قال الله تعالى لا تبطلوا صدقاتكم
بالمن والاذى واختلفوا في حقيقة المن والاذى فقيل المن ان يذكرها والاذى ان يظهرها وقال
سفيان من من فسدت صدقته فقيل له كيف المن فقال ان يذكره ويتحدث به وقيل المن ان يستخدمه

بالعطاء والاذى ان يعيره بالفقر وقيل المن ان يتكبر عليه لاجل عطائه والاذى ان ينتهره ويوبخه بالمسألة
وقد قال صلى الله عليه وسلم لا يقبل الله صدقة منان فعندي ان المن له اصل ومغرس وهو من احوال
القلب وصفاته ثم تتفرع عنه احوال ظاهرة على اللسان والجوارح فاصله ان يرى نفسه محسنا اليه
ومنعما عليه وحقه ان يرى الفقير محسنا اليه بقبول حق الله منه الذي هو طهرته ونجاته من النار
وانه لو لم يقبله لبقي مرتهنا به فحقه ان يتقلد منة الفقير اذ جعل كفه نائبا عن الله في قبض حقه قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الصدقة تقع بيد الله قبل ان تقع في يد السائل فليتحقق انه مسلم الى الله حقه
والفقير آخذ من الله رزقه بعد صيرورته الى الله ولو كان عليه دين لانسان فاحال به عبده او خادمه
الذي هو متكفل برزقه لكان اعتقاده مؤدي الدين كون القابض تحت منته سفها وجهلا فان المحسن
اليه المتكفل برزقه اما هو فانما يقضي الدين الذي لزمه بشراء ما احبه فهو ساع في حق نفسه فلم يمن به على
غيره ومهما عرف المعاني الثلاثة التي ذكرناها في فهم وجوب الزكاة او احدها لم ير نفسه محسنا
الا الى نفسه اما ببذل ماله اظهارا لحب الله تعالى او تطهيرا لنفسه عن رذيلة البخل او شكرا على نعمة
المال طلبا للمزيد وكيفما كان فلا معاملة بينه وبين الفقير حتى يرى نفسه محسنا اليه ومهما حصل
هذا الجهل بان رأى نفسه محسنا اليه تفرع عنه على ظاهره ما ذكر في معنى المن وهو التحدث به واظهاره
وطلب المكافأة منه بالشكر والدعاء والخدمة والتوقير والتعظيم والقيام بالحقوق والتقديم
في المجالس والمتابعة في الامور فهذه كلها ثمرات المنة ومعنى المنة في الباطن ما ذكرناه واما الاذى
فظاهره التوبيخ والتعيير وتخشين الكلام وتقطيب الوجه وهتك الستر بالاظهار وفنون الاستخفاف
وباطنه وهو منبعه امران احدهما كراهيته لرفع اليد عن المال وشدة ذلك على نفسه فان ذلك
يضيق الخلق لا محالة والثاني رؤيته انه خير من الفقير وان الفقير بسبب حاجته اخس منه
وكلاهما منشؤه الجهل اما كراهية تسليم المال فهو حمق لان من كره بذل درهم في مقابلة ما يساوي
الفا فهو شديد الحماقة ومعلوم انه يبذل المال لطلب رضا الله والثواب في الدار الآخرة وذلك اشرف
مما بذله او يبذله لتطهير نفسه عن رذيلة البخل او شكرا لطلب المزيد وكيفما فرض فالكراهة لا وجه
لها واما الثاني فهو ايضا جهل لانه لو عرف فضل الفقر على الغنى وعرف خطر الاغنياء لما استحقر
الفقير بل تبرك به وتمنى درجته فصلحاء الاغنياء يدخلون الجنة بعد الفقراء بخمسمائة عام ولذلك
قال صلى الله عليه وسلم هم الاخسرون ورب الكعبة فقال ابو ذر من هم قال هم الاكثرون اموالا الحديث
ثم كيف يستحقر الفقير وقد جعله الله تعالى متجره اذ يكتسب المال بجهده ويستكثر منه ويجتهد
في حفظه بمقدار الحاجة وقد الزم ان يسلم الى الفقير قدر حاجته ويكف عنه الفاضل الذي يضره
لو سلم اليه فالغني مستخدم للسعي في رزق الفقير ويتميز عنه بتقلد المظالم والتزام المشاق
وحراسة الفضلات الى ان يموت فيأكله اعداؤه فاذا مهما انتفت الكراهة وتبدلت
بالسرور والفرح بتوفيق الله له في اداء الواجب وتقبيضه الفقير حتى يخلصه من عهدته

بقوله منه اشتغل بالذي والتزيين وتقلب الوجه وتبدل بالاستبشار والثناء وقبول المنة فهذا
مثال الحي والذي **فإن قلت** ام ونية نجد هو درجة المحسن ام غامض فما هي علامة متحرر بها
قلبه فيعلم بها انه من نية محسنا **فاعلم** ان له علامة دقيقة وعقد ومهواه يعتبر
ان الفقير لو جنى عليه جناية او مالا عدو الله عليه مثلا هل كان يزيد استنكاره واستبعاده له على
استنكاره قبل التصدق ام لا فإن زاد فلم يخلص قلبه من شائبة المنة لانه توقع بسببه ما لم يكن يتوقعه قبل
ذلك **فإن قلت** فهذا امر غامض ولا ينفك قلب احد عنه فما دواؤه **فاعلم** ان له دواء
باطنا ودواء ظاهرا اما الباطن فالمعرفة بالحقائق التي ذكرناها في فهم الوجوب وان الفقير
هو المحسن اليه بتطهيره بالقبول واما الظاهر فالاعمال التي يتعاطاها متقلد المنة فان
الافعال التي تصدر عن الاخلاق تصبغ القلب بالاخلاق كما سيأتي اسراره في الشطر الاخير من الكتاب
ولهذا كان بعضهم يضع الصدقة بين يدي الفقير ويتمثل قائما بين يديه يسأله قبول الصدقة
حتى يكون هو في صورة السائلين وهو يستشعر مع ذلك كراهية لو رده وكان بعضهم يبسط كفه
ليأخذ الفقير من كفه لتكون يد الفقير هي العليا وكانت عائشة وام سلمة رضي الله
عنهما اذا ارسلتا معروفا الى فقير قالتا للرسول احفظ ما يدعو به ثم كانتا تردان عليه مثل قوله
وتقولان هذا بذاك حتى تخلص لنا صدقتنا وكانوا يتوقعون الدعاء لانه شبه المكافاة وكانوا يقابلون
الدعاء بمثله وكذا فعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه وابنه عبد الله فهكذا كان ارباب
القلوب يداوون قلوبهم ولا دواء من حيث الظاهر الا هذه الاعمال الدالة على التذلل والتواضع وقبول
المنة ومن حيث الباطن المعارف التي ذكرناها هذا من حيث العمل وذلك من حيث العلم ولا يعالج القلب
الا بمعجون العلم والعمل وهذه الشريطة من الزكاة تجري مجرى الخشوع من الصلاة وثبت ذلك
بقوله عليه السلام ليس للمرء من صلاته الا ما عقل وهذا كقوله صلى الله عليه وسلم لا يقبل الله صدقة منان
وكقوله تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى فاما فتوى الفقيه بوقوعها موقعها وبراءة ذمته عنها
دون هذا الشرط فحديث آخر وقد اشرنا الى معناه في كتاب الصلاة

الوظيفة السادسة

ان يستصغر العطية فانه ان استعظمها اعجب بها والعجب من المهلكات وهو محبط للاعمال
قال تعالى ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا ويقال ان الطاعة كلما استصغرت كبرت
عند الله والمعصية كلما استعظمت صغرت عند الله وقيل لا يتم المعروف الا بثلاث تصغيره
وتعجيله وستره وليس الاستعظام هو المن والاذى فانه لو صرف ماله الى عمارة مسجد او رباط امكن
فيه الاستعظام ولا يمكن المن والاذى بل العجب والاستعظام يجري في جميع العبادات ودواؤه علم
وعمل اما العلم فهو ان يعلم ان العشر او ربع العشر قليل من كثير وانه قد قنع لنفسه باخس درجات
البذل كما ذكرناه في فهم الوجوب فهو جدير بان يستحيي منه فكيف يستعظمه وان ارتقى الى الدرجة
العليا فبذل كل ماله او اكثره فليتأمل انه من اين له المال والى ماذا يصرفه فالمال لله والمنة عليه

اذ اعطاه ثم وفقه للبذل له فلم يستعظم في حق الله ما هو عين حق الله وان كان مقامه يقتضي ان ينظر الى الاخرة
وانه يبذله للثواب فلم يستعظم بذل ما يستحق عليه اضعافه واما العمل فهو ان يعطيه عطاء
الخجل من بخله بامساك بقية ماله عن الله تعالى فتكون هيئته الانكسار والحياء كهيئة من يطالب برد وديعة
فيمسك بعضها ويرد البعض لان المال كله لله وبذل جميعه هو الاحب عند الله وانما لم يامر به عبده
لانه يشق عليه بسبب بخله كما قال فيحفكم تبخلوا

الوظيفة السابعة

ان ينتقي من ماله
اجوده واحبه اليه واجله عنده واطيبه فان الله تعالى طيب لا يقبل الا طيبا واذا كان المخرج من شبهة فربما
لا يكون ملكا له مطلقا فلا يقع الموقع وفي حديث ابان عن انس طوبى لعبد انفق من مال اكتسبه
من غير معصية واذا لم يكن المخرج من جيد المال فهو من سوء الادب اذ قد يمسك الجيد لنفسه او لعبده او
لاهله فيكون قد آثر على الله عز وجل غيره ولو فعل هذا بضيفه وقدم اليه ارذل طعام في بيته لاوغر به صدره
هذا ان كان نظره الى الله وان كان نظره الى نفسه وثوابه في الاخرة فليس بعاقل من يؤثر غيره على
نفسه وليس له من ماله الا ما تصدق فابقى او اكل فافنى والذي ياكله قضاء وطر في الحال فليس
من العقل قصر النظر على العاجلة وترك الادخار للاجلة وقد قال تعالى انفقوا من طيبات ما
كسبتم ومما اخرجنا لكم من الارض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم باخذيه الا ان تغمضوا فيه
اي لا تأخذونه الا مع كراهية وحياء وهو معنى الاغماض فلا تؤثروا به ربكم **وفي الخبر**
سبق درهم مائة الف درهم وذلك بان يخرجه الانسان وهو من احل ماله واجوده فيصدر ذلك عن الرضى
والفرح بالبذل وقد يخرج مائة الف درهم مما يكره من ماله فيدل على انه ليس يؤثر الله بشيء مما يحبه ولذلك
ذم الله تعالى قوما جعلوا لله ما يكرهون فقال ويجعلون لله ما يكرهون وتصف السنتهم الكذب ان
لهم الحسنى لا جرم وقف بعض القراء على النفي تكذيبا لهم ثم ابتدأ جرم ان لهم النار اي كسب لهم ما يكرهون
النار

الوظيفة الثامنة

ان يطلب لصدقته من تزكو به الصدقة ولا يكتفي بان يكون من عموم
الاصناف الثمانية فان في عمومهم خصوصا فليراع خصوص تلك الصفات وهي ستة **الاولى**
ان يطلب الاتقياء المعرضين عن الدنيا المتجردين لتجارة الاخرة قال صلى الله عليه وسلم لا تاكل الا طعام تقي
ولا ياكل طعامك الا تقي وهذا لان التقي يستعين به على التقوى فتكون شريكا له في طاعته باعانتك
اياه وقد قال صلى الله عليه وسلم اطعموا طعامكم الاتقياء واولوا معروفكم المؤمنين وفي لفظ اخر
اضف طعامك من تحبه في الله وكان بعض العلماء يؤثر بالطعام فقراء الصوفية دون غيرهم فقيل له
لو عممت بمعروفك جميع الفقراء لكان افضل فقال لا هؤلاء قوم هممهم لله سبحانه فاذا اصابتهم فاقة تشتت
هم احدهم فلان ارد همة واحد الى الله احب الي من ان اعطي الف ممن همته الدنيا فذكر هذا الكلام
للجنيد فاستحسنه وقال هذا ولي من اولياء الله تعالى وقال ما سمعت منذ زمان كلاما احسن من هذا
ثم حكي ان هذا الرجل اختل حاله وهم بترك الحانوت فبعث اليه الجنيد مالا وقال اجعله بضاعتك ولا تترك
الحانوت فان التجارة لا تضر مثلك وكان هذا الرجل بقالا لا ياخذ من الفقراء ثمن ما يبتاعون منه

الصفة الثانية ان يكون من اهل العلم خاصة فان ذلك اعانة له على العلم والعلم اشرف العبادات مهما صحت
فيه النية وكان ابن المبارك يخصص بمعروفه اهل العلم فقيل له لو عممت فقال اني لا اعرف بعد مقام
النبوة افضل من مقام العلماء فاذا اشتغل قلب احدهم بحاجته لم يتفرغ للعلم ولم يقبل على التعلم فتفريغهم
للعلم افضل الصفة الثالثة ان يكون صادقا في تقواه وعلمه بالتوحيد وتوحيده انه اذا اخذ العطاء
حمد الله وشكره ورأى ان النعمة منه ولم ينظر الى واسطة فهذا هو اشكر العباد لله وهو ان يرى النعم كلها منه وفي
وصية لقمان لابنه لا تجعل بينك وبين الله منعما واعدد نعمة غيره عليك مغرما ومن شكر غير الله لم يعرف المنعم
ولم يتيقن ان الواسطة مقهور مسخر بتسخير الله اذ سلط الله عليه دواعي الفعل ويسر له الاسباب فاعطى
وهو مقهور ولو اراد تركه لم يقدر عليه بعد ان القى الله تعالى في قلبه ان صلاح دينه ودنياه في فعله فمهما
قوي الباعث اوجب ذلك جزم الارادة وانتهاض القدرة ولم يستطع العبد مخالفة الباعث القوي
الذي لا تردد فيه والله خالق البواعث ومهيجها ومزيل الضعف والتردد عنها ومسخر القدرة للانتهاض
بمقتضى البواعث فمن تيقن هذا لم يكن له نظر الا الى مسبب الاسباب وتيقن مثل هذا العبد انفع للمعطي من ثناء
غيره وشكره فذلك حركة لسان يقل في الاكثر جدواها واما اعانة مثل هذا العبد الموحد فلا تضيع فاما الذي يمدح بالعطاء
ويدعو بالخير فسيذم بالمنع ويدعو بالشر عند الايذاء واحواله متفاوتة وقد روي انه صلى الله عليه وسلم
بعث معروفا الى بعض الفقراء وقال للرسول احفظ ما يقول فلما اخذ قال الحمد لله الذي لا ينسى من ذكره
ولا يضيع من شكره ثم قال اللهم انك لم تنس فلانا يعني نفسه فاجعل فلانا لا ينساك فاخبر صلى الله عليه وسلم
بذلك فسر وقال علمت انه يقول ذلك فانظر كيف قصر التفاته على الله وحده وقال صلى الله
عليه وسلم لرجل تب فقال اتوب الى الله ولا اتوب الى محمد فقال صلى الله عليه وسلم عرف الحق لاهله
ولما نزلت براءة عائشة رضي الله عنها في قصة الافك قال ابو بكر قومي فقبلي رأس رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقالت والله لا افعل ولا احمد الا الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعها يا ابا بكر وفي
لفظ اخر انها قالت لابي بكر بحمد الله لا بحمدك ولا بحمد صاحبك فلم ينكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك
مع ان الوحي وصل اليها على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ورؤية الاشياء من غير الله وصف الكافرين
قال الله تعالى واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالاخرة واذا ذكر الذين من دونه اذا هم
يستبشرون ومن لم يصف باطنه عن رؤية الوسائط الا من حيث انهم وسائط فكأنه لم ينفك عن الشرك الخفي
فليتق الله في تصفية توحيده عن كدورات الشرك وشوائبه الصفة الرابعة ان يكون مستترا
مخفيا حاجته لا يكثر البث والشكوى او يكون من اهل المروءة ممن ذهبت نعمته وبقيت عادته فهو
يتعيش في جلباب التجمل قال الله تعالى يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون
الناس الحافا اي لا يلحون في السؤال لانهم اغنياء بيقينهم اعزة بصبرهم وهذا ينبغي ان يطلب
بالتفحص عن اهل الدين في كل محلة ويستكشف عن بواطن احوال اهل الخير والتجمل فثواب صرف المعروف
اليهم اضعاف ما يصرف الى المجاهرين بالسؤال الصفة الخامسة ان يكون معيلا او محبوسا

بمرض او بسبب من الاسباب فيوجد فيه معنى قوله تعالى للفقراء الذين احصروا في سبيل الله اي حبسوا في طريق الاخرة
بعيلة او ضيق معيشة او اصلاح قلب لا يستطيعون ضربا في الارض لانهم مقصوصو الجناح مقيدو الاطراف
بهذه الاسباب فكان عمر رضي الله عنه يعطي اهل البيت القطيع من الغنم العشرة فما فوقها وكان عليه
السلام يعطي العطاء على مقدار العيلة وسئل عمر عن جهد البلاء فقال كثرة العيال وقلة المال
الصفة السادسة ان يكون من الاقارب وذوي الارحام فتكون صدقة وصلة رحم وفي صلة الرحم من
الثواب ما لا يحصى قال علي رضي الله عنه لان اصل اخا من اخواني بدرهم احب الي من ان اتصدق بعشرين
درهما ولان اصله بعشرين درهما احب الي من ان اتصدق بمائة درهم ولان اصله بمائة احب الي من ان اعتق
رقبة والاصدقاء واخوان الخير ايضا يقدمون على المعارف كما يتقدم الاقارب على الاجانب فليراع هذه
الدقائق فهذه هي الصفات المطلوبة وفي كل صفة درجات فينبغي ان يطلب اعلاها فان وجد
من جمع جملة من هذه الصفات فهي الذخيرة الكبرى والغنيمة العظمى ومهما اجتهد في ذلك واصاب فله
اجران وان اخطأ فله اجر واحد فان احد اجريه في الحال تطهيره نفسه عن صفة البخل وتأكيد حب الله تعالى
في قلبه واجتهاده في طاعته وهذه الصفات هي التي تقوى في قلبه فتشوقه الى لقاء الله تعالى والاجر الثاني ما
يعود اليه من فائدة دعوة الاخذ وهمته فان قلوب الابرار لها اثار في الحال والمال فان اصاب حصل الاجران
وان اخطأ حصل الاول دون الثاني فبهذا يتضاعف اجر المصيب في الاجتهاد ههنا وفي سائر
المواضع

الفصل الثالث

في القابض واسباب استحقاقه ووظائف قبضه

بيان اسباب الاستحقاق

اعلم انه لا يستحق الزكاة الا حر مسلم ليس بهاشمي ولا مطلبي اتصف بصفة من صفات الاصناف
الثمانية المذكورين في كتاب الله فلا تصرف زكاة الى كافر ولا الى عبد ولا الى هاشمي او مطلبي واما الصبي
والمجنون فيجوز الصرف اليهما اذا قبض وليهما فلنذكر صفات الاصناف الثمانية

الصنف الاول

الفقراء والفقير هو الذي ليس له مال ولا قدرة له على الكسب فان كان معه قوت يومه وكسوة حاله فليس
بفقير ولكنه مسكين وان كان معه نصف قوت يومه فهو فقير وان كان معه قميص وليس معه منديل
ولا خف ولا سراويل ولم تكن قيمة القميص بحيث تفي بجميع ذلك كما يليق بالفقراء فهو فقير لانه في الحال قد
عدم ما هو محتاج اليه وما هو عاجز عنه فلا ينبغي ان يشترط في الفقير ان لا يكون له كسوة سوى ستر
العورة فان هذا غلو والغالب انه لا يوجد مثله ولا يخرجه عن الفقر كونه معتادا للسؤال ولا يجعل
السؤال كسبا بخلاف ما لو قدر على كسب فان ذلك يخرجه عن الفقر فان قدر على الكسب بآلة فليس
معه فهو فقير ويجوز ان تشترى له الآلة وان قدر على كسب لا يليق بمروءته وبحال مثله فهو فقير
وان كان متفقها ويمنعه الاشتغال بالكسب عن التفقه فهو فقير ولا تعتبر قدرته وان كان متعبدا يمنعه
الكسب عن وظائف العبادات واوراد الاوقات فليكتسب لان الكسب اولى من ذلك قال
النبي صلى الله عليه وسلم طلب الحلال فريضة بعد الفريضة واراد به السعي في الاكتساب وقال عمر

رضي الله عنه كتب في شبهة خير من المشكلة وان كان مكتسبا بجهة ابنه او من تجب عليه نفقته فهذا المقدار
من الكتب فليس بغني المساكين والمسكين هو الذي لا يجد ذلك فمن وجد ما يغنيه
الى يوم وهو مسكين وقد انتظم الاحباش وهذا وهو غني والذي ... والثوب الذي يحتاج
على قدر حاله لا يخرجه عن المسكين وكذا اثاث البيت اعني ما يحتاج اليه وذلك مما يليق به وكذا كتب الفقه
التي هي من المسكنة واذا لم يملك سوى الكتب فلا تلزمه صدقة الفطر وحكم الكتاب حكم الثوب واثاث
البيت فانه محتاج اليه ولكن ينبغي ان يحتاط في فهم الحاجة الى الكتاب فالكتاب يحتاج اليه لثلاثة اغراض
التعليم والاستفادة والتفرج بالمطالعة اما حاجة التفرج فلا تعتبر كاقتناء كتب الاشعار وتواريخ
الاخبار وامثال ذلك مما لا ينفع في الآخرة ولا يجري في الدنيا الا مجرى التفرج والاستيناس فهذا يباع في الكفارة
وزكاة الفطر ويمنع اسم المسكنة واما حاجة التعليم فان كان لاجل الكسب كالمؤدب والمعلم والمدرس
باجرة فهذه آلة فلا تباع في الفطرة كادوات الخياط والمحترفين وان كان يدرس للقيام بفرض الكفاية
فلا تباع ولا يسلبه ذلك اسم المسكين لانها حاجة مهمة واما حاجة الاستفادة والتعلم من الكتاب
كادخار كتاب طب ليعالج به نفسه او كتاب وعظ ليطالع فيه ويتعظ به فان كان في البلد طبيب
وواعظ فهذا مستغنى عنه وان لم يكن فهو محتاج اليه ثم ربما لا يحتاج الى مطالعة الكتاب الا بعد مدة
فينبغي ان تضبط مدة الحاجة والاقرب ان يقال ما لا يحتاج اليه في السنة فهو مستغنى عنه فان فضل
من قوت يومه شيء لزمته الفطرة فاذا قدرنا القوت باليوم فحاجة اثاث البيت وثياب البدن
ينبغي ان تقدر بالسنة فلا تباع ثياب الصيف في الشتاء والكتب بالثياب والاثاث اشبه وقد يكون
له من كتاب نسختان فلا حاجة الا الى احداهما فان قال احداهما اصح والاخرى احسن فانا محتاج اليهما
قلنا اكتف بالاصح وبع الاحسن ودع التفرج والترفه وان كانت نسختان من علم واحد احداهما بسيطة
والاخرى وجيزة فان كان مقصوده الاستفادة فليكتف بالبسيط وان كان قصده التدريس فيحتاج
اليهما اذ في كل واحدة فائدة ليست في الاخرى وامثال هذه الصور لا تنحصر ولم يتعرض له في فن الفقه
وانما اوردناه لعموم البلوى والتنبيه بحسن هذا النظر على غيره فان استقصاء هذه الصور غير ممكن
اذ يتعدى مثل هذا النظر في اثاث البيت في مقداره وعدده ونوعه وفي ثياب البدن والدار
وسعتها وضيقها وليس لهذه الامور حدود محدودة ولكن الفقيه يجتهد فيها برأيه ويقرب في التحديدات
بما يراه ويقتحم فيه خطر الشبهات والمتورع يأخذ بالاحوط ويدع ما يريبه الى ما لا يريبه والدرجات
المتوسطة المشكلة بين الاطراف المتقابلة الجلية كثيرة ولا ينجي منها الا الاحتياط

العاملون وهم السعاة الذين يجمعون الزكاة سوى الخليفة والقاضي ويدخل فيهم العريف والكاتب
والمستوفي والحافظ والنقال ولا يزاد واحد منهم على اجرة المثل فان فضل شيء عن اجرة مثلهم رد على بقية
الاصناف وان نقص كمل من مال المصالح

المؤلفة قلوبهم وهم الاشراف الذين اسلموا
وهم مطاعون في قومهم وفي اعطائهم تقرير على الاسلام وترغيب نظرائهم واتباعهم